

<sup>1</sup> فصوص الحكم

تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحم

محيي الدين محمد بن العربي

قدسا لله سره

المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

ق

اظامادن آى الوى

بيروت ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

يطلب من دار النشر كلاوس شفارتزبرلين

<sup>2</sup> جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٤ م

<sup>3</sup> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأكبر في ديوانه ترجمان الأشواق:

بِاللّهِ قُولُوا أَيْنَ هُمْ  
فَهَلْ تُرِينِي عَيْنَهُمْ  
وَكَمْ سَأَلْتُ بَيْنَهُمْ  
وَمَا أَمِنْتُ بَيْنَهُمْ  
بَيْنَ النَّوَى وَبَيْنَهُمْ

أَحْبَابُ قَلْبِي أَيْنَ هُمْ  
كَمَا رَأَيْتُ طَيْفَهُمْ  
فَكَمْ وَكَمْ أَطْلُبُهُمْ  
حَتَّى أَمِنْتُ بَيْنَهُمْ  
لَعَلَّ سَعْدِي حَائِلٌ

فَلَا أَقُولُ أَيَّنَ هُمْ

لِتَنْعَمَ الْعَيْنُ بِهِمْ

إِلَى

أَسْتَازِي عَثْمَانَ يَحْيَى

رَحِمَهُ اللَّهُ

الفهرست

4

- ١- نماذج بعض الصفحات من مخطوط قونية ١٩٣٣ ..... أ
- ٢- عنوان كتاب فصوص الحكم وخصوص الكلم ..... ٦
- ٣- خطبة كتاب فصوص الحكم وخصوص الكلم ..... ٨
- ٤- [١] فصّ حكمة إلهية في كلمة آدمية ..... ١٤
- ٥- [٢] فصّ حكمة نفثية في كلمة شيثية ..... ٣٢
- ٦- [٣] فصّ حكمة سُبُوحِيَّة في كلمة نوحية ..... ٥٢
- ٧- [٤] فصّ حكمة قُدُوسِيَّة في كلمة إدرسية ..... ٧١
- ٨- [٥] فصّ حكمة مُهِيمِيَّة في كلمة إبراهيمية ..... ٨٤
- ٩- [٦] فصّ حكمة حَقِيَّة في كلمة إسحاقية ..... ٩٥
- ١٠- [٧] فصّ حكمة عَلِيَّة في كلمة إسماعيلية ..... ١١١
- ١١- [٨] فصّ حكمة رُوحِيَّة في كلمة يعقوبية ..... ١٢١
- ١٢- [٩] فصّ حكمة نورية في كلمة يوسفية ..... ١٣٠
- ١٣- [١٠] فصّ حكمة أَحَدِيَّة في كلمة هودية ..... ١٤٧

- ١٤- [١١] فصّ حكمة فاتحيّة في كلمة صالحيّة..... ١٦٦
- ١٥- [١٢] فصّ حكمة قلبيّة في كلمة شعبيّة..... ١٧٣
- ١٦- [١٣] فصّ حكمة ملكيّة في كلمة لوطيّة..... ١٨٩
- ١٧- [١٤] فصّ حكمة قدريّة في كلمة عزيريّة..... ١٩٨
- ١٨- [١٥] فصّ حكمة نبويّة في كلمة عيسويّة..... ٢١١
- ١٩- [١٦] فصّ حكمة رحمانيّة في كلمة سليمانيّة..... ٢٤٢
- ٢٠- [١٧] فصّ حكمة وجوديّة في كلمة داوديّة..... ٢٦٢
- ٢١- [١٨] فصّ حكمة نفسيّة في كلمة يونسيّة..... ٢٧٨
- ٢٢- [١٩] فصّ حكمة غيبيّة في كلمة أيوبيّة..... ٢٨٧
- ٢٣- [٢٠] فصّ حكمة جلاليّة في كلمة يحيويّة..... ٢٩٦
- ٢٤- [٢١] فصّ حكمة ما لكيّة في كلمة زكريّاويّة..... ٣٠١
- ٢٥- [٢٢] فصّ حكمة إيناسيّة في كلمة إلياسيّة..... ٣١١
- ٢٦- [٢٣] فصّ حكمة إحسانيّة في كلمة لقمانيّة..... ٣٢٤
- ٢٧- [٢٤] فصّ حكمة إماميّة في كلمة هارونيّة..... ٣٣١
- ٢٨- [٢٥] فصّ حكمة علويّة في كلمة موسويّة..... ٣٤٢
- ٢٩- [٢٦] فصّ حكمة صمديّة في كلمة خالديّة..... ٣٧٢
- ٣٠- [٢٧] فصّ حكمة فرديّة في كلمة محمديّة..... ٣٧٥
- ٣٤- الملحقات..... ٤٠٨

- ٣٥- ملحق ١: تعليقات داخل المخطوط..... ٤٠٩
- ٣٦- ملحق ٢: تحقيق في مسألة الذبيح..... ٤٢١
- ٣٧- ملحق ٣: تحقيق في خالد بن سنان..... ٤٢٦
- ٣٨- ملحق ٤: تخريج حديث التحول..... ٤٣٣

[١وجه]

6

كِتَابُ فُصُوصِ الْحِكَمِ وَخُصُوصِ الْكَلِمِ  
 إِنْشَاءُ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا، الْإِمَامِ الْعَالِمِ الرَّاسِخِ، الْفَرْدِ الْمُحَقَّقِ مُحْيِي  
 الْمِلَّةِ وَالِدَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْعَرَبِيِّ الطَّائِبِيِّ الْحَاتِمِيِّ  
 الْأَنْدَلُسِيِّ [٥٦٠ - ٦٣٨هـ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

رِوَايَةُ صَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُونَوِيِّ [٦٠٧ -  
 ٦٧٣هـ] عَنِّي.

قَرَأَ عَلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ الْوَلِيُّ الْعَارِفُ الْمُحَقَّقُ  
 الْمَشْرُوعُ الصِّدْرُ الْمُنَوَّرُ الذَّاتُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُونَوِيُّ مَالِكُ  
 هَذَا الْكِتَابِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ بِهِ عَنِّي.

وَكَتَبَ مُنْشِئُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ، فِي عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثِينَ  
 وَسِتِّمِائَةٍ [٦٣٠هـ].

[١ظهر]

7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.  
رَبِّ يَسِّرْ وَتَمِّمْ.

قَالَ سَيِّدُنَا وَشَيْخُنَا الْإِمَامُ الْعَالِمُ الرَّاسِخُ، الْفَرْدُ الْمُحَقَّقُ، مُحْيِي  
الْمِلَّةِ وَالِدَيْنِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَرَبِيُّ الطَّائِيُّ الْحَاتِمِيُّ  
الْأَنْدَلُسِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

[خُطْبَةُ الْمُؤَلِّفِ]

8

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْذُ زَلَّ الْحِكَمُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ بِأَحَدِيَّةِ الطَّرِيقِ الْأَمَمِ مِنَ  
الْمَقَامِ الْأَقْدَمِ وَإِنْ اخْتَلَفَتِ النَّحْلُ وَالْمِلَلُ لِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُمِدِّ الْهَمَمِ، مِنْ خَزَائِنِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ، بِالْقِيلِ  
الْأَقْوَمِ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم.  
أَمَّا بَعْدُ:

9

فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّم فِي مُبَشِّرَةٍ أُرِيَتْهَا  
فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ [٦٢٧ هـ]  
بِمَحْرُوسَةٍ دِمَشْقَ، وَبِيَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّم كِتَابٌ.  
فَقَالَ لِي: «هَذَا كِتَابُ فُصُوصِ الْحِكَمِ. خُذْهُ وَأَخْرِجْ بِهِ إِلَى النَّاسِ  
يَنْتَفِعُونَ بِهِ».

فَقُلْتُ: «السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنَّا، كَمَا أُمِرْنَا».

10

فَحَقَّقْتُ الْأُمْنِيَّةَ، وَأَخْلَصْتُ الذِّيَّةَ، وَجَرَدْتُ الْقَصْدَ وَالْهَمَّةَ إِلَى إِبْرَارِ

هَذَا الْكِتَابُ كَمَا حَدَّثَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا  
نُقْصَانٍ.

وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي فِيهِ وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِي مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ لَيْسَ  
لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَأَنْ يَخْصِنِي فِي جَمِيعِ مَا يَرْقُمُهُ بَنَائِي، وَيَنْطِقُ  
بِهِ وَيَنْطَوِي عَلَيَّ هَذَا جَنَائِي، بِإِلْقَاءِ السُّبُوحِ وَالنَّفْثِ الرَّوحِيِّ  
لِسَانِي، فِي

الرُّوعِ النَّفْسِيِّ بِالتَّأْيِيدِ الْعَتَصَامِيِّ، حَتَّى أَكُونَ مُتَرَجِّمًا لَا مُتَحَكِّمًا،  
لِيَتَحَقَّقَ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، أَصْحَابِ الْقُلُوبِ، أَنَّهُ مِنْ مَقَامِ  
التَّقْدِيسِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الْأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَدْخُلُهَا التَّلَاسُّسُ.

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ تَعَالَى لَمَّا سَمِعَ دُعَائِي، قَدْ أَجَابَ [۲ وجهه]  
نِدَائِي، فَمَا أُلْقِيَ إِلَّا مَا يُلْقَى إِلَيَّ، وَلَا أُنْزِلَ فِي هَذَا الْمَسْطُورِ إِلَّا مَا  
يُنْزَلُ بِهِ عَلَيَّ. وَلَسْتُ بِنَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ، وَلَكِنِّي وَارِثٌ، وَلَا خِرْتِي حَارِثٌ.

[مجزوء الخفيف]

- |                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ۱- فَمِنْ اللَّهِ فَاسْمَعُوا  | وَأِلَى اللَّهِ فَارْجِعُوا     |
| ۲- فَإِذَا سَمِعْتُمْ مَا      | أَتَيْتُمْ بِهِ، فَعُودُوا      |
| ۳- ثُمَّ بِالْفَهْمِ فَصَلُّوا | مُجْمِلَ الْقَوْلِ وَأَجْمَعُوا |
| ۴- ثُمَّ مَنُوا بِهِ عَلَى     | طَالِبِيهِ لَا تَمْنَعُوا       |
| ۵- هَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي  | وَسِعَتْكُمْ فَوَسَّعُوا        |

وَمِنْ اللَّهِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ أَيْدٍ فَتَائِدٍ، وَأَيْدٍ وَقِيدٍ بِالشَّرْعِ  
الْمُحَمَّدِيِّ الْمُطَهَّرِ فَتَقِيدٍ وَقِيدٍ. وَحَشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، كَمَا جَعَلْنَا مِنْ

أُمَّتِهِ.

فَأَوَّلُ مَا أَلْقَاهُ الْمَالِكُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ:

[بقية النص المكمل لهذه الصفحة في الصفحة التالية]

[١] ﴿فَصُ حِكْمَةَ إِلَهِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ أَدْمِيَّةٍ﴾

14

لَمَّا شَاءَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَبْلُغُهَا

الْإِحْصَاءُ أَنْ يَرَى أَعْيَانَهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: أَنْ يَرَى عَيْنَهُ فِي كَوْنٍ

جَامِعٍ يَحْصُرُ الْأَمْرَ لِكَوْنِهِ مُتَّصِفًا بِالْوُجُودِ، وَيُظْهِرُ بِهِ سِرَّهُ إِلَيْهِ.

15

فَإِنَّ رُؤْيَا الشَّيْءِ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، مَا هِيَ مِثْلُ رُؤْيَا نَفْسِهِ فِي أَمْرٍ آخَرَ،

يَكُنْ وَنُ لَهُ كَالْمِرَاةِ، فَإِنَّهُ تَظْهَرُ لَهُ نَفْسُهُ فِي صُورَةٍ يُعْطِيهَا الْمَحَلُّ الْمَنْظُورُ

فِيهِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ وُجُودِ هَذَا الْمَحَلِّ، وَلَا تَجَلِّيهِ لَهُ.

وَقَدْ كَانَ الْحَقُّ أَوْجَدَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَجُودَ شَبَحٍ مُسَوَّى، لَا رُوحَ فِيهِ،

فَكَانَ كَمِرَاةٍ غَيْرِ مَجْلُوءَةٍ. وَمِنْ شَأْنِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ مَا سَوَّى مَحَلًّا إِلَّا

16

وَلَا بُدَّ أَنْ يَقْبَلَ رُوحًا إِلَهِيًّا عَبَّرَ عَنْهُ بِالنَّفْخِ فِيهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا حُصُولُ

الْأُسْتِعْدَادِ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُسَوَّاةِ [٢ظهر] لِقَبُولِ الْفَيْضِ الْمُتَجَلِّي

الدَّائِمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ.

وَمَا بَقِيَ إِلَّا قَابِلٌ، وَالْقَابِلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَيْضِهِ الْأَقْدَسِ.

فَالأَمْرُ كُلُّهُ :. مِنْهُ :. أَبْتَدَأُوهُ وَأَنْتَهَاؤُهُ — ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

[هود : ١٢٣] — كَمَا أُبْتَدَأَ مِنْهُ.

فَأَقْتَضَى الْأَمْرُ جَلَاءَ مِرَاةِ الْعَالَمِ؛ فَكَانَ أَدَمُ عَيْنَ جَلَاءِ تِلْكَ الْمِرَاةِ،  
وَرُوحَ تِلْكَ الصُّورَةِ.

وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ بَعْضِ قُوَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ صُورَةُ الْعَالَمِ  
الْمُعَبَّرِ عَنْهُ فِي أَصْطِلَاحِ الْقَوْمِ بِالْإِنْسَانِ الْكَبِيرِ.

فَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ لَهُ كَالْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ الَّتِي فِي النِّشْأَةِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَكُلُّ قُوَّةٍ مِنْ هَا مَحْجُوبَةٌ بِنَفْسِهِ أ، لَا تَرَى أَفْضَلَ مِنْ ذَاتِهَا، وَأَنَّ فِي هَا —  
فِيمَا تَزْعُمُ — الْأَهْلِيَّةَ لِكُلِّ مَنْصِبٍ عَالٍ، وَمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، لِمَا  
عِنْدَهَا مِنَ الْجَمْعِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ.

بَيْنَ مَا يَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ، وَإِلَى جَانِبِ حَقِيقَةِ  
الْحَقَائِقِ، وَفِي النِّشْأَةِ الْحَامِلَةِ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعَةُ  
لِلْكُلِّ الَّتِي حَصَرَتْ قَوَابِلَ الْعَالَمِ كُلِّهِ، أَعْلَاهُ وَأَسْفَلَهُ.

وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ عَقْلٌ، بِطَرِيقِ نَظَرٍ فِي كُرِّيٍّ، بَلْ هَذَا الْفَنُّ مِنَ الْإِدْرَاكِ  
لَا يَكُنْ وَنُ إِلَّا عَنْ كَشْفِ إِلَهِيٍّ .: مِنْ هُ .: يُعْرِفُ مَا أَصْلُ صُورِ الْعَالَمِ الْقَابِلِ  
لِلرُّوَاكِهِ، فَسَمَى هَذَا الْمَذْكَورَ إِنْسَانًا وَخَلِيفَةً؛ فَأَمَّا إِنْسَانِيَّتُهُ فَلِعُمُومِ نَشْأَتِهِ،  
وَحَصْرِهِ الْحَقَائِقَ كُلَّهَا، وَهُوَ لِلْحَقِّ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانِ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ الَّذِي بِهِ  
يَكُونُ النَّظَرُ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْبَصَرِ.

فَلِهَذَا سُمِّيَ إِنْسَانًا، فَإِنَّهُ بِهِ نَظَرَ الْحَقَّ إِلَى خَلْقِهِ فَرَحِمَهُمْ.



فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَادِثُ الْأَزَلِيِّ، وَالنَّشْءُ الدَّائِمُ الْأَبَدِيُّ، وَالْكَلِمَةُ الْفَاصِلَةُ  
الْجَامِعَةُ. فَتَمَّ الْعَالَمُ بِوُجُودِهِ.

فَهُوَ مِنَ الْعَالَمِ كَفَصِّ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَاتَمِ، هُوَ مَحَلُّ النَّقْشِ: . وَالْعَلَامَةُ: .

الَّتِي بِهَا يَخْتَمُ الْمَلِكُ عَلَى خِزَانَتِهِ. وَسَمَاهُ خَلِيفَةً مِنْ أَجْلِ هَذَا.

لَأَنَّهُ تَعَالَى الْحَافِظُ خَلْقَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْخَتَمُ [٣وجه] الْخَزَائِنَ. فَمَا دَامَ

خَتَمُ الْمَلِكِ عَلَيْهَا، لَا يَجُورُ سُرٌّ أَحَدٌ عَلَى فَتْحِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ. فَاسْتَخْلَفَهُ فِي

حِفْظِ الْعَالَمِ، فَلَا يَزَالُ الْعَالَمُ مَحْفُوظًا، مَا دَامَ فِيهِ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ.

أَلَا تَرَاهُ إِذَا زَالَ، وَفَكَ مِنْ خِزَانَةِ الدُّنْيَا، لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَا أُخْتِزَنَ الْحَقُّ

فِيهَا، وَخَرَجَ مَا كَانَ فِيهَا، وَالتَّحَقَّ بَعْضُهُ بِبَعْضِهِ، وَانْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى

الْآخِرَةِ، فَكَانَ خَتَمًا عَلَى خِزَانَةِ الْآخِرَةِ خَتَمًا أَبَدِيًّا.

فَظَهَرَ جَمِيعُ مَا فِي الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ

الْإِنْسَانِيَّةِ. فَحَازَتْ رُتْبَةَ الْإِحَاطَةِ وَالْجَمْعِ، بِهَذَا الْوُجُودِ، وَبِهِ قَامَتِ الْحُجَّةُ

لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

فَتَحَفَّظَ، فَقَدْ وَعَظَكَ اللَّهُ بِغَيْرِكَ، وَأَنْظُرْ مِنْ أَيْنَ أَتَى عَلَى مَنْ أَتَى

عَلَيْهِ. فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَقِفْ مَعَ مَا تُعْطِيهِ نَشْأَةُ هَذَا الْخَلِيفَةِ، وَلَا

وَقَفَتْ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ حَضْرَةُ الْحَقِّ مِنَ الْعِبَادَةِ الذَّاتِيَّةِ.

فَإِنَّهُ مَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا تُعْطِيهِ ذَاتُهُ. وَلَيْسَ لِلْمَلَائِكَةِ جَمْعٌ عِيَّةٌ

أَدَمَ،

وَلَا وَقَفْتَ مَعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَخُصُّهَا، وَسَبَّحْتَ الْحَقَّ بِهَا  
 وَقَدَّسْتَهُ، وَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَسْمَاءٌ، مَا وَصَلَ إِلَيْهَا إِيَّاهَا، فَمَا سَبَّحْتَهُ بِهَا وَلَا  
 قَدَّسْتَهُ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ، وَحَكَمَ عَلَيْهَا هَذَا الْحَالُ، فَقَالَتْ — مِنْ  
 حَيْثُ النِّشَاءُ — : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾، [سورة البقرة : ٣٠].  
 وَلَيْسَ إِلَّا النَّزَاعُ وَهُوَ عَيْنُ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ، فَمَا قَالُوا فِي حَقِّ آدَمَ، هُوَ عَيْنُ  
 مَا هُمْ فِيهِ مَعَ الْحَقِّ.

فَلَوْلَا أَنَّ نَشَأَتَهُمْ تُعْطِي ذَلِكَ، مَا قَالُوا فِي حَقِّ آدَمَ مَا قَالُوهُ، وَهُمْ لَا  
 يَشْعُرُونَ. فَلَوْ عَرَفُوا نَفْسَهُمْ لَعَلِمُوا، وَلَوْ عَلِمُوا لَعَصِمُوا. ثُمَّ لَمْ يَقِفُوا مَعَ  
 التَّجْرِيعِ، حَتَّى زَادُوا فِي الدَّعْوَى بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ.  
 وَعِنْدَ آدَمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ مَا لَمْ تَكُنِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا، [٣ظه ر] فَمَا  
 سَبَّحَتْ رَبَّهَا بِهَا، وَلَا قَدَّسَتْهُ عَنْهَا تَقْدِيسَ آدَمَ وَتَسْبِيحَهُ.

فَوَصَفَ الْحَقُّ لَنَا مَا جَاءَ رَى لِنَقِفَ عِنْدَهُ، وَنَتَعَلَّمَ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى،  
 فَلَا نَدَّعِي — مَا أَنَا مُدَّعِيٌّ بِهِ وَحَاوِي عَلَيْهِ — بِأَلْتَقِي بِهِ. فَدَ أَنْ نُطْلِقَ  
 كَيْفَ

21

الدَّعْوَى، فَنَعْمَ بِهَا مَا لَيْسَ لِي بِحَالٍ، وَلَا أَنَا مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ فَتَفْتَضِحُ ؟  
 فَهَذَا التَّعْرِيفُ الْإِلَهِيُّ مِمَّا أَدَّبَ الْحَقُّ بِهِ عِبَادَهُ الْأَدَبَاءَ الْأُمَنَاءَ  
 الْخُلَفَاءَ.

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْحِكْمَةِ فَنَقُولُ:  
 أَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ — وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ فِي عَيْنِهَا —

فَهِيَ مَعْقُولَةٌ مَعْلُومَةٌ بِلَا شَكٍّ فِي الذَّهْنِ، فَهِيَ بَاطِنَةٌ لَا تُزَالُ عَنِ الْوُجُودِ  
الْعَيْنِيِّ. وَلَهَا الْحُكْمُ وَالْأَثَرُ فِي كُلِّ مَا لَهُ وَجُودٌ عَيْنِيٌّ. بَلْ هُوَ عَيْنُهَا لَا  
غَيْرُهَا؛ أَعْنِي: أَعْيَانُ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ.

وَلَمْ تَزَلْ عَنْ كَوْنِهِ أَوْ مَعْقُولَةً فِي نَفْسِهِ أَوْ فَهِيَ الظَّاهِرَةُ مِنْ حَيْثُ أَعْيَانُ  
الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا هِيَ الْبَاطِنَةُ مِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَّتُهَا.

فَأَسْتِنَادُ كُلِّ مَوْجُودٍ عَيْنِيٍّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ رَفْعُهَا  
عَنِ الْعَقْلِ، وَلَا يُمَكِّنُ وُجُودَهَا فِي الْعَيْنِ وَجُودًا تَزُولُ بِهِ عَنْ أَنْ تَكُونَ  
مَعْقُولَةً.

وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمَوْجُودُ الْعَيْنِيُّ مُوقَّتًا أَوْ غَيْرَ مُوقَّتٍ، نِسْبَةُ الْمُوقَّتِ  
وَغَيْرِ الْمُوقَّتِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ الْمَعْقُولِ نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ.

غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْكُلِّيَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حُكْمٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ  
بِحَسَبِ مَا تَطْلُبُهُ حَقَائِقُ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، كَنِسْبَةِ الْعِلْمِ إِلَى  
الْعَالِمِ، وَالْحَيَاةِ إِلَى الْحَيِّ، فَالْحَيَاةُ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ، وَالْعِلْمُ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ  
مُتَمَيِّزَةٌ عَنِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَنَّ هِيَ الْحَيَاةُ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ هِ، ثُمَّ نَقُولُ فِي الْحَقِّ  
تَعَالَى:

إِنَّ لَهُ عِلْمًا وَحَيَاةً، فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَنَقُولُ فِي الْمَلِكِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْمًا،  
فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَنَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْمًا، فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ.  
وَحَقِيقَةُ الْعِلْمِ وَاحِدَةٌ. وَحَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَاحِدَةٌ. وَنَسَبْتُهَا إِلَى الْعَالِمِ وَالْحَيِّ  
نِسْبَةً وَاحِدَةً. [٤٥ وجه] وَنَقُولُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ: إِنَّهُ قَدِيمٌ. وَفِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ:

إِنَّهُ مُحَدَّثٌ. فَانْظُرْ مَا أَحَدَّثَتْهُ الْإِضَافَةُ مِنَ الْحُكْمِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ  
الْمَعْقُولَةِ.

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْارْتِبَاطِ بَيْنَ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، فَكَمَا  
حَكَمَ الْعِلْمُ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: «عَالِمٌ»، حَكَمَ الْمَوْصُوفُ بِهِ  
عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَادِثٌ فِي حَقِّ الْحَادِثِ؛ قَدِيمٌ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ. فَصَارَ كُلُّ  
وَاحِدٍ مَحْكُومًا بِهِ، مَحْكُومًا عَلَيْهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ — وَإِنْ كَانَتْ مَعْقُولَةً — فَإِنَّهَا  
مَعْدُومَةُ الْعَيْنِ، مَوْجُودَةُ الْحُكْمِ، كَمَا هِيَ مَحْكُومٌ عَلَيْهَا إِذَا نُسِبَتْ إِلَى  
الْمَوْجُودِ الْعَيْنِيِّ.

فَتَقَبَّلَ الْحُكْمَ فِي الْأَعْيَانِ الْمَوْجُودَةِ، وَلَا تَقَبَّلُ التَّفْصِيلَ، وَلَا  
التَّجْزِيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ عَلَيْهَا. فَإِنَّهَا بِذَاتِهَا فِي كُلِّ مَوْصُوفٍ بِهَا،  
كَالْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ شَخْصٍ، شَخْصٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ الْخَاصِّ، لَمْ يَتَفَصَّلْ وَلَمْ  
يَتَعَدَّدْ بِتَعَدُّدِ الْأَشْخَاصِ. وَلَا بَرَحَتْ مَعْقُولَةً.

وَإِذَا كَانَ الْارْتِبَاطُ بَيْنَ مَنْ لَهُ وُجُودٌ عَيْنِيٌّ، وَبَيْنَ مَنْ لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ  
عَيْنِيٌّ، قَدْ ثَبَتَ — وَهِيَ نِسْبُ عَدَمِيَّةٌ — فَارْتِبَاطُ الْمَوْجُودَاتِ بَعْضُهَا  
بِبَعْضٍ أَقْرَبُ أَنْ يُعْقَلَ لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بَيْنَهَا جَامِعٌ، وَهُوَ الْوُجُودُ الْعَيْنِيُّ.  
وَهُنَا كَ، فَمَا تَمَّ جَامِعٌ، وَقَدْ وُجِدَ الْارْتِبَاطُ بِعَدَمِ الْجَامِعِ، فَبِالْجَامِعِ أَقْوَى  
وَأَحَقُّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُحَدَّثَ قَدْ ثَبَتَ حُدُوثُهُ وَأَفْتَقَارُهُ إِلَى مُحَدِّثٍ أَحَدَتَهُ  
لِإِمْكَانِهِ لِنَفْسِهِ، فَوُجُودُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ يَرْتَبِطُ بِهِ أُرْتِبَاطُ أَفْتِقَارٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ  
يَكُونَ الْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ غَدِيًّا فِي وُجُودِهِ بِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُفْتَقِرٍ،  
وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى الْوُجُودَ بِذَاتِهِ لِهَذَا الْحَادِثِ، فَانْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا اقْتَضَاهُ  
لِذَاتِهِ كَانَ وَاجِبًا بِهِ.

وَلَمَّا كَانَ أَسْتِنَادُهُ إِلَى مَنْ [أظهر] ظَهَرَ عَنْهُ لِذَاتِهِ، اقْتَضَى أَنْ يَكُونَ  
عَلَى صُورَتِهِ فِيمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَسْمٍ وَصِفَةٍ مَا عَدَا الْوُجُوبَ  
الذَّاتِيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ فِي الْحَادِثِ، وَإِنْ كَانَ وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَلَكِنْ  
وُجُوبُهُ بِغَيْرِهِ لَا بِنَفْسِهِ.

ثُمَّ لَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْنَا مِنْ ظُهُورِهِ تَصَوَّرْتَهُ، أَحَالَنَا  
تَعَالَى فِي الْعِلْمِ بِهِ عَلَى النَّظَرِ فِي الْحَادِثِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرَانَا آيَاتِهِ فِيهِ.  
فَأَسْتَدَّ لَنَا بِنَا عَلَيْهِ، فَمَا وَصَفْنَاهُ بِوَصْفٍ إِلَّا كُنَّا نَحْنُ ذَلِكَ الْوَصْفُ،  
إِلَّا الْوُجُوبَ الْخَاصَّ الذَّاتِيَّ.

فَلَمَّا عَلِمْنَاهُ بِنَا وَمِنَّا، نَسَبْنَا إِلَيْهِ كُلَّ مَا نَسَبْنَاهُ إِلَيْنَا. وَبِذَلِكَ وَرَدَتْ  
الْإِخْبَارَاتُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى السِّنَةِ التَّرَاجِمِ إِلَيْنَا.  
فَوَصَفَ نَفْسَهُ لَنَا بِنَا، فَإِذَا شَهِدْنَاهُ، شَهِدْنَا نَفُوسَنَا، وَإِذَا شَهِدْنَا، شَهِدَ  
نَفْسَهُ.

وَلَا نَشْكُ أَنَّ كَثِيرُونَ بِالشَّخْصِ وَالنَّوْعِ، وَأَنَا — وَإِنْ كُنَّا عَلَى حَقِيقَةٍ

وَاحِدَةٍ تَجْمَعُنَا، — فَنَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ تَمَّ فَارِقًا بِهِ تَمَيَّزَتِ الْأَشْخَاصُ بَعْضُهَا  
عَنْ بَعْضٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْكَثْرَةُ فِي الْوَاحِدِ.  
فَكَذَلِكَ أَيْضًا، وَإِنْ وَصَفْنَا هُ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ مِنْ جَمِي عِ الْوُجُوهِ فَلَا بُدَّ  
مِنْ فَارِقٍ.

وَلَيْسَ إِلَّا أَفْتَقَرْنَا إِلَيْهِ فِي الْوُجُودِ، وَتَوَقَّفَ وُجُودُنَا عَلَيْهِ؛ لِإِمْكَانِنَا  
وَعِغَاهُ عَنْ مِثْلِ مَا أَفْتَقَرْنَا إِلَيْهِ.  
فَبِهَذَا صَحَّ لَهُ الْأَزَلُّ وَالْقَدَمُ الَّذِي أُنْتَفَتَّ عَنْهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لَهَا أَفْتَتَاحُ  
الْوُجُودِ عَنْ عَدَمٍ، فَلَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مَعَ كَوْنِهِ «الْأَوَّلُ»، وَلِهَذَا قِيلَ فِيهِ  
«الْآخِرُ». فَلَوْ كَانَتْ أَوَّلِيَّةً تَهَّ أَوَّلِيَّةً وَجُودِ التَّقْيِيدِ، لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ الْآخِرُ  
لِلْمُقَيَّدِ، لِأَنَّهُ لَا آخِرَ لِلْمُمْكِنِ، لِأَنَّ الْمُمْكِنَاتِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، فَلَا آخِرَ لَهَا،  
وَإِنَّمَا كَانَ آخِرًا لِرُجُوعِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ، بَعْدَ نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، فَهُوَ الْآخِرُ  
فِي عَيْنِ أَوَّلِيَّتِهِ، وَالْأَوَّلُ فِي عَيْنِ آخِرِيَّتِهِ.

ثُمَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ [وَجْه] بَاطِنٌ، فَأَوْجَدَ  
الْعَالَمَ؛ عَالَمَ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ، لِنُدْرِكَ الْبَاطِنَ بِغَيْبِنَا، وَالظَّاهِرَ بِشَهَادَتِنَا.  
وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ.

وَأَوْجَدَ الْعَالَمَ ذَا خَوْفٍ وَرَجَاءٍ، فَخَافُ غَضَبَهُ، وَنَرْجُو رِضَاهُ.  
وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ جَمِيلٌ، وَذُو جَلَالٍ، فَأَوْجَدَنَا عَلَى هَيْبَةٍ وَأُنْسٍ،  
وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَيُسَمَّى بِهِ.

فَعَبَّرَ عَنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِـ«الْيَدَيْنِ» اللَّتَيْنِ تَوَجَّهَتَا مِنْهُ عَلَى خَلْقِ

الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ؛ لِكُونِهِ الْجَامِعَ لِحَقَائِقِ الْعَالَمِ وَمُفْرَدَاتِهِ.

فَالْعَالَمُ شَهَادَةٌ، وَالْخَلِيفَةُ غَيْبٌ، وَلِهَذَا يُحْجَبُ السُّلْطَانُ.

وَوَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْحُجُبِ الظُّلُمَانِيَّةِ — وَهِيَ الْأَجْسُ أَمْ الطَّبِيعِيَّةُ —  
وَالنُّورِيَّةِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ اللَّطِيفَةُ.

وَالْعَالَمُ بَيْنَ كَثِيفٍ وَلَطِيفٍ، وَهُوَ عَيْنُ الْحِجَابِ عَلَى نَفْسِهِ.

فَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِدْرَاكَهُ نَفْسَهُ. فَلَا يَزَالُ فِي حِجَابٍ لَا يُرْفَعُ، مَعَ عِلْمِهِ

بِأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْ مُوَجِّدِهِ بِاِفْتِقَارِهِ، وَلَكِنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي وُجُوبِ الْوُجُودِ

الذَّاتِيِّ الَّذِي لَوْجُودِ الْحَقِّ. فَلَا يُدْرِكُهُ أَبَدًا، فَلَا يَزَالُ الْحَقُّ مِنْ هَذِهِ

الْحَقِيقَةِ غَيْرَ مَعْلُومٍ، عِلْمَ ذَوْقٍ وَشُهُودٍ؛ لِأَنَّهُ لَا قِدَمَ لِلْحَادِثِ فِي ذَلِكَ.

فَمَا جَمَعَ اللَّهُ لَادَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا تَشْرِيفًا، وَلِهَذَا قَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ

أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾، [سورة ص: ٧٥] وَمَا هُوَ إِلَّا عَيْنُ جَمْعِهِ بَيْنَ

الصُّورَتَيْنِ؛ صُورَةِ الْعَالَمِ، وَصُورَةِ الْحَقِّ، وَهُمَا يَدَا الْحَقِّ.

وَإِبْلِيسُ جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ.

وَلِهَذَا كَانَ آدَمُ خَلِيفَةً. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا بِصُورَةٍ مَنِ اسْتَخْلَفَهُ فِيمَا

اسْتَخْلَفَهُ فِيهِ، فَمَا هُوَ خَلِيفَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جَمِيعُ مَا تَطْلُبُهُ الرَّاغِبَاتُ  
ي

اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا — لِأَنَّ أَسْتَنْ آدَمًا إِلَيْهِ — فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِجَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ

إِلَيْهِ، وَإِلَّا، فَلَيْسَ بِخَلِيفَةٍ عَلَيْهِمْ.

فَمَا صَحَّتِ الْخِلَافَةُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ الْكَامِلِ.

فَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ حَقَائِقِ الْعَالَمِ . وَصَوَّرَهُ، وَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ عَلَى صُورَتِهِ تَعَالَى.

وَلِذَلِكَ [٥ظهر] قَالَ فِيهِ: « كُنْتُ سَمِعُهُ وَبَصَرَهُ » ، مَا قَالَ: « كُنْتُ

عَيْنَهُ وَأَذَنَهُ ». فَفَرَّقَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ.

وَهَكَذَا هُوَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الْعَالَمِ بِقَدْرِ مَا تَطْلُبُهُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْمَوْجُودِ.

لَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَجْمُوعُ مَا لِلْخَلِيفَةِ.

فَمَا فَازَ إِلَّا بِالْمَجْمُوعِ.

وَلَوْلَا سَرِيَانُ الْحَقِّ فِي الْمَوْجُودَاتِ بِالصُّورَةِ، مَا كَانَ لِلْعَالَمِ وُجُودٌ، كَمَا

أَنَّهُ لَوْلَا تِلْكَ الْحَقَائِقُ الْمَعْقُولَةُ الْكُلِّيَّةُ مَا ظَهَرَ حُكْمُ فِي الْمَوْجُودَاتِ

الْعَيْنِيَّةِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ كَانَ الْاِفْتِقَارُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَى الْحَقِّ فِي وُجُودِهِ.

[البسيط]

١- فَاكُلْ مُفْتَقِرٌ مَا الْكُلُّ مُسْتَعْنٍ      هَذَا هُوَ الْحَقُّ قَدْ قُلْنَا لَهُ لَا نَكْنِي  
٢- فَإِنْ ذَكَرْتَ غَنِيًّا لَا اِفْتِقَارَ بِهِ      فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي يَقُولُنَا نَعْنِي

٣- فَاكُلْ بِالْكُلِّ مَرْبُوطٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنْهُ اِنْفِصَالٌ خُذُوا مَا قُلْتُهُ عَنِّْي

فَقَدْ عَلِمْتَ حِكْمَةَ نَشْأَةِ جَسَدِ آدَمَ؛ اَعْنِي: صُورَتَهُ الظَّاهِرَةَ.

وَقَدْ عَلِمْتَ نَشْأَةَ رُوحِ آدَمَ؛ اَعْنِي: صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ، فَهُوَ الْحَقُّ الْخَلْقُ.



وَقَدْ عَلِمْتَ نَشْأَةَ رُتْبَتِهِ؛ وَهِيَ الْمَجْمُوعُ الَّذِي بِهِ أُسْتَحَقَّ الْخِلَافَةُ.

فَادَمُ هُوَ النَّفْسُ الْوَاحِدَةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا هَذَا النَّوعُ الْإِنْسَانِيُّ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. [سورة النساء : ١]

فَقَوْلُهُ: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾؛ [سورة النساء : ١] أَجْعَلُوا مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ، وَقَايَةَ

لِرَبِّكُمْ، وَأَجْعَلُوا مَا بَطَنَ مِنْكُمْ — وَهُوَ رَبُّكُمْ — وَقَايَةَ لَكُمْ. فَإِنَّ الْأُمَّرَ

ذُمَّ وَحَمْدٌ . فَكُونُوا وَقَايَتَهُ فِي الدَّمِ، وَأَجْعَلُوهُ وَقَايَتَكُمْ فِي الْحَمْدِ، تَكُونُوا

أَدَبَاءَ عَالَمِينَ.

29

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى مَا أَوْدَعَ فِيهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي قَبْضَتِي هُ: الْقَبْضَةُ

الْوَاحِدَةُ فِيهَا الْعَالَمُ. وَالْقَبْضَةُ الْأُخْرَى: أَدَمُ وَبَنُوهُ. وَبَيْنَ مَرَاتِبِهِمْ فِيهِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَمَّا أَطْلَعَنِي اللَّهُ — فِي سِرِّي — عَلَى مَا أَوْدَعَ

فِي هَذَا الْإِمَامِ الْوَالِدِ الْأَكْبَرِ، جَعَلْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ هَذَا مَا حَدَّثَ لِي،

وَقَفْتُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَسَعُهُ كِتَابُ [٦ وجه] وَلَا الْعَالَمُ الْمَوْجُودُ الْآنَ.

فَمِمَّا أَشْهَدُهُ مِمَّا نُودِعُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، كَمَا أَحَدَهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[١] حِكْمَةُ إِلَهِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ أَدَمِيَّةٍ. وَهُوَ هَذَا الْبَابُ.

[٢] ثُمَّ حِكْمَةُ نَفْثِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ شَيْثِيَّةٍ.

[٣] ثُمَّ حِكْمَةُ سُبُوحِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ نُوحِيَّةٍ.

[٤] ثُمَّ حِكْمَةٌ قُدُوسِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ إِدْرِيسِيَّةٍ.

[٥] ثُمَّ حِكْمَةٌ مُهِمِّيَّةٌ فِي كَلِمَةِ إِبْرَاهِيمِيَّةٍ.

[٦] ثُمَّ حِكْمَةٌ حَقِّيَّةٌ فِي كَلِمَةِ إِسْحَاقِيَّةٍ.

[٧] ثُمَّ حِكْمَةٌ عَلِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ.

[٨] ثُمَّ حِكْمَةٌ رُوحِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يَعْقُوبِيَّةٍ.

[٩] ثُمَّ حِكْمَةٌ نُورِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يُوسُفِيَّةٍ.

[١٠] ثُمَّ حِكْمَةٌ أَحَدِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ هُودِيَّةٍ.

[١١] ثُمَّ حِكْمَةٌ فَاتِحِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ صَالِحِيَّةٍ.

[١٢] ثُمَّ حِكْمَةٌ قَلْبِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ شُعَيْبِيَّةٍ.

[١٣] ثُمَّ حِكْمَةٌ مَلَكِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ لُوطِيَّةٍ.

[١٤] ثُمَّ حِكْمَةٌ قَدْرِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ عَزِيزِيَّةٍ.

[١٥] ثُمَّ حِكْمَةٌ نَبَوِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ عِيسَوِيَّةٍ.

[١٦] ثُمَّ حِكْمَةٌ رَحْمَانِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ سُلَيْمَانِيَّةٍ.

[١٧] ثُمَّ حِكْمَةٌ وَجُودِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ دَاوُدِيَّةٍ.

[١٨] ثُمَّ حِكْمَةٌ نَفْسِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يُونُسِيَّةٍ.

[١٩] ثُمَّ حِكْمَةٌ غَيْبِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ أَيُّوبِيَّةٍ.

[٢٠] ثُمَّ حِكْمَةٌ جَلَالِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يَحْيَوِيَّةٍ.

[٢١] ثُمَّ حِكْمَةٌ مَالِكِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ زَكَرِيَّاوِيَّةٍ.

[٢٢] ثُمَّ حِكْمَةُ إِيْنَسِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِيْْيَاسِيَّةٍ.

[٢٣] ثُمَّ حِكْمَةُ إِيْحْسَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ لُقْمَانِيَّةٍ.

[٢٤] ثُمَّ حِكْمَةُ إِمَامِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هَارُونِيَّةٍ.

[٢٥] ثُمَّ حِكْمَةُ عُلُوِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ مُوسَوِيَّةٍ.

[٢٦] ثُمَّ حِكْمَةُ صَمْدِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ خَالِدِيَّةٍ.

[٢٧] ثُمَّ حِكْمَةُ فَرْدِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ فِي كَلِمَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ.

وَفَصُّ كُلِّ حِكْمَةٍ، الْكَلِمَةُ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهَا. فَأَقْ تَصَرَّتْ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ

مِنْ هَذِهِ الْحِكَمِ، فِي هَذَا الْكِتَابِ، عَلَى حَدِّ مَا ثَبَتَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ.

فَأَمْتُ خَلْتُ مَا رُسِمَ لِي، وَوَقَفْتُ عِنْدَ مَا حُدَّ لِي، وَلَوْ رُمْتُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ مَا

أَسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْخَضِرَةَ تَمْنَعُ ذَلِكَ. وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ.

[٦٦ظهر]

وَمِنْ ذَلِكَ:

[بَقِيَّةُ النَّصِّ مَكْمَلَةٌ لِهَذِهِ الصَّفْحَةِ فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ]

[٢] حِكْمَةُ نَفْثِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ شَيْثِيَّةٍ

32

أَعْلَمُ أَنَّ الْعَطَايَا وَالْمِنْحَ الظَّاهِرَةَ فِي الْكَوْنِ — عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ وَعَلَى

غَيْرِ أَيْدِيهِمْ — عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا، مَا تَكُونُ عَطَايَا ذَاتِيَّةً وَعَطَايَا أَسْمَائِيَّةً،

وَتَتَمَيَّزُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَدْوَابِ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا مَا تَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ فِي مُعَيَّنٍ، وَعَنْ سُؤَالٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ.

وَمِنْهَا: مَا لَا يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ الْأَعْطِيَّةُ ذَاتِيَّةً أَوْ أَسْمَائِيَّةً.

فَالْمُعَيِّنُ كَمْ نَقُولُ: «يَا رَبِّ أَعْطِنِي كَذَا». فِي عَيْنِ أَمْرٍ مَا، لَا يَخْطُرُ لَهُ سِوَاهُ. وَغَيْرُ الْمُعَيِّنِ كَمْ يَقُولُ: «يَا رَبِّ أَعْطِنِي مَا تَعْلَمُ فِيهِ مَصْلَحَتِي»، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ ذَاتِي، مِنْ لَطِيفٍ وَكَثِيفٍ.

33

وَالسَّائِلُونَ صِنْفَانِ: صِنْفٌ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ الْأُسْتَعْجَالُ الطَّبِيعِيُّ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ عَجُولًا.

وَالصَّنْفُ الْآخَرُ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّ ثَمَّ أُمُورًا عِنْدَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ الْعِلْمُ بِأَنَّهَا لَا تُتَأَلَّ إِلَّا بِعَدَسِ السُّؤَالِ. فَنَقُولُ: فَلَعَلَّ مَا نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ يَكُونُ

مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَسُؤَالُهُ أَحْتِيَاطٌ لِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا مَا يُعْطِيهِ أَسْتِعْدَادُهُ فِي الْقَبُولِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَغْمَضِ الْمَعْلُومَاتِ، الْوُقُوفُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَرْدٌ عَلَى أَسْتِعْدَادِ الشَّخْصِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

34

وَلَوْلَا مَا أَعْطَاهُ الْأَسْتِعْدَادُ، السُّؤَالُ مَا سَالَ.

فَغَايَةُ أَهْلِ الْحُضُورِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ هَذَا، أَنْ يَعْلَمُوهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي يَكُونُونَ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ لِحُضُورِهِمْ يَعْلَمُونَ مَا أَعْطَاهُمُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُمْ مَا قَبِلُوهُ إِلَّا بِالْأَسْتِعْدَادِ.

وَهُمْ صِنْفَانِ: صِنْفٌ يَعْلَمُونَ مِنْ قَبُولِهِمْ أَسْتِعْدَادَهُمْ، وَصِنْفٌ يَعْلَمُونَ مِنْ أَسْتِعْدَادِهِمْ مَا يَقْبَلُونَهُ.

هَذَا أَتَمَّ مَا يَكُونُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْتِعْدَادِ، فِي هَذَا الصَّنْفِ.

وَمِنْ هَذَا الصَّنْفِ مَنْ يَسْأَلُ لَا لِلْأَسْتِعْجَالِ وَلَا لِلِإِمْكَانِ، وَإِنَّمَا

يَسْأَلُ أُمْتِتًا لَا لِأَمْرِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر

: ٦٠] فَهُوَ الْعَبْدُ الْمُخَضُّ.

وَلِي سَ لِهَذَا الدَّاعِي هِمَّةٌ مَتَعَلِّقَةٌ [٧وجه] فِي مَا سَأَلَ فِيهِ مِنْ مُعَيِّنٍ أَوْ غَيْرِ

35

مُعَيِّنٍ، وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ فِي أُمْتِتَالِ أَوَامِرِ سَيِّدِهِ.

فَإِذَا اقْتَضَى الْحَالُ السُّؤَالَ، سَأَلَ عُبُودِيَّةً. وَإِذَا اقْتَضَى التَّفْوِيضَ

وَالسَّكُوتَ، سَكَتَ.

فَقَدْ أَبْتَلِيَ أَيُّوبَ وَغَيْرَهُ، وَمَا سَأَلُوا رَفَعَ مَا ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهِ. ثُمَّ اقْتَضَى

لَهُمُ الْحَالُ فِي زَمَانٍ آخَرَ، أَنْ يَسْأَلُوا رَفَعَ ذَلِكَ فَارْفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَالْتَعْجِيلُ بِالمَسْئُولِ فِيهِ وَالْإِبْطَاءُ لِلْقَدَرِ الْمُعَيَّنِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ.

فَإِذَا وَافَقَ السُّؤَالُ الْوَقْتَ أَسْدَرَ بِالإِجَابَةِ. وَإِذَا تَأَخَّرَ الْوَقْتُ — إِمَّا فِي

الدُّنْيَا وَإِمَّا إِلَى الْآخِرَةِ — تَأَخَّرَتِ الإِجَابَةُ، أَيْ: الْمَسْئُولُ فِيهِ لَا

الإِجَابَةُ الَّتِي هِيَ لَبَّيْكَ مِنَ اللَّهِ. فَافْهَمْ هَذَا.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُنَا: «وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ عَنِ السُّؤَالِ»، فَالَّذِي

يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ، فَإِنَّمَا أُريدَ بِالسُّؤَالِ التَّلفُّظُ بِهِ، فَإِنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا بُدَّ

مِنْ سُؤَالٍ، إِمَّا بِالتَّلفُّظِ، أَوْ بِالحَالِ، أَوْ بِالْأَسْتِعْدَادِ.

كَمَا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ حَمْدُ مُطْلَقٍ قَطُّ، إِلَّا فِي التَّلفُّظِ. وَأَمَّا فِي الْمَعْنَى، فَلَا

36

بَدَّ أَنْ يُقَيِّدَهُ الْحَالُ، فَالَّذِي يَبْعَثُكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ هُوَ الْمُقَيِّدُ لَكَ بِاسْمِ  
فِعْلٍ أَوْ بِاسْمِ تَنْزِيهِهِ.

وَالْأُسْتِعْدَادُ مِنَ الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَيَشْعُرُ بِالْحَالِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ  
الْبَاعِثَ، وَهُوَ الْحَالُ. فَالْأُسْتِعْدَادُ أَخْفَى سُؤَالٍ.

وَإِنَّمَا يَمْنَعُ هُوَ لِأَنَّ مِنَ السُّؤَالِ، عَلِمُ مُهِمَّ بَأَنَّ لِلَّهِ فِيهِ مُمْ سَا بِقَةِ قَضَاءٍ. فَهُ مُمْ قَدْ  
هَيَّأُوا مَحَلَّهُمْ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ مِنْهُ، وَقَدْ غَابُوا عَنْ نَفْسِهِمْ وَأَغْرَضِهِمْ.  
وَمِنْ هُوَ لِأَنَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ  
فِي حَالِ ثُبُوتِ عَيْنِهِ، قَبْلَ وُجُودِهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ  
عَيْنُهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي حَالِ ثُبُوتِهِ، فَيَعْلَمُ عِلْمَ اللَّهِ بِهِ، مِنْ  
أَيِّنْ حَصَلَ. وَمَا تَمَّ صِنْفُ مَنْ أَهْلُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَكْشَفُ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ. فَهُمْ  
الْوَاقِفُونَ عَلَى سِرِّ الْقَدَرِ.

وَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مُجْمَلًا، [٧ظهر] وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَعْلَمُهُ مُفَصَّلًا. وَالَّذِي يَعْلَمُهُ مُفَصَّلًا أَعْلَى وَأَتَمُّ مِنَ الَّذِي يَعْلَمُهُ مُجْمَلًا؛  
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ فِيهِ، إِمَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ إِيَّاهُ، بِمَا أَعْطَاهُ عَيْنُهُ مِنَ الْعِلْمِ  
بِهِ.

وَأَمَّا أَنْ يَكُ شَيْفَ لَهُ عَنْ عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ، وَانْتِقَا لَاتِ الْأَحْدِ وَالِ عَلَيْهِ إِلَى مَا لَا  
يَتَنَاهَى وَهُوَ أَعْلَى، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِنَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ  
مِنْ مَعْدِنٍ وَاحِدٍ.

إِلَّا أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْعَبْدِ عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ سَبَقَتْ لَهُ، هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَحْوَالِ  
عَيْنِهِ، يَعْرِفُهَا صَاحِبُ هَذَا الْكَ شَفِ إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ — أَيْ: عَلَى  
أَحْوَالِ عَيْنِهِ — فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْمَخْلُوقِ إِذَا أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَى أَحْوَالِ  
عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ الَّتِي تَقَعُ صُورَةُ الْوُجُودِ عَلَيْهَا، أَنْ يَطَّلِعَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَلَى  
أَطْلَاعِ الْحَقِّ عَلَى هَذِهِ الْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ فِي حَالٍ عَدَمِهَا؛ لِأَنَّهَا نِسْبُ ذَاتِيَّةٌ  
لَا صُورَةَ لَهَا.

فَبِهِذَا الْقَدْرِ نَقُولُ إِنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ سَبَقَتْ لِهَذَا الْعَالَمِ بِهَذَا الْمُسَاوَةِ فِي  
إِفَادَةِ الْعِلْمِ.

وَمِنْ هُنَا نَقُولُ: «اللَّهُ»، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد: ٣١] وَهِيَ كَلِمَةٌ

38

مُحَقَّقَةُ الْمَعْنَى، مَا هِيَ كَمَا يَتَوَهَّمُ مَنْ لَيْسَ لَهُ هَذَا الْمَشْرَبُ.

وَعَايَةُ الْمُنَزَّهِ أَنْ جَعَلَ ذَلِكَ الْحُدُوثَ فِي الْعِلْمِ لِلتَّعَلُّقِ وَهُوَ أَعْلَى وَجْهِ

يَكُونُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِعَقْلِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لَوْلَا أَنَّهُ أَثْبَتَ الْعِلْمَ زَائِدًا عَلَى

الذَّاتِ، فَجَعَلَ التَّعَلُّقَ لَهُ لَا لِلذَّاتِ، وَبِهِذَا أَنْفَصَلَ عَنِ الْمُحَقِّقِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا

صَاحِبِ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ.

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْأَعْطِيَّاتِ، فَنَقُولُ إِنَّ الْأَعْطِيَّاتِ إِمَّا ذَاتِيَّةٌ أَوْ أَسْمَائِيَّةٌ.

فَأَمَّا الْمِنْحُ وَالْهَبَاتُ وَالْعَطَايَا الذَّاتِيَّةُ فَلَا تَكُونُ أَبَدًا إِلَّا عَنْ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ،

وَالْتَّجَلِّي مِنْ الذَّاتِ لَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا بِصُورَةِ أَسْتِعْدَادِ الْمُتَجَلِّي لَهُ؛ غَيْرُ ذَلِكَ

لَا يَكُونُ. فَإِذَا الْمُتَجَلِّي لَهُ مَا رَأَى سِوَى صُورَتِهِ فِي مِرَاةِ الْحَقِّ.

وَمَا رَأَى الْحَقَّ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرَاهُ، مَعَ عِلْمِهِ [8وجه] أَنَّهُ مَا رَأَى صُورَتَهُ  
إِلَّا فِي هِ، كَمَا لَمْ رَأَةٍ فِي الشَّاهِدِ، إِذَا رَأَيْتَ الصُّورَ فِيهَا لَا تَرَاهَا، مَعَ عِلْمِكَ أَنَّكَ  
مَا رَأَيْتَ الصُّورَ، أَوْ صُورَتَكَ إِلَّا فِيهَا.

فَأَبْرَزَ اللَّهُ ذَلِكَ مِثَالًا نَصَبَهُ لِتَجَلِّيهِ الذَّاتِيَّ لِيَعْلَمَ الْمُتَجَلِّيُّ لَهُ مَا رَأَهُ.  
وَمَا تَمَّ مِثَالُ اقْتِرَابٍ وَلَا أَشْبَهُ بِالرُّؤْيَةِ وَالتَّجَلِّيِّ مِنْ هَذَا. وَاجْهَدْ فِي  
نَفْسِكَ عِنْدَمَا تَرَى الصُّورَةَ فِي الْمِرَاةِ، أَنْ تَرَى جِرْمَ الْمِرَاةِ، لَا تَرَاهُ أَبَدًا  
الْبَتَّةَ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ مَنْ ادَّرَكَ مِثْلَ هَذَا فِي صُورِ الْمِرَائِي، ذَهَبَ إِلَى أَنَّ  
الصُّورَةَ الْمَرْتَبَةَ بَيْنَ بَصَرِ الرَّائِي، وَبَيْنَ الْمِرَاةِ.

39

هَذَا أَعْظَمُ مَا قَدْ رَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْأَمْرُ كَمَا قُلْنَا، وَذَهَبْنَا إِلَيْهِ. وَقَدْ بَيَّنَّا  
هَذَا فِي الْفَتْوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ.

وَإِذَا ذُقْتَ هَذَا، ذُقْتَ الْغَايَةَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ،  
فَلَا تَطُمَعُ، وَلَا تُتَعَبُ نَفْسُكَ فِي أَنْ تَرْقَى فِي أَعْلَى مِنْ هَذَا الدَّرَجَةِ، فَمَا  
هُوَ تَمَّ أَصْلًا، وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الْعَدَمُ الْمَحْضُ.

40

فَهُوَ مِرَاثُكَ فِي رُؤْيَيْكَ نَفْسُكَ وَأَنْتَ مَرَّ أَنْتَ فِي رُؤْيَيْكَ هِ أَسْمَاءُهُ، وَظُهُورُ  
أَحْكَامِهَا.

وَلَيْسَتْ سِوَى عَيْنِهِ.

فَاخْتَلَطَ الْأَمْرُ وَأَنْبَهَمَ: فَمَنْ نَا مَنْ جِهَ لَ فِي عِلْمِهِ، فَقَالَ: «وَالْعَجْزُ عَنْ  
دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ». وَمِنَّا مَنْ عِلِمَ، فَلَمْ يَقُلْ مِثْلَ هَذَا، وَهُوَ أَعْلَى



القول.

بَلْ أَعْطَاهُ الْعِلْمُ السُّكُوتَ، مَا أَعْطَاهُ الْعَجْزُ.

وَهَذَا هُوَ أَعْلَى عَالِمٍ بِاللَّهِ، وَلَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ إِلَّا لِخَاتَمِ الرُّسُلِ، وَخَاتَمِ

الأُولِيَاءِ.

وَمَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلِ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ الْخَتَمِ.

وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأُولِيَاءِ مِنْ مِشْكَاةِ الْوَلِيِّ الْخَاتَمِ — حَتَّى إِنَّ الرُّسُلَ لَا

41

يَرُونَهُ مَتَى رَأَوْهُ — إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الْأُولِيَاءِ.

فَإِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ — أَعْنِي: نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتَهُ — تَنْقَطِعَانِ،

وَالْوِلَايَةُ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا.

فَالْمُرْسَلُونَ مِنْ كَوْنِهِمْ أُولِيَاءٌ لَا يَرُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ

الأُولِيَاءِ، فَكَيْفَ مَنْ دُونَهُمْ مِنَ الْأُولِيَاءِ؟!

[٨ظهر] وَإِنْ كَانَ خَاتَمُ الْأُولِيَاءِ تَابِعًا فِي الْحُكْمِ لِمَا جَاءَهُ بِهِ خَاتَمُ

الرُّسُلِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي مَقَامِهِ، وَلَا يُنَاقِضُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ

مِنْ وَجْهِ يَكُونُ أَنْزَلًا، كَمَا أَنَّ مِنْ وَجْهِ يَكُونُ أَعْلَى، وَقَدْ ظَهَرَ فِي ظَاهِرِ

شَرْعِنَا مَا يُؤَيِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي فَضْلِ عَمَرٍ فِي أُسَارَى بَدْرِ بِالْحُكْمِ فِيهِمْ،

وَفِي تَأْيِيرِ النَّخْلِ.

فَمَا يُلْزَمُ الْكَامِلَ أَنْ يَكُونَ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ،

42

وَإِنَّمَا نَظَرَ الرِّجَالُ إِلَى التَّقَدُّمِ فِي رُتَبِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: هُنَاكَ مَطْلَبُهُمْ.

وَأَمَّا حَوَادِثُ الْأَكْوَانِ، فَلَا تَعْلَقُ لِخَوَاطِرِهِمْ بِهَا، فَتَحَقِّقَ مَا ذَكَرْتَاهُ.

وَلَمَّا مَثَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّبُوَّةَ بِالْحَائِطِ مِنَ اللَّيْنِ، وَقَدْ كَمُلَ  
سِيَوِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّبِنَةُ، غَيْرَ أَنَّهُ  
صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَاهَا إِلَّا كَمَا قَالَ: «لَبِنَةٌ وَاحِدَةٌ». وَأَمَّا خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ،  
فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ هَذِهِ الرُّوْيَا، فَذَرَى مَا مَثَّلَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
وَيَرَى فِي الْحَائِطِ مَوْضِعَ لَبِنَتَيْنِ، وَاللَّيْنُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَيَرَى اللَّبِنَتَيْنِ  
الَّتَيْنِ يَنْقُصُ الْحَائِطُ عَنْهُمَا وَيَكْمُلُ بِهِمَا لَبِنَةٌ فِضَّةٌ وَلَبِنَةٌ ذَهَبٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ  
يَرَى نَفْسَهُ تَنْطَبِعُ فِي مَوْضِعِ تَيْنِكَ اللَّبِنَتَيْنِ، فَيَكُونُ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ تَيْنَكَ  
اللَّبِنَتَيْنِ، فَيَكْمُلُ الْحَائِطُ.

43

وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِكَوْنِهِ يَرَاهَا لَبِنَتَيْنِ، أَنَّهُ تَابِعٌ لِشَرْعِ خَاتَمِ الرُّسُلِ فِي  
الظَّاهِرِ، وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ الْفِضِّيَّةِ، وَهُوَ ظَاهِرُهُ، وَمَا يَتَّبَعُهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ،  
كَمَا هُوَ أَخَذَ عَنْ اللَّهِ فِي السِّرِّ، مَا هُوَ بِالصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مُتَّبِعٌ فِيهِ لِأَنَّهُ يَرَى  
الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ هَكَذَا، وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِي  
الْبَاطِنِ، فَإِنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الَّذِي يُوجِي بِهِ إِلَى  
الرَّسُولِ، فَإِنْ فَهَمْتَ مَا أَشْرَفْتُ بِهِ، فَقَدْ حَصَلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

فَكُلُّ نَبِيٍّ مِنْ لَدُنْ أَدَمَ [٩٠وجه] إِلَى آخِرِ نَبِيِّ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَأْخُذُ إِلَّا  
مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودُ طِينَتِهِ، فَإِنَّهُ بِحَقِيقَتِهِ مَوْجُودٌ،  
وَهُوَ

قَوْلُهُ: «كُنْتُ نَبِيًّا، وَادَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانَ نَبِيًّا إِلَّا حِينَ بُعِثَ.

44

وَكَذَلِكَ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ، كَانَ وَلِيًّا وَادَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مَا كَانَ وَلِيًّا إِلَّا بَعْدَ تَحْصِيلِهِ شَرَائِطَ الْوَلَايَةِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْإِلَهِيَّةِ فِي التَّصَافِ بِهَا مِنْ كَوْنِ اللَّهِ تَسْمَى بِـ«الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ».

فَخَاتَمَ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ وَلَايَتُهُ، نَسَبَتْهُ مَعَ الْخَتَمِ لِلْوَلَايَةِ نِسْبَةً الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ الْوَلِيُّ الرَّسُولُ النَّبِيُّ، وَخَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ الْوَلِيُّ الْوَارِثُ الْآخِذُ عَنِ الْأَصْلِ الْمُشَاهِدُ لِلْمَرَاتِبِ.

وَهُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ خَاتَمِ الرُّسُلِ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمُ الْجَمَاعَةِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي فَتْحِ بَابِ الشَّفَاعَةِ.

فَعَيْنَ حَالًا خَاصًّا، مَاعَمَمَ.

وَفِي هَذَا الْحَالِ الْخَاصِّ تَقَدَّمَ عَلَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ. فَإِنَّ «الرَّحْمَنَ»، مَا شَفَعَ عِنْدَ «الْمُنْتَقِمِ» فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ، إِلَّا بَعْدَ شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيَادَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْخَاصِّ. فَمَنْ فَهِمَ الْمَرَاتِبَ وَالْمَقَامَاتِ، لَمْ يَعْسُرْ عَلَيْهِ قَبُولُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

45

وَأَمَّا الْمِنْحُ الْأَسْمَائِيَّةُ: فَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْحَ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقَهُ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ، وَهِيَ كُلُّهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَإِمَّا رَحْمَةً خَالِصَةً، كَالطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ اللَّذِيذِ فِي الدُّنْيَا الْخَالِصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعْطِي ذَلِكَ الْأَسْمُ «الرَّحْمَنُ»، فَهُوَ عَطَاءُ

رَحْمَانِيَّ. وَإِمَّا رَحْمَةً مُّمْتَزِجَةً، كَشُرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِهِ الَّذِي يَعْقُبُ شُرْبُهُ  
الرَّاحَةَ، وَهُوَ عَطَاءُ إِلَهِيٍّ، فَإِنَّ الْعَطَاءَ الْإِلَهِيَّ، لَا يَتِمَّكَّنُ إِطْلَاقُ عَطَائِهِ مِنْهُ  
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عَلَى يَدِ سَادِرٍ مِنْ سَدَنَةِ الْأَسْمَاءِ.  
فَتَارَةً يُعْطِي اللَّهُ الْعَبْدَ عَلَى يَدَيِ «الرَّحْمَنِ»، فَيَخْلُصُ الْعَطَاءُ مِنَ  
الشُّوبِ الَّذِي لَا يُلَائِمُ الطَّبْعَ فِي الْوَقْتِ [٩ظهر] أَوْ لَا يُنِيلُ الْغَرَضَ وَمَا  
أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَتَارَةً يُعْطِي اللَّهُ عَلَى يَدَيِ «الْوَاسِعِ» فَيَعُمُّ.  
أَوْ عَلَى يَدَيِ «الْحَكِيمِ» فَيَنْظُرُ فِي الْأَصْلَحِ فِي الْوَقْتِ.  
أَوْ عَلَى يَدِ «الْوَاهِبِ» فَيُعْطِي لِي نِعَمَ، لَا يَكُونُ مَعَ «الْوَاهِبِ» تَكْلِيفُ  
الْمُعْطِي لَهُ بِعَوَضٍ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شُكْرِ أَوْ عَمَلٍ.  
أَوْ عَلَى يَدِ «الْجَبَّارِ» فَيَنْظُرُ فِي الْمَوْطِنِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ.  
أَوْ عَلَى يَدِ «الْغَفَّارِ» فَيَنْظُرُ الْمَحَلَّ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ عَلَى حَالٍ  
يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتُرُهُ عَنْهَا، أَوْ عَلَى حَالٍ لَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتُرُهُ عَنْ  
حَالٍ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، فَيَسْمَى «مَعْصُومًا»، وَ«مُعْتَنَى بِهِ»، وَ«مَحْفُوظًا».  
وَعَبْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاكِلُ هَذَا النَّوْعَ.

وَالْمُعْطِي هُوَ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ خَازِنٌ لِمَا عِنْدَهُ فِي خَزَائِنِهِ، فَمَا  
يُخْرِجُهُ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الح جر : ٢١] عَلَى يَدَيِ اسْمٍ خَاصٍّ بِذَلِكَ  
الْأَمْرِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠] عَلَى يَدَيِ الْأَسْمِ «الْعَدَلِ»  
وَإِحْوَانِهِ.

وَأَسْمَاءُ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَنْتَاهِي، لِأَنَّهَا تُعْلَمُ بِمَا يَكُونُ عَنْهَا — وَمَا  
يَكُونُ عَنْهَا غَيْرُ مُتَنَاهٍ، وَإِنْ كَانَتْ تَرْجِعُ إِلَى أَصُولٍ مُتَنَاهِيَةٍ — هِيَ أُمُّهَا  
الْأَسْمَاءُ أَوْ حَضْرَاتُ الْأَسْمَاءِ.

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَمَا تَمَّ إِلَّا حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ، تَقْبَلُ جَمِيعَ هَذِهِ النَّسَبِ  
وَالِإِضَافَاتِ الَّتِي يُكْنَى عَنْهَا بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَالْحَقِيقَةُ تُعْطِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ أَسْمٍ يَظْهَرُ — إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى —  
حَقِيقَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ أَسْمٍ آخَرَ. تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُ هِيَ الْأَسْمُ  
عَيْنُهُ، لَا مَا يَقَعُ فِيهِ الشُّتْرَاكُ.

كَمَا أَنَّ الْأَعْطِيَّاتِ تَتَمَّ يَزُ كُلُّ أُعْطِيَةٍ عَنْ غَيْرِهَا بِشَخْصِيَّتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ  
مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ مَا هِيَ هَذِهِ الْآخَرَى، وَسَبَبُ ذَلِكَ تَمَيُّزُ  
الْأَسْمَاءِ.

فَمَا فِي الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَأَتَسَاعِهَا شَيْءٌ يَتَكَرَّرُ أَصْلًا. هَذَا هُوَ الْحَقُّ  
الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْعِلْمُ كَانَ عِلْمُ شَيْثٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَرُوحُهُ هُوَ الْمُدُّ لِكُلِّ مَنْ  
يَتَكَلَّمُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْأَرْوَاحِ مَا عَدَا رُوحَ الْخَتَمِ، فَإِنَّهُ لَا تَأْتِيهِ الْمَادَّةُ إِلَّا  
مِنْ اللَّهِ، لَا مِنْ رُوحٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ، بَلْ مِنْ رُوحِهِ [١١ وجه] تُكُونُ الْمَادَّةُ

لَجَمِيعِ الْأَرْوَاحِ.

وَإِنْ كَانَ لَا يَعْقِلُ مِنْ نَفْسِهِ فِي زَمَانٍ تَرَى كَيْبَ جَسَدِهِ الْعُنْصُرِيِّ. فَهُوَ مِنْ حَيْثُ حَقَّ يَقْتُهُ وَرُتَبَتْ تَهْ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ بِعَيْنِهِ، مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ جَاهِلٌ بِهِ، مِنْ جِهَةٍ تَرَى كَيْبَهُ الْعُنْصُرِيِّ.

فَهُوَ الْعَالِمُ الْجَاهِلُ، فَيَقْبَلُ التَّصَافَ بِالْأَضْدَادِ، كَمَا قَبِلَ الْأَصْلُ التَّصَافَ بِذَلِكَ، كَ«الْجَلِيلِ»، وَكَ«الظَّاهِرِ»، وَ«الْبَاطِنِ»، وَ«الْأَوَّلِ»، وَ«الْآخِرِ».

وَهُوَ عَيْنُهُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ فَيَعْلَمُ لَا يَعْلَمُ، وَيَدْرِي لَا يَدْرِي، وَيَشْهَدُ لَا يَشْهَدُ. وَبِهَذَا الْعِلْمُ سُمِّيَ «شَيْئًا»، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: «هَبَةُ اللَّهِ». فَبِيَدِهِ مِفْتَاحُ الْعَطَايَا عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَنَسَبِهَا. فَإِنَّ اللَّهَ وَهَبَهُ لِأَدَمَ أَوَّلَ مَا وَهَبَهُ.

وَمَا وَهَبَهُ إِلَّا مِنْهُ، لِأَنَّ الْوَلَدَ سِرُّ أَبِيهِ، فَمِنْهُ خَرَجَ إِلَيْهِ وَعَادَ. فَمَا آتَاهُ غَرِيبٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ.

وَكُلُّ عَطَاءٍ فِي الْكَوْنِ عَلَى هَذَا الْمَجْرَى.

فَمَا فِي أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ، وَمَا فِي أَحَدٍ مِنْ سِوَى نَفْسِهِ شَيْءٌ، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ عَلَيْهِ الصُّورُ.

وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ هَذَا، وَإِنَّ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَحَادٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ. فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ.

فَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ صَفَاءِ خُلَاصَةِ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنْ عُمُومِ أَهْلِ اللَّهِ.  
فَأَيُّ صَاحِبٍ كَشَفٍ شَاهِدَ صُورَةً تُلْقَى إِلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَتَمَّ نَحْوُهُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي يَدِهِ، فَتِلْكَ الصُّورَةُ عَيْنُ نَهْ لَا غَيْرُهُ.  
فَمِنْ شَجَرَةِ نَفْسِهِ جَنَى ثَمَرَةَ عِلْمِهِ.

كَالصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ مِنْهُ فِي مُقَابَلَةِ الْجِسْمِ الصَّقِيلِ لَيْسَ غَيْرُهُ، إِلَّا أَنَّ  
الْمَحَلَّ أَوْ الْحَضْرَةَ الَّتِي رَأَى فِيهَا صُورَةَ نَفْسِهِ تُلْقَى إِلَيْهِ بِتَقْلُبٍ مِنْ وَجْهِهِ  
بِحَقِيقَةِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ.

49

كَمَا يَظْهَرُ الْكَبِيرُ فِي الْمِرَاةِ الصَّغِيرَةِ صَغِيرًا، وَالْمُسْتَطِيلَةُ مُسْتَطِيلًا،  
وَالْمُتَحَرِّكَةُ مُتَحَرِّكًا. وَقَدْ تُعْطِيهِ أُنْتِكَاسُ صُورَتِهِ مِنْ حَضْرَةِ خَاصَّةٍ.  
وَقَدْ تُعْطِيهِ عَيْنُ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا، فِي قَابِلِ الْيَمِينِ مِنْهَا، الْيَمِينِ مِنَ الرَّائِي.  
وَقَدْ يُقَالُ [١٠ ظهر] الْيَمِينُ، الْيَسَارُ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الْمَرَايَا بِمَنْزِلَةِ الْعَادَةِ  
فِي الْعُمُومِ.

وَبِخَرْقِ الْعَادَةِ يُقَابِلُ الْيَمِينُ الْيَمِينُ وَيَظْهَرُ الْأُنْتِكَاسُ.  
وَهَذَا أَكْلُهُ مِنْ أُعْطِيَاتِ حَقِيقَةِ الْحَضْرَةِ الْمُتَجَلِّيَةِ فِيهَا، الَّتِي أَنْزَلْنَا هَاهَا مَنْزِلَةَ  
الْمَرَايَا.

فَمَنْ عَرَفَ أَسْتِعْدَادَهُ، عَرَفَ قَبُولَهُ، وَمَا كُلُّ مَنْ عَرَفَ قَبُولَهُ، يَعْرِفُ  
أَسْتِعْدَادَهُ، إِلَّا بَعْدَ الْقَبُولِ، وَإِنْ كَانَ يَعْرِفُهُ مُجْمَلًا.

إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ النَّظَرِ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، لَمَّا

ثَبَّتَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ، جَوَّزُوا عَلَى اللَّهِ مَا يُنْأَقِضُ الْحِكْمَةَ، وَمَا هُوَ  
الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ.

وَلِهَذَا عَدَلَ بَعْضُ النَّظَارِ إِلَى نَفْيِ الْإِمْكَانِ، وَإِثْبَاتِ الْوُجُوبِ بِالذَّاتِ  
وَبِالْغَيْرِ.

وَالْمُحَقِّقُ [أَوْ: وَالْمُحَقِّقُ] يُثَبِّتُ الْإِمْكَانَ وَيَعْرِفُ حَضْرَتَهُ، وَالْمُمْكِنُ مَا  
هُوَ الْمُمْكِنُ، وَمِنْ أَيْنَ هُوَ مُمَكِّنٌ، وَهُوَ بِعَيْنِهِ وَاجِبٌ بِالْغَيْرِ، وَمِنْ أَيْنَ صَحَّ  
عَلَيْهِ أَسْمُ «الْغَيْرِ» الَّذِي اقْتَضَى لَهُ الْوُجُوبُ، وَلَا يَعْلَمُ هَذَا التَّفْصِيلُ إِلَّا  
الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ خَاصَّةً.

وَعَلَى قَدَمِ شَيْءٍ يَكُونُ آخِرُ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ مِنْ هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيَّ. وَهُوَ  
حَامِلُ أَسْرَارِهِ، وَلَيْسَ بَعْدَهُ وَلَدٌ فِي هَذَا النَّوعِ. فَهُوَ خَاتَمُ الْأَوَّلَادِ، وَتَوَلَّدَ مَعَهُ  
أُخْتُ لَهُ فَتَخْرُجُ قَبْلَهُ، وَيَخْرُجُ بَعْدَهَا، يَكُونُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْهَا، وَيَكُونُ  
مَوْلَدُهُ بِالصِّينِ وَلُغَتُهُ لُغَةُ بَلَدِهِ. وَيَسْرِي الْعَقْمُ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَيَكْتُرُ  
النِّكَاحُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَلَا يُجَابُ فَإِذَا قَبَضَهُ اللَّهُ  
وَقَبَضَ مُؤْمِنِي زَمَانِهِ، بَقِيَ مَنْ بَقِيَ مِثْلَ الْبَهَائِمِ، لَا يُحِلُّونَ حَلَالًا، وَلَا  
يُحَرِّمُونَ حَرَامًا، يَتَصَرَّفُونَ بِحُكْمِ الطَّبِيبِ عَنِ شَهْوَةِ مُجَرَّدَةٍ عَنِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ  
فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

[٣] ﴿فَصْ حِكْمَةً سُبُوحِيَّةً فِي كَلِمَةٍ نُوحِيَّةً﴾

أَعْلَمُ أَنَّ التَّنْزِيهَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقَائِقِ فِي الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ عَيْنُ التَّحْدِيدِ



وَالْتَقْيِدِ. فَاْلُنَزْرَةُ إِمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا صَاحِبُ سُوءِ آدَبٍ.

وَلَكِنْ إِذَا أَطْلَقَاهُ [١١ وجه] وَقَالَا بِهِ، فَالْقَائِلُ بِالشَّرَائِعِ الْمُؤْمِنُ إِذَا

نَزَرَهُ وَوَقَفَ عِنْدَ التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَرِ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ الْآدَبَ، وَكَذَبَ

الْحَقَّ، وَالرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيَّ هُمْ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ فِي الْحَاصِلِ

وَهُوَ فِي الْفَائِتِ. وَهُوَ كَمَنْ أَمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ.

52

وَلَا سِيَمًا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَلْسِنَةَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ إِذَا نَطَقَتْ فِي الْحَقِّ تَعَالَى

بِمَا نَطَقَتْ بِهِ إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ فِي الْعُمُومِ عَلَى الْمَفْهُومِ الْأَوَّلِ، وَعَلَى

الْخُصُوصِ عَلَى كُلِّ مَفْهُومٍ يُفْهَمُ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ اللَّفْظِ بِأَيِّ لِسَانٍ كَانَ فِي

وَضَعِ ذَلِكَ اللَّسَانِ.

فَإِنَّ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ خَلْقٍ ظُهُورًا.

فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي كُلِّ مَفْهُومٍ، وَهُوَ الْبَاطِنُ عَنْ كُلِّ فَهْمٍ، إِلَّا عَنْ فَهْمٍ مَنْ

قَالَ إِنَّ الْعَالَمَ صُورَتُهُ وَهُوِيَّتُهُ.

وَهُوَ الْأَسْمُ الظَّاهِرُ، كَمَا أَنَّهُ بِالْمَعْنَى رُوحٌ مَا ظَهَرَ فَهُوَ الْبَاطِنُ.

فَنِسْبَتُهُ لِمَا ظَهَرَ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ نِسْبَةُ الرُّوحِ الْمُدَبِّرِ لِلصُّورَةِ.

فَيُؤْخَذُ فِي حَدِّ الْإِنْسَانِ مَثَلًا بَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَحْدُودٍ.

فَالْحَقُّ مَحْدُودٌ بِكُلِّ حَدٍّ.

وَصُورُ الْعَالَمِ لَا تَنْضَبِطُ وَلَا يُحَاطُ بِهَا وَلَا تُعَلَّمُ حُدُودُ كُلِّ صُورَةٍ مِنْهَا،

إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مَا حَصَلَ لِكُلِّ عَالَمٍ مِنْ صُورٍ. فَكَذَلِكَ يُجْهَلُ حَدُّ الْحَقِّ فَإِنَّهُ لَا

يُعْلَمُ حَدُّهُ إِلَّا بِعِلْمِ حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ، وَهَذَا مُحَالٌ حُصُولُهُ: فَحَدُّ الْحَقِّ مُحَالٌ.  
وَكَذَلِكَ مَنْ شَبَّهَهُ وَمَانَزَّهُهُ فَقَدْ قَيَّدَهُ وَحَدَّدَهُ وَمَا عَرَفَهُ. وَمَنْ جَمَعَ فِي  
مَعْرِفَتِهِ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهِ وَوَصَفَهُ بِالْوَصْفَيْنِ عَلَى الْإِجْمَالِ — لِأَنَّهُ  
يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ لِعَدَمِ الْإِحَاطَةِ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّورِ —  
فَقَدْ عَرَفَهُ مُجْمَلًا — لَا عَلَى التَّفْصِيلِ — كَمَا عَرَفَ نَفْسَهُ مُجْمَلًا لَا عَلَى  
التَّفْصِيلِ.

53

وَلِذَلِكَ رَبَطَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ  
فَقَالَ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ».

وَقَالَ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] وَهُوَ مَا خَرَجَ

54

عَنْكَ ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] وَهُوَ عَيْنُكَ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] أَيْ: النَّظَرُ ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. [سورة فصلت : ٥٣]  
١١]

ظهر] مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ صُورَتُهُ وَهُوَ رُوحُكَ.

فَأَنَّتَ لَهُ كَالصُّورَةِ الْجَسْمِيَّةِ لَكَ، وَهُوَ لَكَ كَالرُّوحِ الْمُدَبَّرِ لِصُورَةِ  
جَسَدِكَ.

وَالْحَدُّ يَشْمَلُ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ مِنْكَ، فَإِنَّ الصُّورَةَ الْبَاقِيَّةَ إِذَا زَالَ عَنْهَا  
الرُّوحُ الْمُدَبَّرُ لَهَا لَمْ يَبْقَ إِنْسَانًا، وَلَكِنْ يُقَالُ فِيهَا إِنَّهَا صُورَةٌ تُشَبِّهُ صُورَةَ  
الْإِنْسَانِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَةٍ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حِجَارَةٍ. وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ  
أَسْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالْمَجَازِ، لَا بِالْحَقِيقَةِ.

55

وَصُورُ الْعَالَمِ لَايُمْكِنُ زَوَالُ الْحَقِّ عَنْهَا أَصْلًا.

فَحَدُّ الْأُلُوْهِيَّةِ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ، لَا بِالْمَجَازِ، كَمَا هُوَ حَدُّ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ حَيًّا.

وَكَمَا أَنَّ ظَاهِرَ صُورَةِ الْإِنْسَانِ تُثْنِي بِلِسَانِهَا عَلَى رُوحِهَا وَنَفْسِهَا.

وَالْمُدَبِّرُ لَهَا، كَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ صُورَةَ الْعَالَمِ تُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَايَفْقَهُ

تَسْبِيحَهُمْ، لِأَنَّا لَا نُحِيطُ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّوَرِ.

فَالْكُلُّ أَلْسِنَةُ الْحَقِّ نَا طِقَةٌ بِالثَّنَاءِ عَلَى الْحَقِّ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [سورة الفاتحة: ٢] أَي: إِلَيْهِ تُرْجَعُ عَوَاقِبُ الثَّنَاءِ، فَهُوَ الْمُثْنَى

وَالْمُثْنَى عَلَيْهِ:

56

[الطويل]

١- فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّدًا وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدًا

وَكُنْتَ إِمَامًا فِي الْمَعَارِفِ سَيِّدًا

وَمَنْ قَالَ بِالْإِفْرَادِ كَانَ مُوَحِّدًا

وَإِيَّاكَ وَالتَّنْزِيَهُ إِنَّ كُنْتَ مُفَرِّدًا

عَيْنِ الْأُمُورِ مُسَرِّحًا وَمُقَيِّدًا

٢- وَإِنْ قُلْتَ بِالْأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّدًا

٣- فَمَنْ قَالَ بِالْإِشْفَاعِ كَانَ مُشَرِّكًَا

٤- فَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيهِ إِنَّ كُنْتَ ثَانِيًا

٥- فَمَا أَنْتَ هُوَ بَلْ أَنْتَ هُوَ وَتَرَاهُ فِي

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى : ١١] فَنَزَهَ، ﴿وَهُوَ

أَلْسٌ مِيعٌ أَلْبَصِرُ﴾ [سورة الشورى : ١١] فَشَبَّهَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

57

[سورة الشورى : ١١] فَشَبَّهَ وَثَنَى، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى :

[١١]

فَنَزَّهَ وَأَفْرَدَ.

لَوْ أَنَّ نُوحًا جَمَعَ لِقَ وَمِهِ بَيْنَ الدَّعَوَتَيْنِ لَأَجَابُوهُ؛ فَدَعَاهُمْ ﴿جَهَارًا﴾ [سورة نوح: ٨]، ثُمَّ دَعَاهُمْ ﴿إِسْرَارًا﴾ [سورة نوح: ٩]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾. [سورة نوح: ١٠] [١٢ وجه] وَقَالَ: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾. [سورة نوح: ٥-٦].

وَذَكَرَ عَنْ قَوْمِهِ أَنََّّهُمْ تَصَامَمُوا عَنْ دَعْوَتِهِ لِعِلْمِهِمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ.

فَعَلِمَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّ قَوْمِهِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِلِسَانِ الذَّمِّ.

وَعَلِمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا لَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفُرْقَانِ، وَالْأَمْرُ قَرَأَنُ لَا فُرْقَانُ.

وَمَنْ أَقِيمَ فِي الْقُرْآنِ، لَا يُصْغِي إِلَى الْفُرْقَانِ. وَإِنْ كَانَ فِيهِ.

فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَضَمَّنُ الْفُرْقَانَ، وَالْفُرْقَانُ لَا يَتَضَمَّنُ الْقُرْآنَ. وَلِهَذَا مَا أَخْتَصَّ

58

بِالْقُرْآنِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي هِيَ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١١٠] فَ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ٢١]:

[١١] فَجَمَعَ الْأَمْرَ [أَوْ: فَجَمَعَ الْأَمْرَ] فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ.

فَلَوْ أَنَّ نُوحًا يَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ لَفُظًا أَجَابُوهُ، فَإِنَّهُ شَبَّهَ نَزَّهَ فِي آيَةٍ

وَاحِدَةٍ، بَلْ فِي نِصْفِ آيَةٍ.

وَنُوحٌ دَعَا قَوْمَهُ ﴿لَيْلًا﴾ [سورة نوح : ٥] مِنْ حَيْثُ عَقُولُهُمْ وَرُوحَانِيَّتُهُمْ

فَإِنَّهُ أَا غَيْبٌ. ﴿وَنَهَا رَأً﴾ [سورة نوح : ٥] دَعَاهُمْ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ ظَاهِرُ صُورِهِمْ وَجُثَّتِهِمْ.

وَمَا جَمَعَ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، [سورة الشورى : ١١]

فَنَفَرَتْ بِوَاطِنُهُمْ لِهَذَا الْفُرْقَانِ، فَزَادَهُمْ فِرَارًا.

ثُمَّ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ دَعَاهُمْ لِيَعْفَرَ لَهُمْ، لَا لِيَكْشِفَ لَهُمْ. وَفَهَمُوا ذَلِكَ

مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لِذَلِكَ ﴿جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا

ثِيَابَهُمْ﴾، [سورة نوح : ٧] وَهَذِهِ كُلُّهَا صُورَةُ السِّتْرِ الَّتِي دَعَا هُمْ إِلَيْهَا، فَأَجَابُوا

دَعْوَتَهُ بِالْفِعْلِ، لَا بِالْبَيِّنَةِ.

فَفِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى : ١١] إِنْثَابُ الْمِثْلِ وَنَفْيُهُ. وَلِهَذَا

قَالَ عَنْ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أُوتِيَ جَوْامِعُ الْكَلِمِ. فَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ

قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، بَلْ دَعَاهُمْ لَيْلًا فِي نَهَارٍ، وَنَهَارًا فِي لَيْلٍ.

فَقَالَ نُوحٌ فِي حِكْمَتِهِ لِقَوْمِهِ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [سورة

نوح : ١١] وَهِيَ الْمَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ فِي الْمَعَانِي، وَالنَّظَرُ اللَّاعْتِبَارِيُّ،

﴿وَيَمْدِدْ دُكُم بِأَمْوَالٍ﴾ [سورة نوح : ١٢] بِمَا يَمِيلُ بِكُمْ إِلَيْهِ، فَإِذَا مَالَ بِكُمْ

إِلَيْهِ، رَأَيْتُمْ صُورَتَكُمْ فِيهِ.

فَمَنْ تَخَيَّلَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ، فَمَا عَرَفَ. وَمَنْ عَرَفَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ،

فَهُوَ الْعَارِفُ. [١٢ ظهر] فَلِهَذَا أُنْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى غَيْرِ عَالِمٍ، وَعَالِمٍ.

وَوَلَدُهُ وَهُوَ مَا أَنْتَجَهُ لَهُمْ نَظَرُهُمُ الْفِكْرِيُّ، وَالْأَمْرُ مَوْقُوفٌ عِلْمُهُ عَلَى

الْمُشَاهَدَةِ، بَعِيدٌ عَنْ نَتَائِجِ الْفِكْرِ، ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾، [سورة نوح : ٢١].

﴿فَمَا رِبِحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾، [سورة البقرة : ١٦] فَزَالَ عَنْهُ مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ،

مِمَّا كَانُوا يَتَخَيَّلُونَ أَنَّهُ مَلِكٌ لَهُمْ، وَهُوَ فِي الْحَمْدِيِّينَ.

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة الحديد : ٧].

وَفِي نُوحٍ ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾، [سورة الإسراء : ٢] فَأَثْبَتَ

الْمُلْكَ لَهُمْ وَالْوِكَالَةَ لِلَّهِ فِيهِ. فَهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِيهِمْ. فَالْمُلْكُ لِلَّهِ.

وَهُوَ وَكِيلُهُمْ، فَالْمُلْكُ لَهُمْ وَذَلِكَ مُلْكُ الْأُسْتِخْلَافِ.

وَبِهَذَا كَانَ الْحَقُّ مَالِكُ الْمُلْكِ، كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ.

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا﴾، [سورة نوح : ٢٢] لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ مَكْرٌ

بِالدَّعْوَى؛ لِأَنَّهُ مَا عِدِمَ مِنَ الْبِدَايَةِ، فَيُدْعَى إِلَى الْغَايَةِ، ﴿أُدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة

يوسف : ١٠٨] فَهَذَا عَيْنُ الْمَكْرِ، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾. [سورة يوسف : ١٠٨] فَذَبَّهَ  
أَنَّ

الْأَمْرُ لَهُ كُلُّهُ، فَاجَابُوهُ مَكْرًا كَمَا دَعَاهُمْ.

فَجَاءَ الْمُحَمَّدِيُّ وَعَلِمَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ، مَا هِيَ مِنْ حَيْثُ هُوِيَّتُهُ، وَإِنَّمَا

هِيَ مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ أَلْمُ تَقَّيْنِ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾، [سورة

مريم : ٨٥] فَجَاءَ بِحَرْفِ الْغَايَةِ، وَقَرَنَهَا بِالْأَسْمِ، فَعَرَفْنَا أَنَّ الْعَالَمَ كَانَ تَحْتَ

حِيطَةِ أَسْمِ الْإِلَهِيِّ، أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُتَّقِينَ.

فَقَالُوا فِي مَكَرِهِمْ: ﴿لَا تَتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا  
وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، [سورة نوح: ٢٣] فَإِنَّهُمْ إِذَا تَرَ كُوهُكُمْ، جَهَلُوا مَنْ  
الْحَقُّ عَلَى قَدَرٍ مَاتَرَ كُؤَا مِنْ هُؤَلَاءِ، فَإِنَّ لِلْحَقِّ — فِي كُلِّ مَعْدٍ بُودٍ — وَجْهًا  
يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَيَجْهَلُهُ مَنْ جَهَلَهُ.

فِي الْمُحَمَّدِ يَبِينُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، [سورة الإسراء: ٢٣]  
أَيُّ: حَكَمَ. فَالْعَالَمُ يَعْلَمُ مَنْ عُبِدَ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ ظَهَرَ حَتَّىٰ عُبِدَ، وَأَنَّ  
التَّفْرِيقَ وَالْكَثْرَةَ كَأَنَّ لَأَعْضَاءٍ فِي الصُّورَةِ الْمَحْسُوسَةِ، وَكَالْقُوَى الْمَعْنَوِيَّةِ فِي  
الصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

فَمَا عُبِدَ غَيْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ.  
فَالْأَدْنَىٰ مَنْ تَخَيَّلَ فِيهِ الْأُلُوهِيَّةَ، فَلَوْلَا هَذَا التَّخَيُّلُ مَا عُبِدَ الْحَجَرُ  
وَلَا غَيْرُهُ.

62

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [سورة الرعد: ٣٣] فَلَوْ سَمَّوْهُمْ لَسَمَّوْهُمْ  
حَجَرًا أَوْ شَجَرًا وَكَوْكَبًا، وَلَوْ قِيلَ لَهُمْ: «مَنْ عُبِدَ تُمْ؟» لَقَالُوا: «إِلَهُ أ.». مَا  
كَانُوا  
يَقُولُونَ: «اللَّهُ»، وَلَا: «الْإِلَهُ».

وَالْأَعْلَىٰ مَا تَخَيَّلَ، بَلْ قَالَ: «هَذَا مَجْلَىٰ إِلَهِي، يَنْبَغِي تَعْظِيمُهُ فَلَا  
يَقْتَصِرُ».

فَالْأَدْنَىٰ صَاحِبُ [١٣ وجه] التَّخَيُّلِ يَقُولُ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَدِّرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ  
اللَّهُ زُلْفَىٰ﴾. [سورة الزمر: ٣] وَالْأَعْلَىٰ الْعَالِمُ يَقُولُ: إِنَّمَا «إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ

فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴿ [سورة الحج : ٣٤] حَيْثُ ظَهَرَ.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾؛ [سورة الحج : ٣٤] الَّذِينَ خَبَتْ نَارُ طَبِيعَتِهِمْ،

فَقَالُوا: «إِلَهًا». وَلَمْ يَقُولُوا: «طَبِيعَةً».

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [سورة نوح : ٢٤] أَيْ: حَيَّرُوهُمْ فِي تَعْدَادِ الْوَاحِدِ

كَالْوُجُوهِ وَالنُّسَبِ.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة نوح : ٢٤] لِأَنفُسِهِمْ. «الْمُصْطَفِينَ الَّذِينَ

أُورِثُوا الْكِتَابَ أَوَّلَ الثَّلَاثَةِ فَقَدَّمَهُ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ» .

﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ [سورة نوح : ٢٤] إِلَّا حَيْرَةً.

63

الْمُحَمَّدِيُّ: «زِدْنِي فِيكَ تَحِيرًا».

﴿كَلَّمَأَ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، [سورة البقرة : ٢٠].

فَالْحَائِزُ لَهُ الدَّوْرُ، وَالْحَرَكََةُ الدَّوْرِيَّةُ حَوْلَ الْقُطْبِ فَلَا يَبْرَحُ مِنْهُ.

وَصَاحِبُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَطِيلِ مَائِلٌ، خَارِجٌ عَنِ الْمَقْصُودِ، طَالِبٌ مَا هُوَ فِيهِ

صَاحِبُ خَيَالٍ إِلَيْهِ غَايَتُهُ: فَلَهُ «مِنْ» وَ «إِلَى» وَمَا بَيْنَهُمَا، وَصَاحِبُ

الْحَرَكَةِ الدَّوْرِيَّةِ لَا بَدَأَ، فَيُلْزِمُهُ «مِنْ»، وَلَا غَايَةَ فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ «إِلَى».

64

فَلَهُ الْوُجُودُ الْأَتَمُّ. وَهُوَ الْمُؤْتَى جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَالْحِكَمِ.

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾؛ [سورة نوح : ٢٥] فَهِيَ الَّتِي خَطَّتْ بِهِمْ، فَغَرِقُوا

فِي بَحَارِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَهُوَ الْحَيْرَةُ.

﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ [سورة نوح : ٢٥] فِي عَيْنِ الْمَاءِ.



فِي الْمَحْمَدِيِّينَ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، [سورة التكوير : ٦] سَجَّرَتْ  
التَّنُورَ إِذَا أَوْقَدَتْهُ. 65

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾. [سورة نوح : ٢٥] فَكَانَ اللَّهُ  
عَيْنَ أَنْصَارِهِمْ، فَهَلَكُوا فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ.  
فَلَوْ أَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّيْفِ — سَيْفِ الطَّبِيعَةِ — لَنَزَلَ بِهِمْ عَنْ هَذِهِ  
الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ.

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ لِلَّهِ وَيَاللَّهِ، بَلْ هُوَ اللَّهُ.  
قَالَ نُوحٌ: «رَبِّ» مَاقَالَ: «إِلَهِيَّ»؛ فَإِنَّ الرَّبَّ لَهُ التُّبُوتُ. وَالْإِلَهُ  
يَتَنَزَّلُ وَيَأْسُمُ آء. فَهُوَ ﴿كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ﴾، [اقتب اس من سورة الرحمن :  
٢٩] فَأَرَادَ  
بِالرَّبِّ تُبُوتَ التَّلَوِينِ إِذْ لَا يَصِحُّ إِلَّا هُوَ.

﴿لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة نوح : ٢٦] يَدْعُو عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِيرُوا فِي  
بَطْنِهَا.

الْمُحَمَّدِيُّ: «لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحِ بَلٍ لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ»، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. (١).

وَإِذَا دُفِنَتْ فِيهَا، فَأَنْتَ فِيهَا وَهِيَ ظَرْفُكَ.  
﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة طه : ٥٥]  
لِاخْتِلَافِ الْوُجُوهِ. ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة نوح : ٢٦] الَّذِينَ ﴿أَسْتَغْشَوْا  
ثِيَابَهُمْ﴾ [سورة نوح : ٧].

﴿جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾. [سورة نوح : ٧][١٣ ظهر] طَلَبًا  
لِلسَّتْرِ؛ لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ، وَالْغَفْرُ السَّتْرُ.  
﴿دَيَّارًا﴾، [سورة نوح : ٢٦] أَحَدًا، حَتَّىٰ تَعَمَّ الْمَنَفَعَةُ كَمَا عَمَّتِ الدَّعْوَةُ.  
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ ؕ آي: تَدْعُهُمْ وَتَتَرُكُهُمْ﴾ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴿[سورة نوح  
: ٢٧] آي: يُحَيِّرُوهُمْ، فَيُخْرِجُوهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِلَىٰ مَا فِيهِمْ مِنْ أَسْرَارِ  
الرُّبُوبِيَّةِ.

فَيَنْظُرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَرْبَابًا بَعْدَمَا كَانُوا عِنْدَ نَفْسِهِمْ عِبِيدًا.  
فَهُمُ الْعَبِيدُ الْأَرْبَابُ.

﴿وَلَا يَلِدُوا ؕ آي: مَا يَنْتَجُونَ، وَلَا يُظْهَرُونَ﴾ إِلَّا فَاجِرًا ﴿[سورة نوح :  
٢٧] آي: مُظْهِرًا مَا سَتَرَ.

﴿كَفَارًا﴾ [سورة نوح : ٢٧] آي: سَاتِرًا مَا ظَهَرَ بَعْدَ ظُهُورِهِ.  
فَيُظْهِرُونَ مَا سَتَرَ ثُمَّ يَسْتُرُونَهُ بَعْدَ ظُهُورِهِ، فَيَحَارُ النََّاظِرُ وَلَا يَعْرِفُ  
قَصْدَ الْفَاجِرِ فِي فُجُورِهِ، وَلَا الْكَافِرِ فِي كُفْرِهِ، وَالشَّخْصُ وَاحِدٌ.  
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [سورة نوح : ٢٨] آي: أَسْتُرْنِي، وَأَسْتُرْ مِنْ أَجْلِي،  
فَيُجْهَلُ مَقَامِي وَقَدْرِي كَمَا جُهِلَ قَدْرُكَ فِي قَوْلِكَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
قَدْرِهِ﴾ [سورة الأنعام : ٩١].

﴿وَلَوْلَدَى﴾ [سورة نوح : ٢٨] مَنْ كُنْتَ نَتِيجَةً عَنْهُمَا، وَهُمَا: الْعَقْلُ  
وَالطَّبِيعَةُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلَ بُيُوتِي﴾ [سورة نوح : ٢٨] أَي: قَلْبِي.

﴿مُؤْمِنًا﴾، [سورة نوح : ٢٨] مُصَدِّقًا بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ

الِإِلَهِيَّةِ. وَهُوَ «مَاحَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا».

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة نوح : ٢٨] مِنَ الْعُقُولِ ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [سورة نوح :

٢٨] مِنَ النَّفُوسِ.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: [سورة نوح : ٢٨] مِنَ الظُّلُمَاتِ أَي: أَهْلَ الْغَيْبِ

الْمُكْتَنَفِينَ خَلْفَ الْحُجُبِ الظُّلُمَانِيَّةِ. ﴿الَّتَبَارًا﴾ [سورة نوح : ٢٨] أَي:

هَالِكًا، فَلَا يَعْرِفُونَ نَفُوسَهُمْ لِشُھُودِهِمْ وَجَهَ الْحَقِّ دُونَهُمْ.

فِي الْمُحَمَّدِيِّينَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص : ٨٨]

وَالْتَّبَارُ الْهَالِكُ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَسْرَارِ نُوحٍ، فَعَلَيْهِ بِالرُّقِيِّ فِي فَلَكِ يُوحٍ.

وَهُوَ فِي «التَّنَزُّلَاتِ الْمَوْصِلِيَّةِ» لَنَا.

[٤] ﴿فَصْ حِكْمَةً قُدُوسِيَّةً فِي كَلِمَةٍ إِدْرِيْسِيَّةٍ﴾

الْعُلُوُّ نِسْبَتَانِ، عُلُوُّ مَكَانٍ وَعُلُوُّ مَكَانَةٍ، فَعُلُوُّ الْمَكَانِ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا

عَلِيًّا﴾ [سورة مريم : ٥٧].

وَأَعْلَى الْأُمْكِنَةِ الْمَكَانِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى عَالَمِ الْأَفَلِ الْوَهُوَ فَلَكُ

الشَّمْسِ، وَفِيهِ مَقَامُ رُوحَانِيَّةِ إِدْرِيْسٍ.

وَتَحْتَ هَ سَبْعَةُ أَفْلَاقٍ، وَفَوْقَهُ سَبْعَةُ أَفْلَاقٍ وَهُوَ الْخَا مِسَ عَشَرَ، فَالَّذِي يَفُوقُهُ

فَلَكَ الْأَحْمَرُ، وَفَلَكَ الْمُشْتَرِي، [١٤ وجه] وَفَلَكَ كَيَّوَانٌ، وَفَلَكَ  
71 الْمَنَازِلُ، وَفَلَكَ الْأَطْلَسُ: فَلَكَ الْبُرُوجُ، وَفَلَكَ الْكُرْسِيُّ، وَفَلَكَ  
الْعَرْشُ.

72 وَالَّذِي دُونَهُ: فَلَكَ الزُّهْرَةُ، وَفَلَكَ الْكَاتِبُ، وَفَلَكَ الْقَمَرُ، وَأُكْرَةُ  
الْأَثِيرِ، وَأُكْرَةُ الْهَوَاءِ، وَأُكْرَةُ الْمَاءِ، وَأُكْرَةُ التُّرَابِ.  
فَمِنْ حَيْثُ هُوَ قُطْبُ الْأَفْلَاقِ هُوَ رَفِيعُ الْمَكَانِ.  
وَأَمَّا عُلُوُّ الْمَكَانَةِ فَهُوَ لَنَا، أَعْنِي: الْمُحَمَّدِيِّينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد : ٣٥] فِي هَذَا  
الْعُلُوِّ، وَهُوَ يَتَعَالَى عَنِ الْمَكَانِ لَا عَنِ الْمَكَانَةِ.

وَلَمَّا خَافَتْ نَفُوسُ الْعُمَّالِ مِنَّا اتَّبَعَ الْمَعِيَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ يَتْرُكُكُمْ  
أَعْمَالُكُمْ﴾ [سورة محمد : ٣٥]، فَالْعَمَلُ يُطْلَبُ الْمَكَانَ. وَالْعِلْمُ يُطْلَبُ  
الْمَكَانَةَ. فَجَمَعَ لَنَا بَيْنَ الرَّفْعَتَيْنِ: عُلُوُّ الْمَكَانِ بِالْعَمَلِ، وَعُلُوُّ الْمَكَانَةِ بِالْعِلْمِ.  
ثُمَّ قَالَ تَنْزِيهًا لِلشُّتْرَاكِ بِالْمَعِيَّةِ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الْأَعْلَى  
: ١]، عَنْ هَذَا الشُّتْرَاكِ الْمَعْنَوِيِّ.

73 وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ كَوْنُ الْإِنْسَانِ أَعْلَى الْمَوْجُودَاتِ، أَعْنِي: الْإِنْسَانَ  
الْكَامِلَ، وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ الْعُلُوُّ إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ، إِمَّا إِلَى الْمَكَانِ، وَإِمَّا إِلَى الْمَكَانَةِ،  
وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ.

فَمَا كَانَ عُلُوُّهُ لِذَاتِهِ، فَهُوَ الْعَلِيُّ بِعُلُوِّ الْمَكَانِ وَالْمَكَانَةِ. فَالْعُلُوُّ لَهُمَا.

فَعُلُّوا الْمَكَانَ: ﴿الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥]، وَهُوَ  
 أَعْلَى الْأَمَاكِينِ. وَعُلُّوا الْمَكَانَةَ: ﴿كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص  
 : ٨٨]، وَ﴿إِلَيَّ هِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣]، ﴿أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [سورة  
 النمل : ٦٠].

وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [سورة مريم : ٥٧]، فَجَعَلَ  
 ﴿عَلِيًّا﴾ نَعْتًا لِلْمَكَانِ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:  
 ٣٠]، فَهَذَا عُلُّوا الْمَكَانَةَ. وَقَالَ فِي الْمَلَأِكَةِ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ  
 الْعَالِينَ﴾ [سورة ص : ٧٥]، فَجَعَلَ الْعُلُّو لِلْمَلَأِكَةِ فَلَوْ كَانَ لِكُونِهِمْ مَلَأِكَةً  
 لَدَخَلَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْعُلُّو. فَلَمَّا لَمْ يَعْمَ، مَعَ أَشْتِرَاكِهِمْ فِي حَدِّ  
 الْمَلَكِيَّةِ، عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْعُلُّو الْمَلَكِ انْتِ عِنْدَ اللَّهِ. وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ مِنَ النَّاسِ،  
 لَوْ كَانَ عُلُّوهُمْ بِالْخِلَافَةِ عُلُّوًّا ذَاتِيًّا لَكَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ. فَلَمَّا لَمْ يَعْمَ، عَرَفْنَا أَنَّ  
 ذَلِكَ الْعُلُّو لِلْمَكَانَةِ.

74

وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى «الْعَلِيُّ»، عَلَى مَنْ؟ وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ. فَهُوَ الْعَلِيُّ  
 لِذَاتِهِ.

أَوْ عَنْ مَادَا؟ وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ. فَعُلُّوهُ لِنَفْسِهِ.

[١٤ ظه ر] وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ، فَالْمُسَمَّى مُحَدَّثَاتُ

هِيَ الْعَلِيَّةُ لِذَاتِهَا، وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ. فَهُوَ الْعَلِيُّ، لَاعُلُّوْ إِضَافَةٍ، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ —

الَّتِي لَهُ الْعَدَمُ — التَّابِتَةُ فِيهِ، مَا شَمِتَتْ رَائِحَةً مِنَ الْوُجُودِ، فَهِيَ عَلَى حَالِهَا،

مَعَ تَعْدَادِ الصُّوَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ.

وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ، مِنَ الْمَجْمُوعِ فِي الْمَجْمُوعِ.

فَوُجُودُ الْكَثْرَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَهِيَ النَّسَبُ، وَهِيَ أُمُورٌ عَدَمِيَّةٌ، وَلَيْسَ

إِلَّا الْعَيْنُ، الَّذِي هُوَ الذَّاتُ.

75

فَهُوَ الْعَلِيُّ لِنَفْسِهِ، لَا بِالِإِضَافَةِ. فَمَا فِي الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ عُلوُّ

إِضَافَةٍ.

لَكِنَّ الْوُجُوهَ الْوُجُودِيَّةَ مُتَفَاضِلَةٌ، فَعُلُوُّ الْإِضَافَةِ مَوْجُودٌ فِي الْعَيْنِ

الْوَّاحِدَةِ، مِنْ حَيْثُ الْوُجُوهُ الْكَثِيرَةُ.

لِذَلِكَ نَقُولُ فِيهِ: «هُوَ لَا هُوَ، أَنْتَ لَا أَنْتَ».

قَالَ الْخَرَّازُ — وَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجْهِ الْحَقِّ وَلِسَانٌ مِنَ أَلْسِنِ تَهَ يَنْ طُقُّ عَنْ

نَفْسِهِ — بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَا،

فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَهُوَ عَيْنُ مَا ظَهَرَ، وَهُوَ عَيْنُ مَا بَطَنَ، فِي

حَالِ ظُهُورِهِ، وَمَا تَمَّ مِنْ يَرَاهُ غَيْرُهُ، وَمَا تَمَّ مِنْ يَبْطُنُ عَنْهُ، فَهُوَ ظَاهِرٌ لِنَفْسِهِ،

بَاطِنٌ عَنْهُ. وَالْمُسَمَّى أَبَا سَعِيدٍ الْخَرَّازِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُحَدَّثَاتِ.

فَيَقُولُ الْبَاطِنُ: «لَا»، إِذَا قَالَ الظَّاهِرُ: «أَنَا». وَيَقُولُ الظَّاهِرُ: «لَا»، إِذَا

76

قَالَ الْبَاطِنُ: «أَنَا». وَهَذَا فِي كُلِّ ضِدٍّ.

وَالْمُتَكَلِّمُ وَاحِدٌ وَهُوَ عَيْنُ السَّامِعِ.

يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا». فِيهِ الْمُحَدَّثَةُ السَّامِعَةُ حَدِيثَهَا، الْعَالِمَةُ بِمَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسَهَا، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ وَاخْتَلَفَتِ الْأَحْكَامُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى جَهْلٍ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ يَعْلَمُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ نَفْسِهِ. وَهُوَ صُورَةُ الْحَقِّ.

فَاخْتَلَطَتِ الْأُمُورُ، وَظَهَرَتِ الْأَعْدَادُ بِالْوَاحِدِ، فِي الْمَرَاتِبِ الْمَعْلُومَةِ، فَاوْجَدَ الْوَاحِدُ الْعَدَدَ، وَفَصَلَ الْعَدَدُ الْوَاحِدَ.

77

وَمَا ظَهَرَ حُكْمُ الْعَدَدِ إِلَّا بِالْمَعْدُودِ. وَالْمَعْدُودُ، مِنْهُ عَدَمٌ، وَمِنْهُ وُجُودٌ، فَقَدْ يُعْدَمُ الشَّيْءُ مِنْ حَيْثُ الْحِسُّ، وَهُوَ مَوْجُودٌ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ. فَلَا بُدَّ مِنْ عَدَدٍ وَمَعْدُودٍ. وَلَبُدَّ مِنْ وَاحِدٍ يُنْشِئُ ذَلِكَ. فَيُنْشَأُ بِسَبَبِهِ. [١٥ وجه] فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْعَدَدِ حَقِيقَةً وَاحِدَةً — كَالْتَّسَعَةِ مِثْلًا وَالْعَشْرَةِ إِلَى أَدْنَى، أَوْ إِلَى أَكْثَرٍ، إِلَى غَيْرِ نِهَآيَةٍ — [فَمَا هِيَ مَجْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَكُ عَنْ هَا أَسْمُ جَمْعِ الْآخَرِ. فَإِنَّ التَّائِينَ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، وَالتَّالِثَةَ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، بِالْغَا مَا بَلَغَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ.

وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَمَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ عَيْنٌ مَا بَقِيَ. فَالْجَمْعُ يَأْخُذُهَا، فَيَقُولُ: «بِهَا مِنْهَا»، وَيَحْكُمُ «بِهَا عَلَيْهَا». قَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الْقَوْلِ عِشْرُونَ مَرْتَبَةً، فَقَدْ دَخَلَهَا التَّرْكِيبُ. فَمَا تَنَفَّكَ تُثَبِّتُ عَيْنَ مَا هُوَ مَنْفِيٌّ عِنْدَكَ لِذَاتِهِ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا قَرَّرْنَاهُ فِي الْأَعْدَادِ، وَأَنَّ نَفْيَهَا عَيْنُ ثَبَّتْهَا، عَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ  
الْمُنَزَّهَ هُوَ الْخَلْقُ الْمُشَبَّهَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَمَيَّزَ الْخَلْقُ مِنَ الْخَالِقِ.  
فَالْأَمْرُ: الْخَالِقُ الْمَخْلُوقُ. وَالْأَمْرُ: الْمَخْلُوقُ الْخَالِقُ.  
كُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. لَا، بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ، وَهُوَ الْعُيُونُ  
الكَثِيرَةُ.

فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ ﴿قَالَ يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات : ١٠٢].

وَالْوَلَدُ عَيْنُ أَبِيهِ فَمَا رَأَى يَذْبَحُ سِوَى نَفْسِهِ.

وَفَدَاهُ ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠٧].

فَظَهَرَ بِصُورَةٍ كَبِشٍ مَنْ ظَهَرَ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ.

وَوَظَهَرَ بِصُورَةٍ وَلَدٍ لَا، بَلْ بِحُكْمٍ وَلَدٍ، مَنْ هُوَ عَيْنُ الْوَالِدِ.

﴿وَخَلَقَ مِنْهُ آ زَوْجَهُ آ﴾ [النساء : ١]، فَمَا نَكَحَ سِوَى نَفْسِهِ، فَمِنْهُ الصَّاحِبَةُ

وَالْوَلَدُ. وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ فِي الْعَدَدِ.

فَمِنْ الطَّبِيعَةِ وَمِنْ الظَّاهِرِ مِنْهَا، وَمَارَأَيْنَاهَا نَقَّصَتْ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلَا

زَادَتْ بِعَدَمِ مَا ظَهَرَ. وَمَا الَّذِي ظَهَرَ غَيْرُهَا. وَمَاهِي عَيْنُ مَا ظَهَرَ، لِاخْتِلَافِ

الصُّورِ بِالْحُكْمِ عَلَيْهَا؛ فَهَذَا بَارِدٌ يَابِسٌ، وَهَذَا حَارٌّ يَابِسٌ، فَجَمَعَ بِالْيَبَسِ،

وَأَبَانَ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالْجَامِعُ الطَّبِيعَةُ؛ لَا بَلْ الْعَيْنُ الطَّبِيعَةُ.

فَعَالِمُ الطَّبِيعَةِ صُورٌ فِي مِرَاةٍ وَاحِدَةٍ؛ لَا بَلْ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مَرَاةٍ



مُخْتَلِفَةً.

فَمَا تَمَّ إِلَّا حَيْرَةٌ لِنَفَرٍ النَّظَرِ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا قُلْنَا لَهُ لَمْ يَحَرَّ. وَإِنْ كَانَ فِي مَزِيدٍ عِلْمٍ، فَلَيْسَ إِلَّا

مِنْ حُكْمِ الْمَحَلِّ، وَالْمَحَلُّ عَيْنُ الْعَيْنِ الثَّابِتَةِ.

فِي هَا يَتَنَوَّعُ الْحَقُّ فِي الْمَجْلَى، فَتَتَنَوَّعُ الْأَحْكَامُ عَلَيَّ هِ، فَيَقْدُ بُلْ كُلِّ حُكْمٍ

[١٥ ظهر] وَمَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَيْنٌ مَاتَجَلَّى فِيهِ. مَا تَمَّ إِلَّا هَذَا.

[البسيط]

- ١- فَالْحَقُّ خُلِقَ بِهَذَا الْوَجْهِ فَاعْتَبِرُوا  
٢- مَنْ يَدْرِي مَا قُلْتُ لَمْ تُخْذَلْ بِصِيرَتِهِ  
٣- جَمْعٌ وَفَرَّقٌ فَإِنَّ الْعَيْنَ وَاحِدَةٌ  
وَلَيْسَ خَلْقًا بِذَلِكَ الْوَجْهِ فَادَّكِرُوا  
وَلَيْسَ يَدْرِيهِ إِلَّا مَنْ لَهُ بَصَرٌ  
وَهِيَ الْكَثِيرَةُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

فَالْعَالِي لِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لَهُ الْكَمَالُ الَّذِي يَسْتَعْرِقُ بِهِ جَمِيعَ الْأُمُورِ

80

الْوُجُودِيَّةِ، وَالنَّسَبِ الْعَدَمِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفُوتَهُ نَعْتُ مِنْهَا. وَسَوَاءٌ

كَانَتْ مَحْمُودَةً عُرْفًا وَعَقْلًا وَشَرْعًا، أَوْ مَذْمُومَةً عُرْفًا وَعَقْلًا وَشَرْعًا.

وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِاسْمَيْ «اللَّهِ» خَاصَّةً. وَأَمَّا غَيْرُ مُسَمًّى «اللَّهِ» خَاصَّةً،

مِمَّا هُوَ مَجْلَى لَهُ أَوْ صُورَةٌ فِيهِ. فَإِنْ كَانَ مَجْلَى لَهُ فَيَقَعُ التَّفَاضُلُ — لَا بُدَّ

مِنْ ذَلِكَ — بَيْنَ مَجْلَى وَمَجْلَى. وَإِنْ كَانَ صُورَةً فِيهِ، فَلَيْتَكَ الصُّورَةُ عَيْنُ

الْكَمَالِ الذَّاتِيِّ؛ لِأَنَّهَا عَيْنُ مَا ظَهَرَتْ فِيهِ.

فَالَّذِي لِسَمًّى «اللَّهِ» هُوَ الَّذِي لَيْتَكَ الصُّورَةَ. وَلَيْتَكَ لَيْتَكَ هُوَ، وَلَا هِيَ

غَيْرُهُ.

وَقَدْ أَشَارَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ قَسِيٍّ فِي خَلْعِهِ إِلَى هَذَا بِقَوْلِهِ: أَنَّ كُلَّ

اسْمٍ إِلَهِيٍّ يَتَسَمَّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَيُنْعَتُ بِهَا، وَذَلِكَ هُنَاكَ أَنَّ كُلَّ

81

اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ وَيَطْلُبُهُ، فَمِنْ حَيْثُ

دَلَالَتُهُ عَلَى الذَّاتِ، لَهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ. وَمِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمَعْنَى، الَّذِي

يَنْفَرِدُ بِهِ، يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ كَالرَّبِّ، وَالْخَالِقِ، وَالْمُصَوِّرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. فَالْأَسْمُ

الْمُسَمَّى مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ. وَالْأَسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى مِنْ حَيْثُ مَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ

الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ.

فَإِذَا فَهِمْتَ أَنَّ «الْعَلِيَّ» مَا ذَكَرْنَاهُ، عَلِمْتَ أَنَّهُ لِي سَعْلُو الْمَكَانِ، وَلَا عُلُوَّ

الْمَكَانَةِ. فَإِنَّ عُلُوَّ الْمَكَانَةِ يَخْتَصُّهُ بِوَلَاةِ الْأَمْرِ، كَالسُّلْطَانِ، وَالْحُكَّامِ،

82

وَالْوُزَرَءِ، وَالْقُضَاةِ، وَكُلِّ ذِي مَنْصَبٍ سِوَاكَ كَانَتْ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ ذَلِكَ

الْمَنْصَبِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَالْعُلُوُّ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَعْلَمُ النَّاسِ يَتَحَكَّمُ فِيهِ مَنْ لَهُ [١٦ وجه] مَنْصِبُ التَّحَكُّمِ،

وَإِنْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ. فَهَذَا عَلِيُّ بِالْمَكَانَةِ بِحُكْمِ التَّبَعِ، مَا هُوَ عَلِيٌّ فِي

نَفْسِهِ، فَإِذَا عُرِلَ زَالَتْ رِفْعَتُهُ، وَالْعَالِمُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

[٥] فَصَّ حِكْمَةَ مُهَيْمِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِبْرَاهِيمِيَّةٍ ﴿

83

إِنَّمَا سُمِّيَ خَلِيلًا لِتَخَلُّلِهِ وَحَصْرِهِ جَمِيعَ مَا أُتِّصِفَتْ بِهِ الذَّاتُ

الْإِلَهِيَّةُ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الخفيف]

وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

وَتَخَلَّلَتْ مَسَلَكَ الرُّوحِ مِنِّي

كَمَا يَتَخَلَّلُ اللَّوْنُ الْمُتَلَوَّنَ، فَيُلَوِّنُ الْعَرَضَ بِحَيْثُ جَوْهَرُهُ مَا هُوَ  
كَالْمَكَانِ وَالْمُتَمَكِّنِ.

أَوْ لِتَخْلُلِ الْحَقُّ وُجُودَ صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَكُلُّ حُكْمٍ يَصِحُّ مِنْ ذَلِكَ. فَإِنَّ  
لِكُلِّ حُكْمٍ مَوْطِنًا يَظْهَرُ بِهِ، لَا يَتَعَدَّاهُ.

أَلَا تَرَى الْحَقَّ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ،  
وَبِصِفَاتِ النَّقْصِ، وَبِصِفَاتِ الذَّمِّ.

أَلَا تَرَى الْمَخْلُوقَ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْحَقِّ، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَكُلُّهُ أَوْ حَقُّ  
لَهُ.

كَمَا هِيَ صِفَاتُ الْمُحْدَثَاتِ حَقٌّ لِلْحَقِّ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَارْجَعْتُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ الشَّأْنِ مِنْ كُلِّ حَامِدٍ وَمَحْمُودٍ. ﴿وَالِإِيَّاهِ

يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣] فَعَمَّ مَا ذَمَّ وَحَمِدَ، وَمَا تَمَّ إِلَّا مَحْمُودٌ  
أَوْ مَذْمُومٌ.

أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَخَلَّلَ شَيْءٌ شَيْئًا إِلَّا كَانَ مَحْمُولًا فِيهِ. فَالْمُتَخَلَّلُ، أَسْمٌ

فَاعِلٌ مَحْجُوبٌ بِالْمُتَخَلَّلِ، أَسْمٌ مَفْعٌ وَلِ. فَاسْمُ الْمَفْعِ عُولٍ هُوَ الظَّاهِرُ، وَأَسْمٌ

الْفَاعِلِ هُوَ الْبَاطِنُ الْمَسْتُورُ، وَهُوَ غِذَاءٌ لَهُ، كَالْمَاءِ يَتَخَلَّلُ الصُّوفَةُ فَتَرْبُو بِهِ

وَتَتَسَّعُ، فَإِنَّ كَانَ الْحَقُّ هُوَ الظَّاهِرُ، فَالْحَقُّ لَقِيَ مَسْتُورٌ فِيهِ، فَيَكُونُ الْخَلْقُ جَمِيعَ

أَسْمَاءِ الْحَقِّ: سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ، وَجَمِيعَ نَسَبِهِ وَإِدْرَاكَاتِهِ.

وَإِنْ كَانَ الْخَلْقُ هُوَ الظَّاهِرُ، فَالْحَقُّ مَسْتُورٌ بَاطِنٌ فِيهِ، فَالْحَقُّ سَمْعُ  
الْخَلْقِ

وَبَصَرُهُ وَيَدُهُ وَرِجْلُهُ، وَجَمِيعُ قَوَاهُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ.

ثُمَّ إِنَّ الذَّاتَ لَوْ تَعَرَّتْ عَنْ هَذِهِ النَّسَبِ لَمْ تَكُنْ إِلَهًا.

وَهَذِهِ النَّسَبُ أَحَدَتْتَهَا أَعْيَانُنَا، فَنَحْنُ جَعَلْنَاهُ بِمَا لِأُلُوْهِيَّتِنَا إِلَهًا.

فَلَا يُعْرَفُ حَتَّى نُعْرِفَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ

86

رَبَّهُ» [١٦ ظهر] وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ.

فَإِنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ، وَأَبَا حَامِدٍ، أَدْعَوُا إِنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ

87

فِي الْعَالَمِ؛ وَهَذَا غَلْطٌ.

نَعَمْ، تُعْرِفُ ذَاتُ قَدِيمَةِ أَزَلِيَّةٍ، لَا يُعْرِفُ أَنَّهَا إِلَهٌ، حَتَّى يُعْرِفَ الْمَأْلُوهُ،

فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا فِي ثَانِي حَالٍ يُعْطِيكَ الْكَشْفُ، أَنَّ الْحَقَّ نَفْسُهُ كَانَ عَيْنَ

الدَّلِيلِ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أُلُوْهِتِهِ.

وَأَنَّ الْعَالَمَ لَيْسَ إِلَّا تَجَلِّيهِ، فِي صُورِ أَعْيَانِهِمُ الثَّابِتَةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ

وُجُودُهَا بِدُونِهِ.

وَأَنَّهُ يَتَنَوَّعُ [أَوْ: يَتَنَوَّعُ] وَيَتَصَوَّرُ [أَوْ: يَتَصَوَّرُ]، بِحَسَبِ حَقَائِقِ هَذِهِ

الْأَعْيَانِ وَأَحْوَالِهَا.

88

وَهَذَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ مِنَّا أَنَّهُ إِلَهٌ لَنَا.

ثُمَّ يَأْتِي الْكَشْفُ الْآخَرُ، فَيُظْهِرُ [أَوْ: فَيُظْهِرُ] لَكَ صُورَنَا فِيهِ فَيُظْهِرُ

بَعْضَنَا لِبَعْضٍ، فِي الْحَقِّ، فَيَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَيَتَمَيَّزُ بَعْضُنَا عَنْ

بَعْضٍ.

فَمِنَّا مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ فِي الْحَقِّ، وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ لَنَا بِنَا، وَمِنَّا مَنْ يَجْهَلُ  
الْحَضْرَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِنَا. ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ﴾. [سورة البقرة : ٦٧]

وَبِالْكَاشِفِينَ مَعَا مَا يَحْكُمُ عَلَيْنَا إِلَّا بِنَا.

لَا، بَلْ نَحْنُ نَحْكُمُ عَلَيْنَا بِنَا، وَلَكِنْ فِيهِ.

وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٩]، يَعْني عَلَى

الْمَحْجُوبِينَ، إِذَا قَالُوا لِلْحَقِّ: «لِمَ فَعَلْتَ بِنَا كَذَا وَكَذَا؟» مِمَّا لَا يُوَافِقُ

أَغْرَاضَهُمْ، فَ﴿يُكْشَفُ﴾ لَهُمْ ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة القلم : ٤٢].

وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَشَفَهُ الْعَارِفُونَ هُنَا؛ فَيَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ مَا فَعَلَ بِهِمْ

مَا أَدَّعَوْهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ. وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَإِنَّهُ مَا عَلَّمَهُمْ إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

89

فَتَنْدَحِضُ حُجَّتَهُمْ وَتَبْقَى الْحُجَّةُ لِلَّهِ الْبَالِغَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا فَايِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام

: ١٤٩]. قُلْنَا: ﴿لَوْ شَاءَ﴾؛ ﴿لَوْ﴾ حَرْفُ امْتِنَاعٍ الْاُمْتِنَاعِ. فَمَا شَاءَ إِلَّا

مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ عَيْنُ الْمُمَكِّنِ قَابِلٌ لِلشَّيْءِ وَنَقِي ضَيْهِ، فِي حُكْمٍ دَلِيلٍ لِ

الْعَقْلِ. وَأَيُّ الْحُكْمَيْنِ الْمُعْقُولَيْنِ وَقَعَ. ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَكُنْ عَلَيْهِ الْمُمَكِّنُ فِي

حَالِ ثُبُوتِهِ.

وَمَعْنَى ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾: لَبَيِّنَ لَكُمْ. وَمَا كُلُّ مُمَكِّنٍ مِنَ الْعَالَمِ، فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَ

بَصِيرَتِهِ، لِإِدْرَاكِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ.

[١٧ وجه] فَمَا شَاءَ، فَمَا هَدَاهُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَا يَشَاءُ.

وَكَذَلِكَ «إِنْ يَشَاءُ»: فَهَلْ يَشَاءُ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ.

فَمَشِيئَتُهُ أَحَدِيَّةُ التَّعَلُّقِ، وَهِيَ نِسْبَةٌ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ نِسْبَةٌ تَابِعَةٌ

لِلْمَعْلُومِ. وَالْمَعْلُومُ أَنْتَ وَأَحْوَالُكَ. فَلَيْسَ لِلْعِلْمِ أَثَرٌ فِي الْمَعْلُومِ، بَلْ لِلْمَعْلُومِ

أَثَرٌ فِي الْعَالِمِ، فَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ، مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عَيْنِهِ.

وَأِنَّمَا وَرَدَ الْخِطَابُ الْإِلَهِيُّ بِحَسَبِ مَا تَوَاطَأَ عَلَيْهِ الْمُخَاطَبُونَ، وَمَا

90

أَعْطَاهُ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ، مَا وَرَدَ الْخِطَابُ عَلَى مَا يُعْطِيهِ الْكَشْفُ. وَلِذَلِكَ كَثُرَ

الْمُؤْمِنُونَ، وَقَلَّ الْعَارِفُونَ أَصْحَابُ الْكُشُوفِ.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات : ١٦٤].

وَهُوَ مَا كُنْتَ بِهِ فِي ثُبُوتِكَ، ظَهَرَتْ بِهِ فِي وُجُودِكَ.

هَذَا إِنْ ثَبَتَ أَنَّ لَكَ وُجُودًا.

فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ الْوُجُودَ لِلْحَقِّ، لَا لَكَ، فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ فِي وُجُودِ

الْحَقِّ.

وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّكَ الْمَوْجُودُ، فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ.

وَإِنْ كَانَ الْحَاكِمُ الْحَقُّ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِفَاضَةُ الْوُجُودِ عَلَيْكَ، وَالْحُكْمُ لَكَ

عَلَيْكَ.

فَلَا تَحْمَدُ إِلَّا نَفْسَكَ، وَلَا تَذُمَّ إِلَّا نَفْسَكَ.

وَمَا يَبْقَىٰ لِلْحَقِّ إِلَّا حَمْدٌ إِفَاضَةَ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَهُ، لَا لَكَ.

فَأَنْتَ غِذَاؤُهُ بِالْأَحْكَامِ، وَهُوَ غِذَاؤُكَ بِالْوُجُودِ.

فَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ مَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ.

فَالْأَمْرُ مِنْهُ إِلَيْكَ، وَمِنْكَ إِلَيْهِ.

غَيْرَ أَنَّكَ تُسَمِّي 'مُكَلَّفًا'، :: وما كَلَّفَكَ ::. إِلَّا بِمَا قُلْتَ لَهُ: «كَلَّفَنِي

بِحَالِكَ وَبِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ. وَلَا تُسَمِّي 'مُكَلَّفًا'، أَسْمُ مَفْعُولٍ.

91

[مَجْزُوءُ الْوَافِرِ]

١-فَيَحْمَدُنِي وَأَحْمَدُهُ وَيَعْبُدُنِي وَأَعْبُدُهُ

٢-فَفِي حَالِ أَقْرَبِهِ وَفِي الْأَعْيَانِ أَجْحَدُهُ

٣-فَيَعْرِفُنِي وَأُنْكِرُهُ وَأَعْرِفُهُ فَأَشْهَدُهُ

٤-فَأِنِّي بِالْغِنَى وَأَنَا أُسَاعِدُهُ وَأُسْعِدُهُ

٥-لِذَاكَ الْحَقُّ أَوْجَدَنِي فَأَعْلَمُهُ فَأَوْجِدُهُ

٦-بِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ لَنَا وَحَقَّقَ فِي مَقْصِدِهِ

[١٧ ظهر] وَلَمَّا كَانَ لِلْخَلِيلِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، الَّتِي بِهَا سُمِّيَ خَلِيلًا؛

لِذَاكَ سُنَّ الْقَرَى، وَجَعَلَهُ أَبْنُ مَسْرَةٍ مَعَ مِيكَائِيلَ لِلْأَرْزَاقِ، وَبِالْأَرْزَاقِ

يَكُونُ تَغْذِي الْمَرْزُوقِينَ. فَإِذَا تَخَلَّلَ الرِّزْقُ ذَاتَ الْمَرْزُوقِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى

92

فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا تَخَلَّلَهُ، فَإِنَّ الْغِذَاءَ يَسْرِي فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْمُتَغَذِّي كُلِّهَا.

وَمَا هُنَاكَ أَجْزَاءٌ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَخَلَّلَ جَمِيعَ الْمَقَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، الْمُعْبَرِ عَنْهَا

بِالْأَسْمَاءِ فَتَظْهَرُ بِهَا ذَاتُهُ، جَلَّ وَعَلَا.

## [مَجْزُوءُ الْوَافِرِ]

- ١-فَنَحْنُ لَهُ كَمَا ثَبَتَتْ      أَدَلَّتُنَا وَنَحْنُ لَنَا  
٢-وَلَيْسَ لَهُ سِوَى كَوْنِي      فَنَحْنُ لَهُ كَنَحْنُ بِنَا  
٣-      فَلِي وَجْهَانِ: «هُوَ» وَ«أَنَا» وَلَيْسَ لَهُ أَنَا بِأَنَا  
٤-      وَلَكِنْ فِي مَظْهَرِهِ فَنَحْنُ لَهُ كَمِثْلٍ إِنَّا

93

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب : ٤].

[٦] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ حَقِّيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ إِسْحَاقِيَّةٍ﴾

94

## [الطويل]

- ١-فِدَاءُ نَبِيٍّ ذَبَحَ ذَبْحَ لِقُرْبَانِ  
وَأَيْنَ ثَوَاجُ الْكَبْشِ مِنْ نُوسِ إِنْسَانِ  
٢-وَعَظْمُهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ عِنَايَةً بِنَا  
أَوْ بِهِ لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ مِيزَانِ  
٣-وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبُذْنَ أَعْظَمُ قِيَمَةً  
وَقَدْ نَزَلَتْ عَنْ ذَبْحِ كَبْشٍ لِقُرْبَانِ  
٥-فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَابَ بِذَاتِهِ  
شُخَيْصُ كُبَيْشٍ عَنْ خَلِيفَةِ رَحْمَانِ  
٦-أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ مُرْتَبٌ  
وَفَاءٌ لِأَرْبَاحٍ وَنَقْصٌ لِحُسْرَانِ  
٧-فَلَا خَلْقَ أَعْلَى مِنْ جَمَادٍ وَبَعْدَهُ

95



نَبَاتٌ عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ وَأَوْزَانِ

٨- وَذُو الْحِسِّ بَعْدَ النَّبْتِ وَالْكُلُّ

عَارِفٌ بِخَلْقِهِ كَشْفًا وَإِيْضًا حِرَاهَانِ

٩- وَأَمَّا الْمُسَمَّى «أَدَمًا» فَمُقَيَّدٌ

بِعَقْلِ وَفِكْرٍ أَوْ قِلَادَةِ إِيْمَانِ

١٠- بَذَا قَالَ سَهْلٌ وَالْمُحَقِّقُ مِثْلَنَا

لَأَنَّا وَإِيَّاهُمْ بِمَنْزِلِ إِحْسَانِ

١١- فَمَنْ شَهِدَ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ

يَقُولُ بِقَوْلِي فِي خَفَاءٍ وَإِعْلَانِ

[١٨ وجه] ١٢- وَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلًا يُخَالِفُ قَوْلَنَا

وَلَا تَبْذُرِ السَّمْرَ فِي أَرْضِ عُمَيَّانِ

١٣- هُمْ الصُّمُّ وَالْبُكْمُ الَّذِينَ أَتَى بِهِمْ

لِاسْمَاعِنَا الْمَعْصُومِ فِي نَصِّ قُرْآنِ

أَعْلَمَ أَيْدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ قَالَ لِابْنِهِ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي

الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]، وَالْمَنَامُ حَضْرَةُ الْخِيَالِ، فَلَمْ

يُعْبَرْهَا.

وَكَانَ كَبُشُّ ظَهَرَ فِي صُورَةِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ، فَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمُ

الرُّؤْيَا فَفَدَاهُ رَبُّهُ، مِنْ وَهُمْ إِبْرَاهِيمَ، بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ؛ الَّذِي هُوَ تَعْبِيرُ رُؤْيَاهُ

عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

فَالْتَجَلَّى الصُّورِيُّ فِي حَضْرَةِ الْخِيَالِ، مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ بِهِ يُدْرِكُ  
مَا أَرَادَ اللَّهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي  
تَعْبِيرِهِ الرَّؤْيَا : «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» فَسَأَلَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُعَرِّفَهُ  
مَا أَصَابَ فِيهِ وَمَا أَخْطَأَ. فَلَمْ يَفْعَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نَادَاهُ : ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ  
صَدَّقْتَ الرَّؤْيَا﴾ [سورة الصافات : ١٠٤ - ١٠٥]، وَمَا قَالَ لَهُ : «صَدَقْتَ فِي  
الرُّؤْيَا» إِنَّهُ أَبْنُكَ؛ لِأَنَّهُ مَا عَبَّرَهَا، بَلْ أَخَذَ بِظَاهِرِ مَا رَأَى. وَالرُّؤْيَا تَطْلُبُ  
التَّعْبِيرَ.

وَلِذَلِكَ قَالَ الْعَزِيزُ : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف : ٤٣].  
وَمَعْنَى التَّعْبِيرِ: الْجَوَازُ مِنْ صُورَةِ مَا رَأَاهُ إِلَى أَمْرِ آخَرَ.  
فَكَانَتْ الْبَقَرُ: سِنِينَ فِي الْمَحَلِّ وَالْخِصْبِ. فَلَوْ صَدَقَ فِي الرَّؤْيَا،  
لَذَبَحَ أَبْنَهُ.

وَإِنَّمَا صَدَّقَ الرَّؤْيَا فِي أَنَّ ذَلِكَ عَيْنٌ وَلَدِهِ، وَمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا  
الذَّبْحُ الْعَظِيمُ فِي صُورَةِ وَلَدِهِ.

فَفَدَاهُ لِمَا وَقَعَ فِي ذَهْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا هُوَ فِدَاءٌ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ عِنْدَ اللَّهِ.

فَصَوَّرَ الْحِسَّ الذَّبْحَ، وَصَوَّرَ الْخَيَالَ أَبْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَوْ رَأَى الْكَبْشَ فِي الْخَيَالِ لَعَبَّرَهُ بِأَبْنِهِ، أَوْ بِأَمْرِ آخَرَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ﴾ [سورة الصافات : ١٠٦] أَيْ: الْاِخْتِبَارُ،

﴿أَلَمْ يَبْنُ﴾، أَيْ: الظَّاهِرُ. يَعْنِي: الْاِخْتِبَارُ بَارٍ فِي الْعِلْمِ. هَلْ يَعْلَمُ مَا يَقْتَضِيهِ  
مَوْطِنُ

الرُّؤْيَا مِنَ التَّعْبِيرِ [١٨ ظهر] أَمْ لَا؟ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْطِنَ الْخَيَالِ يَطْلُبُ

التَّعْبِيرَ. فَغَفَلَ فَمَا وَفَّى الْمَوْطِنَ حَقَّهُ، وَصَدَّقَ الرُّؤْيَا لِهَذَا السَّبَبِ.

كَمَا فَعَلَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ الْإِمَامُ صَاحِبُ الْمُسْنَدِ، سَمِعَ فِي الْخَبَرِ

100

الَّذِي ثَبَتَ عِنْدَهُ، أَنَّهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — قَالَ: «مَنْ رَأَانِي فِي النَّوْمِ، فَقَدْ

101

رَأَانِي فِي الْيَقِظَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ عَلَى صُورَتِي»، فَرَأَاهُ بَقِيُّ بْنُ

مَخْلَدٍ، وَسَقَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا لَبَنًا، فَصَدَّقَ بَقِيُّ

بْنُ مَخْلَدٍ رُؤْيَاهُ، فَاسْتَقَاءَ، فَقَاءَ لَبَنًا. وَلَوْ عَبَّرَ رُؤْيَاهُ لَكَانَ ذَلِكَ اللَّبَنُ عِلْمًا.

102

فَدَرَمَهُ اللَّهُ عِلْمًا كَثِيرًا عَلَى قَدَرٍ مَاشَرَبَ. أَلَا تَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ، أُتِيَ فِي الْمَنَامِ بِقَدَحِ لَبَنٍ. قَالَ: «فَشَرِبْتُهُ حَتَّى خَرَجَ الرَّيُّ مِنْ

أُظْفَرِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ». قِيلَ: مَا أَوْلَتْهُ يَارَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

«الْعِلْمُ»، وَمَاتَرَكَهُ لَبَنًا عَلَى صُورَةِ مَا رَأَاهُ، لِإِعْلَامِهِ بِمَوْطِنِ الرُّؤْيَا، وَمَا تَقِي  
تَضِي

مِنَ التَّعْبِيرِ.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ صُورَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي شَاهَدَهَا الْحَسُّ

103

إِنَّهَا فِي الْمَدِينَةِ مَدْفُونَةٌ، وَأَنَّ صُورَةَ رُوحِهِ وَلَطِيفَتِهِ، مَا شَاهَدَهَا أَحَدٌ مِنْ  
أَحَدٍ وَلَا مِنْ نَفْسِهِ.

كُلُّ رُوحٍ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ.

فَيَتَجَسَّدُ لَهُ رُوحُ النَّبِيِّ فِي الْمَنَامِ بِصُورَةِ جَسَدٍ هَكَذَا مَاتَ عَلَيْهِ، لَا يَخُورُ  
مِنْهُ شَيْئًا. فَهُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمُرْتَبِيُّ مِنْ حَيْثُ رُوحُهُ، فِي صُورَةِ

جَسَدٍ يَتَشَبَّهُ الْمَدْفُونَةَ، لَا يُمكنُ لِشَيْءٍ أَنْ يَتَصَوَّرَ بِصُورَةِ جَسَدٍ هَكَذَا  
صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ فِي حَقِّ الرَّائِي.

وَلِهَذَا مَنْ رَأَاهُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ يَأْخُذُ عَنْهُ جَمِيعَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ، أَوْ يَنْهَاهُ، أَوْ

يُخْبِرُهُ، كَمَا كَانَ يَأْخُذُ عَنْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى حَسَبِ

مَا يَكُونُ مِنْهُ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصٍّ، أَوْ ظَاهِرٍ، أَوْ مُجْمَلٍ، أَوْ مَا كَانَ.

فَإِنْ أَعْطَاهُ شَيْئًا، فَإِنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّعْبِيرُ، فَإِنْ خَرَجَ فِي

الْحِسِّ كَمَا كَانَ فِي الْخَيَالِ، فَتِلْكَ رُؤْيَا لَا تَعْبِيرُ لَهَا. وَبِهَذَا الْقَدْرِ وَعَلَيْهِ

أَعْتَمَدَ إِبْرَاهِيمُ [١٩ وجه] الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَقِيَ بْنُ مَخْلَدٍ.

104

وَلَمَّا كَانَ لِلرُّؤْيَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ، وَعَلَّمَنَا اللَّهُ فِيمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ،

وَمَا قَالَهُ الْأَدَبُ، لَمَّا يُعْطِيهِ مَقَامُ النَّبُوءَةِ، عَلِمْنَا فِي رُؤْيَيْنَا الْحَقَّ تَعَالَى فِي

صُورَةِ يَرُدُّهَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ أَنَّ نَعْبْرَ تِلْكَ الصُّورَةِ بِالْحَقِّ الْمَشْرُوعِ. إِمَّا فِي

حَقِّ حَالِ الرَّائِي، أَوْ الْمَكَانِ الَّذِي رَأَاهُ فِي هَكَذَا، أَوْ هُمَا مَعًا. فَإِنْ لَمْ يَرُدُّهَا الدَّلِيلُ

الْعَقْلِيُّ، أَبْقَيْنَاهَا عَلَى مَا رَأَيْنَاهَا كَمَا نَرَى الْحَقَّ فِي الْآخِرَةِ سَوَاءً.

١- فَلِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

مِنَ الصُّورِ مَا يَخْفَى وَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

٢- فَإِنْ قُلْتَ: «هَذَا الْحَقُّ قَدْ تَكُ صَادِقًا»

وَإِنْ قُلْتَ: «أَمْرٌ آخَرُ» أَنْتَ عَابِرٌ

٣- وَمَا حُكْمُهُ فِي مَوْطِنٍ دُونَ مَوْطِنٍ

وَلَكِنَّهُ بِالْحَقِّ لِلْخَلْقِ سَافِرٌ

٤- إِذَا مَا تَجَلَّى لِلْعُيُونِ تَرُدُّهُ

105

عُقُولٌ بِبُرْهَانٍ عَلَيْهِ تُثَابِرُ

٥- وَيُقْبَلُ فِي مَجَلَى الْعُقُولِ وَفِي الَّذِي

يُسَمَّى خَيَالًا وَالصَّحِيحُ النَّوَظِرُ

يَقُولُ أَبُو يَزِيدَ فِي هَذَا الْمَقَامِ: «لَوْ أَنَّ الْعَرْشَ وَمَا حَوَاهُ، مِائَةَ أَلْفِ

أَلْفِ مَرَّةٍ، فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا أَحَسَّ بِهَا».

وَهَذَا وَسِعَ أَبِي يَزِيدَ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ.

بَلْ أَقُولُ: لَوْ أَنَّ مَا لَا يَتَنَاهَى وَجُودُهُ، يَقْدِرُ أَنْتَهَاءُ وَجُودِهِ، مَعَ الْعَيْنِ

الْمُوجِدَةِ لَهُ، فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا أَحَسَّ بِذَلِكَ فِي عِلْمِهِ.

فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْقَلْبَ وَسِعَ الْحَقَّ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا اتَّصَفَ بِالرِّيِّ، فَلَوْ

أُمْتَلَأَ أُرْتَوَى.

106

وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ أَبُو يَزِيدَ.

وَلَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا الْمَقَامِ بِقَوْلِنَا:

[السريع]

١- يَا خَالِقَ الْأَشْيَاءِ فِي نَفْسِهِ

أَنْتَ لِمَا تَخْلُقُهُ جَامِعٌ

٢- تَخْلُقُ مَا لَا يَنْتَهِي كَوْنُهُ فِيهِ

كَ فَأَنْتَ الضَّيِّقُ الْوَاسِعُ

٣- لَوْ أَنَّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ مَا

لَا حَ بِقَلْبِي فَجَرُهُ السَّاطِعُ

٤- مَنْ وَسِعَ الْحَقُّ فَمَا ضَاقَ عَنْ

خَلْقِي فَكَيْفَ الْأَمْرُ يَا سَامِعُ

بِالْوَهْمِ يَخْلُقُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي قُوَّةِ خَيَالِهِ، مَا لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ

الْأَمْرُ الْعَامُّ.

[١٩ ظهر] وَالْعَارِفُ يَخْلُقُ بِالْهَمَّةِ مَا يَكُونُ لَهُ وَجُودٌ مِنْ خَارِجِ مَحَلِّ

الْهَمَّةِ.

وَلَكِنْ لَا تَزَالُ إِلَهٌ مَّهْ تَحْفَظُهُ. وَلَا يُوَوِّدُهَا حِفْظُهُ، أَيُّ: حِفْظُ مَا خَلَقَ تَهُ.

فَمَتَى طَرَأَ عَلَى الْعَارِفِ غَفْلَةٌ عَنْ حِفْظِ مَا خَلَقَ عَدِمَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ، إِلَّا أَنْ

يَكُونَ الْعَارِفُ قَدْ ضَبَطَ جَمِيعَ الْحَضَرَاتِ، وَهُوَ لَا يَغْفُلُ مُطْلَقًا، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ

مِنْ حَضْرَةٍ يَشْهَدُهَا، فَإِذَا خَلَقَ الْعَارِفُ بِهَمَّتِهِ مَا خَلَقَ، وَلَهُ هَذِهِ الْإِحَاطَةُ، ظَهَرَ  
ذَلِكَ الْخَلْقُ بِصُورَتِهِ فِي كُلِّ حَضْرَةٍ، وَصَارَتْ الصُّورُ تَحْفَظُ بَعْضَهَا بَعْضًا،  
فَإِذَا غَفَلَ الْعَارِفُ عَنْ حَضْرَةٍ مَا، أَوْ عَنْ حَضْرَاتٍ، وَهُوَ شَاهِدٌ حَضْرَةَ مَا  
مِنَ الْحَضْرَاتِ، حَافِظٌ لِمَا فِيهَا مِنْ صُورَةِ خَلْقِهِ، أَنْحَفَظَتْ جَمِيعُ الصُّورِ،  
بِحِفْظِهِ تِلْكَ الصُّورَةَ الْوَاحِدَةَ فِي الْحَضْرَةِ الَّتِي مَا غَفَلَ عَنْهَا.

لِأَنَّ الْغَفْلَةَ مَا تَعُمُّ قَطُّ، لَا فِي الْعُمُومِ وَلَا فِي الْخُصُوصِ.

وَقَدْ أَوْضَحْتُ هُنَا سِرًّا لَمْ يَزَلْ أَهْلُ اللَّهِ يَعَارُونَ — عَلَى مِثْلِ هَذَا —  
أَنْ يَظْهَرَ.

لِمَا فِيهِ مِنْ رَدِّ دَعْوَاهُمْ أَنََّّهُمُ الْحَقُّ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَغْفُلُ. وَالْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ  
أَنْ يَغْفَلَ عَنْ شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ، فَمِنْ حَيْثُ الْحِفْظُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَنْ يَقُولَ:  
«أَنَا الْحَقُّ». وَلَكِنْ مَا حِفْظُهُ لَهَا حِفْظَ الْحَقِّ، وَقَدْ بَيَّنَّا الْفَرْقَ.

وَمِنْ حَيْثُ مَا غَفَلَ عَنْ صُورَةٍ مَا وَحَضَرَتْهَا، فَقَدْ تَمَيَّزَ الْعَبْدُ مِنَ

108

الْحَقِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ مَعَ بَقَاءِ الْحِفْظِ لِجَمِيعِ الصُّورِ، بِحِفْظِهِ صُورَةَ  
وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي الْحَضْرَةِ، الَّتِي مَا غَفَلَ عَنْهَا. فَهَذَا حِفْظٌ بِالتَّضَمُّنِ.  
وَحِفْظَ الْحَقِّ مَا خَلَقَ لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ حِفْظُهُ لِكُلِّ صُورَةٍ عَلَى التَّعْيِينِ.

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَا سَطَرَ رَهَا أَحَدٌ فِي كِتَابٍ، لَا أَنَا وَلَا غَيْرِي، إِلَّا  
فِي هَذَا الْكِتَابِ. فَهِيَ يَتِيمَةُ الْوَقْتِ، فَرِيدَتُهُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ عَنْهَا.

فَإِنَّ تِلْكَ الْحَضْرَةَ الَّتِي تُبْقِي لَكَ الْحُضُورَ فِيهَا مَعَ الصُّورَةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ

الْكِتَابِ الَّذِي يَقَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿مَا فَرَّ طَنَّا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨].

فَهُوَ الْجَامِعُ لِلْوَاقِعِ وَغَيْرِ الْوَاقِعِ. [٢٠ وجه]  
وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَا إِلَّا مَنْ كَانَ قَرَانًا فِي نَفْسِهِ.  
فَإِنَّ الْمُتَّقِيَّ ﴿اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال : ٢٩].  
وَهُوَ مِثْلُ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فِيمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ.  
وَهَذَا الْفُرْقَانُ أَرْفَعُ فُرْقَانٍ.

[الطويل]

١-فَوْقَتًا يَكُونُ الْعَبْدُ رَبًّا بَلَا شَكَّ

وَوَقَّتًا يَكُونُ الْعَبْدُ عَبْدًا بَلَا إِفْكٍ

109

٢-فَإِنْ كَانَ عَبْدًا كَانَ بِالْحَقِّ وَاسِعًا

وَإِنْ كَانَ رَبًّا كَانَ فِي عَيْشَةٍ ضَنْكٍ

٣-فَمِنْ كَوْنِهِ عَبْدًا يَرَى عَيْنَ نَفْسِهِ

وَتَتَّسِعُ الْأَمَالُ مِنْهُ بَلَا شَكَّ

٤-وَمِنْ كَوْنِهِ رَبًّا يَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُ

يُطَالِبُهُ مِنْ حَضْرَةِ الْمَلِكِ وَالْمَلِكِ

٥-وَيَعْجَزُ عَمَّا طَالِبُوهُ بِذَاتِهِ

لِذَا تَرَبَّعَ الْعَارِفِينَ بِهِ بِيَكِّي



٦- فَكُنْ عَبْدَ رَبٍّ، لَا تَكُنْ رَبَّ عَبْدِهِ

فَتَذْهَبَ بِالتَّعْلِيقِ فِي النَّارِ وَالسَّبْكِ

[٧] ﴿فَصُ حِكْمَةً عَلَيْهِ فِي كَلِمَةِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ﴾

110

أَعْلَمُ أَنَّ مُسَمَّى «الله» أَحَدِيٌّ بِالذَّاتِ، كُلُّ بِالْأَسْمَاءِ.

وَكُلُّ مَوْجُودٍ فَمَا لَهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا رَبُّهُ خَاصَّةً، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْكُلُّ.

وَأَمَّا الْأَحَدِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ، فَمَا لِوَاحِدٍ فِيهَا قَدَمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لِوَاحِدٍ مِنْهَا

شَيْءٌ، وَلَا خَرَّ مِنْهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَا تَقْبُلُ التَّبْعِيضَ.

فَأَحَدِيَّتُهُ مَجْمُوعٌ كُلُّهُ بِالْقُوَّةِ.

وَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَمَا تَمَّ إِلَّا مَنْ هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ؛

لِأَنَّهُ الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ رُبُوبِيَّتَهُ، فَهُوَ عِنْدَهُ مَرْضِيٌّ، فَهُوَ سَعِيدٌ.

وَلِهَذَا قَالَ سَهْلٌ: «إِنَّ لِلرُّبُوبِيَّةِ سِرًّا وَهُوَ أَنْتَ» — يُخَاطَبُ كُلُّ عَيْنٍ —

111

«لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَتِ الرُّبُوبِيَّةُ»، فَادْخَلَ عَلَيْهِ «لَوْ» وَهُوَ حَرْفُ امْتِنَاعٍ

الْامْتِنَاعِ.

وَهُوَ لَا يَظْهَرُ، فَلَا تَبْ طُلُّ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا وُجُودَ لِعَيْنٍ إِلَّا بِرَبِّهِ، وَالْعَيْنُ

مَوْجُودَةٌ دَائِمًا. فَالرُّبُوبِيَّةُ لَا تَبْطُلُ دَائِمًا.

وَ كُلُّ مَرْضِيٍّ مَحْبُوبٌ، وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ.

فَكُلُّهُ مَرْضِيٌّ، لِأَنَّهُ لَا فِعْلَ لِلْعَيْنِ، بَلِ الْفِعْلُ لِرَبِّهَا فِيهَا، فَاطْمَأَنَّتِ الْعَيْنُ

112

أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ أَوْ فِعْلٌ، [٢٠ ظهر] فَكَأَنَّتَ «رَاضِيَةً» بِمَ اِيْظَهَرُ فِيهَا وَعَنْهُ أ،  
مِنْ

أَفْعَالِ رَبِّهَا، ﴿مَرْضِيَّةٌ﴾ تِلْكَ الْأَفْعَالُ؛ لِأَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ وَصَانِعٍ رَاضٍ عَنْ فِعْلِهِ  
وَصَنْعَتِهِ، فَإِنَّهُ وَفَّى فِعْلَهُ وَصَنْعَتَهُ حَقَّ مَا هِيَ عَلَيْهِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه: ٥٠]، أَي: بَيَّنَّ أَنَّهُ أَعْطَى  
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، فَلَا يَقْبَلُ النِّقْصَ وَلَا الزِّيَادَةَ.

فَكَانَ إِسْمَاعِيلُ بِعُثُورِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا.

وَكَذَا كُلُّ مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيٌّ، وَلَا يَلْزَمُ إِذَا كَانَ كُلُّ مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ

مَرْضِيًّا: .: عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ: .: أَنْ يَكُونَ مَرْضِيًّا عِنْدَ رَبِّ عَبْدٍ آخَرَ؛ لِأَنَّهُ مَا

أَخَذَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَّا مِنْ كُلِّ، لَا مِنْ وَاحِدٍ.

فَمَا تَعَيَّنَ لَهُ مِنَ الْكُلِّ إِلَّا مَا يَنَاسِبُهُ فَهُوَ رَبُّهُ.

وَلَا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ مِنْ حَيْثُ أَحَدِيَّتُهُ.

113

وَلِهَذَا مُنِعَ أَهْلُ اللَّهِ التَّجَلِّيَ فِي الْأَحَدِيَّةِ.

فَإِنَّكَ إِنْ «نَظَرْتَهُ» بِهِ، فَهُوَ النَّاطِرُ نَفْسَهُ، فَمَا زَالَ نَاطِرًا نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ،

وَإِنْ «نَظَرْتَهُ» بِكَ فَزَالَتْ الْأَحَدِيَّةُ بِكَ.

وَإِنْ «نَظَرْتَهُ» بِهِ وَبِكَ فَزَالَتْ الْأَحَدِيَّةُ أَيُّضًا؛ لِأَنَّ ضَمِيرَ «التَّاءِ» فِي

«نَظَرْتَهُ»، مَا هُوَ عَيْنُ الْمَنْظُورِ، فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ نِسْبَةٍ مَا، أَقْتَضَتْ أَمْرَيْنِ:

نَاطِرًا وَمَنْظُورًا، فَزَالَتْ الْأَحَدِيَّةُ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَرِ إِلَّا نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَمَعَ لُومٍ

أَنَّهُ فِي هَذَا الْوَصْفِ نَاطِرٌ مَنْظُورٌ، فَالْمَرْضِيُّ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَرْضِيًّا

مُطْلَقًا.

إِلَّا إِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا يَظْهَرُ بِهِ مِنْ فِعْلِ الرَّاضِي فِيهِ.

فَفَضَّلَ إِسْمَاعِيلُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَعْيَانِ، بِمَا نَعَتَهُ الْحَقُّ بِهِ، مِنْ كَوْنِهِ عِنْدَ رَبِّهِ  
مَرْضِيًّا

وَكَذَلِكَ كُلُّ نَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٌ، قِيلَ لَهَا: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [سورة الفجر :

٢٨] فَمَا أَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَّا إِلَىٰ رَبِّهَا، الَّذِي دَعَاها، فَعَرَفَتْهُ مِنَ الْكُلِّ.

114

﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ [سورة الفجر : ٢٨ - ٢٩] مِنْ حَيْثُ

مَا لَهُمْ هَذَا الْمَقَامُ. فَالْعِبَادُ الْمَذْكُورُونَ هُنَا، كُلُّ عَبْدٍ عَرَفَ رَبَّهُ تَعَالَى،

وَأَقْتَصَرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ إِلَىٰ رَبِّ غَيْرِهِ، مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ. لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر : ٢٩] الَّتِي هِيَ سِتْرِي.

وَلَيْسَتْ جَنَّتِي سِوَاكَ، فَأَنْتَ تَسْتُرْنِي بِذَاتِكَ.

فَلَا أُعْرِفُ إِلَّا بِكَ. كَمَا أَنَّكَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِي.

فَمَنْ عَرَفَكَ [٢١ وجه] عَرَفَنِي. وَأَنَا لَا أَعْرِفُ، فَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ.

115

فَإِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَهُ، دَخَلْتَ نَفْسَكَ. فَتَعْرِفُ نَفْسَكَ مَعْرِفَةً أُخْرَى. غَيْرَ

الْمَعْرِفَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا حِينَ عَرَفْتَ رَبَّكَ، بِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهَا، فَتَكُونُ صَاحِبَ

مَعْرِفَتَيْنِ : مَعْرِفَةً بِهِ، مِنْ حَيْثُ أَنْتَ. وَمَعْرِفَةً بِهِ بِكَ، مِنْ حَيْثُ هُوَ، لَا مِنْ

حَيْثُ أَنْتَ.

[مُخْلَعُ الْبَسِيطِ]

- |                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| ١- فَأَنْتَ عَبْدٌ وَأَنْتَ رَبُّ | لِمَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ عَبْدٌ   |
| ٢- وَأَنْتَ رَبُّ وَأَنْتَ عَبْدٌ | لِمَنْ لَهُ فِي الْخِطَابِ عَهْدٌ |

٣- فَكُلَّ عَقْدٍ عَلَيْهِ شَخْصٌ

يُحِلُّهُ مَنْ سِوَاهُ عَقْدٌ

فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ عَبِي دِه، فَهُمْ مَرْضِيُونَ. وَرَضُوا عَنْهُ فَهُ وَ مَرْضِيٌّ. فَتَقَا بَلَتْ

الْحَضْرَتَانِ تَقَابَلِ الْأَمْثَالِ، وَالْأَمْثَالُ أَضْدَادُ؛ لِأَنَّ الْمَثَلَيْنِ حَقِيقَةٌ لَا

116

يَجْتَمِعَانِ إِذْ لَا يَتَمَيِّزَانِ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا مَتَمِّيزٌ؛ فَمَا تَمَّ مِثْلٌ. فَمَا فِي الْوُجُودِ مِثْلٌ. فَمَا فِي الْوُجُودِ

ضِدٌّ. فَإِنَّ الْوُجُودَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالشَّيْءُ لَا يُضَادُّ نَفْسَهُ.

[الطويل]

١- فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ، لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ

فَمَا تَمَّ مَوْصُولٌ، وَمَا تَمَّ بَائِنٌ

٢- بَذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ، فَمَا أَرَى

بِعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أُعَايِنُ

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة : ٨] أَنْ يَكُونَ لِعِلْمِهِ بِالْتَّمْيِيزِ.

دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ جَهْلُ أَعْيَانٍ فِي الْوُجُودِ بِمَا أَنَا بِهِ عَالِمٌ.

فَقَدْ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْعَبِيدِ. فَقَدْ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْأَرْبَابِ.

وَلَوْ لَمْ يَقَعْ التَّمْيِيزُ، لَفُسِّرَ الْأَسْمُ الْوَاحِدُ الْإِلَهِيُّ، مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ،

بِمَا يُفَسَّرُ بِهِ الْآخَرُ: وَ«الْمُعْزُ» لَا يُفَسَّرُ بِتَفْسِيرِ «الْمُذِلِّ»، إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ.

117

لَكِنَّهُ هُوَ مِنْ وَجْهِ الْأَحْدِيَّةِ، كَمَا تَقُولُ فِي كُلِّ أَسْمٍ، إِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى

الذَّاتِ، وَعَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، فَالْمُسَمَّى وَاحِدٌ. فَ«الْمُعْزُ» هُوَ

«المُذِلُّ»، مِنْ حَيْثُ الْمُسَمَّى . و«المُعِزُّ» لَيْسَ «المُذِلُّ»، مِنْ حَيْثُ نَفْسُهُ وَحَقِيقَتُهُ. فَإِنَّ الْمَفْهُومَ يَخْتَلِفُ فِي الْفَهْمِ، فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

[مَجْزُوءُ الْوَافِر]

[٢١ ظهر]

- |                                     |                               |
|-------------------------------------|-------------------------------|
| ١- فَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ    | وَتُعْرِيه عَنِ الْخَلْقِ     |
| ٢- وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ   | وَتَكْسُوهُ سِوَى الْحَقِّ    |
| ٣- وَنَزْهَهُ وَشَبَّهَهُ           | وَقُمْ فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ |
| ٤- وَكُنْ فِي الْجَمْعِ إِنْ شِيتَ  | وَإِنْ شِيتَ فَفِي الْفَرْقِ  |
| ٥- تَحْزُ بِالْكُلِّ إِنْ كُلُّ     | تَبَدَّى قَصَبِ السَّبْقِ     |
| ٦- فَلَا تَفْنَى وَلَا تَبْقَى      | وَلَا تُفْنِي وَلَا تُبْقِي   |
| ٧- وَلَا يُلْقَى عَلَيْكَ الْوَحْيُ | فِي غَيْرٍ وَلَا تُلْقَى      |

118

الْتِّ نَاءُ بِصِ دَقِ الْوَعْدِ، لَا بِصِدْقِ الْوَعِيدِ. وَالْحَضْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ تَطْلُبُ التَّنَاءَ الْمَحْمُودَ بِالذَّاتِ. فَيُثْنِي عَلَيْهَا بِصِدْقِ الْوَعْدِ، لَا بِصِدْقِ الْوَعِيدِ، بَلْ

بِالتَّجَاوُزِ. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٧]. لَمْ

يَقُلْ: «وَوَعِيدِهِ»، بَلْ قَالَ: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦]

مَعَ أَنَّهُ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ.

فَأَثْنَى عَلَى إِسْمَاعِي لَ بِأَنَّهُ ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [سورة مريم : ٥٤]. وَقَدْ

زَالَ الْإِمْكَانُ فِي حَقِّ الْحَقِّ، لِمَا فِيهِ مِنْ طَلَبِ الْمَرْجِحِ.

119

[الطويل]

١- فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَادِقَ الْوَعْدِ وَحْدَهُ

وَمَا لَوْعِيدِ الْحَقِّ عَيْنُ تَعَايُنُ

٢-وَإِنْ دَخَلُوا دَارَ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُمْ

عَلَى لَذَّةٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُبَايِنُ

٣-نَعِيمَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ فَلَا مَرُ وَاحِدُ

وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ التَّجَلِّي تَبَايِنُ

٤-يُسَمَّى عَذَابًا مِنْ عَذُوبَةِ طَعْمِهِ

وَذَاكَ لَهُ كَالْقَشْرِ وَالْقَشْرِ صَايِنُ

[٨] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ يَعْقُوبِيَّةٍ﴾

120

الدِّينُ دِينَانِ: دِينَ عَنْ دِ اللَّهِ، وَعِنْدَ مَنْ عَرَّفَهُ الْحَقُّ تَعَالَى، وَمَنْ عَرَّفَهُ؛

مَنْ عَرَّفَهُ الْحَقُّ. وَدِينَ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَقَدْ أَعْتَبَرَهُ اللَّهُ.

فَالدِّينُ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَأَعْطَاهُ الرُّتْبَةَ الْعَلِيَّةَ عَلَى

دِينِ الْخَلْقِ. فَقَالَ تَعَالَى: [٢٢ وجه] ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:

121

١٣٢]، أَي: مُنْقَادُونَ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ «الدِّينُ» بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ وَالْعَهْدِ، فَهُوَ دِينٌ مَعْلُومٌ

مَعْرُوفٌ. وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران :

١٩]، وَهُوَ الْإِسْلَامُ. فَالدِّينُ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْقِيَادِكَ، وَالَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ

الشَّرْعُ، الَّذِي أَنْقَدْتَ أَنْتَ إِلَيْهِ.

فَالدِّينُ النُّقْيَادُ. وَالنَّامُوسُ هُوَ الشَّرْعُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَمَنْ  
 اتَّصَفَ بِالنُّقْيَادِ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي قَامَ بِالدِّينِ، وَأَقَامَهُ أَيَّ:  
 أَنْشَأَهُ، كَمَا تُقِيمُ الصَّلَاةَ. فَالْعَبْدُ هُوَ الْمُنْشِئُ لِلدِّينِ، وَالْحَقُّ هُوَ الْوَاضِعُ  
 لِلْأَحْكَامِ. فَالنُّقْيَادُ عَيْنُ فِعْلِكَ، فَالدِّينُ مِنْ فِعْلِكَ، فَمَا سَعِدْتَ إِلَّا بِمَا كَانَ  
 مِنْكَ.

فَكَ مَا أَثْبَتَ السَّعَادَةَ لَكَ، مَا كَانَ فِعْلَكَ كَذَلِكَ، مَا أَثْبَتَ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ  
 إِلَّا أَفْعَالُهُ. وَهِيَ أَنْتَ. وَهِيَ الْمُحْدَثَاتُ.  
 فَبِاثَارِهِ سُمِّيَ إِلَهًا. وَبِاثَارِكَ سُمِّيتَ سَعِيدًا .

فَأَنْزَلَكَ تَعَالَى مَنْزِلَتَهُ، إِذَا أَقَمْتَ الدِّينَ، وَأَنْقَدْتَ إِلَى مَا شَرَعَهُ لَكَ.  
 وَسَابَسِطُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَقَعُ بِهِ الْفَائِدَةُ، بَعْدَ أَنْ نُبَيِّنَ الدِّينَ  
 الَّذِي عِنْدَ الْخَلْقِ، الَّذِي أَعْتَبَرَهُ اللَّهُ.

فَالدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ. وَكُلُّهُ مِنْكَ لَا مِنْهُ، إِلَّا بِحُكْمِ الْأَصَالَةِ.  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [سورة الح ديد : ٢٧]. وَهِيَ النَّوَامِيسُ  
 الْحُكْمِيَّةُ الَّتِي لَمْ يَجِئِ الرَّسُولُ الْمَعْلُومُ بِهَا — فِي الْعَامَّةِ — مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ، بِالطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْعُرْفِ.

فَلَمَّا وَافَقَتِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ الظَّاهِرَةُ فِيهَا، الْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ فِي  
 الْمَقْصُودِ بِالْوَضْعِ الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ، أَعْتَبَرَ هَا اللَّهُ أَعْتَبَارَ مَا شَرَعَهُ مِنْ عِنْدِهِ  
 تَعَالَى وَمَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَابَ الْعِنايةِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمَ مَا شَرَعُوهُ — يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ — عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالتَّعْرِيفِ الإِلَهِيِّ.

فَقَالَ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ [سورة الحديد : ٢٧] [٢٢ ظهر] هُؤْلَاءِ الَّذِينَ شَرَعُوها، وَشَرَعْتُ لَهُمْ ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [سورة الحديد : ٢٧] ﴿إِلَّا أُبْتِغَاءَ رِضْوَنِ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد : ٢٧].

وَكَذَلِكَ أَعْتَقَدُوا ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة الحديد : ٢٧] بِهَا ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [سورة الحديد : ٢٧] أَي: مِنْ هُؤْلَاءِ الَّذِينَ شَرَعُوا فِيهِمْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ ﴿فَسِفُون﴾ [سورة الحديد : ٢٧]، أَي: خَارِجُونَ عَنْ اللَّائِقِ يَادِ إِلَيْهَا، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا. وَمَنْ لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهَا، لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهِ مُشْرَعُهُ بِمَا يُرْضِيهِ، لَكِنْ الْأَمْرُ يَقْتَضِي النُّقْيَادَ.

وَبَيَانُهُ: أَنَّ الْمَلِكَ لَفَ إِمَامًا مِنْ قَادٍ بِالْمُؤَافَقَةِ، وَإِمَامًا مُخَالِفًا. فَالْمُؤَافِقُ الْمُطِيعُ لَا كَلَامَ فِيهِ لِبَيَانِهِ. وَأَمَّا الْمُخَالَفُ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ — بِخِلَافِهِ الْحَاكِمَ عَلَيْهِ — مِنْ اللَّهِ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَامًا التَّجَاوُزَ وَالْعَفْوُ، وَإِمَامًا الْأَخْذَ عَلَى ذَلِكَ. وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ. فَعَلَى كُلِّ حَالٍ قَدْ صَحَّ أَنْقِيَادُ الْحَقِّ إِلَى

عَبْدِهِ لِأَفْعَالِهِ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ.

فَالْحَالُ هُوَ الْمُؤَثِّرُ.

فَمِنْ هُنَا كَانَ الدِّينُ جَزَاءً، أَي: مُعَاوَضَةً، بِمَا يَسُرُّ أَوْ بِمَا لَا يَسُرُّ.



فِيمَا يَسْرُ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ هَذَا جَزَاءٌ بِمَا يَسْرُ

﴿وَمَنْ يَظَلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [سورة الف رقان : ١٩]؛ هَذَا جَزَاءٌ بِمَا لَا

يَسْرُ ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦]، هَذَا جَزَاءٌ.

فَصَحَّ أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْجَزَاءُ. وَكَمَا أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ

الْإِنْقِيَادِ، فَقَدْ أَنْقَادَ إِلَى مَا يَسْرُ، وَإِلَى مَا لَا يَسْرُ، وَهُوَ الْجَزَاءُ.

هَذَا لِسَانُ الظَّاهِرِ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَأَمَّا سِرُّهُ وَبَاطِنُهُ فَإِنَّهُ تَجَلَّى فِي مِرَاةِ وُجُودِ الْحَقِّ، فَلَا يَعُودُ عَلَى

الْمُمْكِنَاتِ مِنَ الْحَقِّ، إِلَّا مَا تُعْطِيهِ ذَوَاتُهُ فِي أَحْوَالِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ

صُورَةً، فَتَخْتَلِفُ صُورُهُمْ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ، فَيَخْتَلِفُ التَّجَلِّي لِاخْتِلَافِ

الْحَالِ، فِي قَعِّ الْأَثَرِ فِي الْعَبْدِ بِحَسَبِ مَا يَكُونُ، فَمَا أَعْطَاهُ الْخَيْرَ سِوَاهُ، وَلَا

أَعْطَاهُ ضِدَّ الْخَيْرِ غَيْرُهُ، بَلْ هُوَ مَنْ عَمَّ ذَاتِهِ وَمُعَذِّبُهَا، فَلَا يَذْمَنُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا

يَحْمَدَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٩] فِي عِلْمِهِ بِهِ، إِذِ

الْعِلْمُ يَتَّبِعُ الْمَعْلُومَ.

ثُمَّ السِّرُّ الَّذِي يَفُوقُ هَذَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْمُمْكِنَاتِ عَلَى أَصْلِهَا

مِنَ الْعَدَمِ وَلَيْسَ وَجُودُ إِلَّا وَجُودَ الْحَقِّ، بِصُورِ أَحْوَالِ مَا هِيَ عَلَيْهِ [٢٣]

وَجِهَ] الْمُمْكِنَاتُ فِي أَنْفُسِهَا وَأَعْيَانِهَا. فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ يَلْتَذُّ وَمَنْ يَتَأَلَّمُ.

وَمَا يَعْقُبُ كُلَّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَبِهِ سُمِّيَ عُقُوبَةً وَعِقَابًا.

وَهُوَ سَا بِّغُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، غَيْرَ أَنَّ الْعُرْفَ سَمَاهُ فِي الْخَيْرِ ثَوَابًا، وَفِي الشَّرِّ: عِقَابًا.

125

وَبِهَذَا اسْمِي أَوْ شَرْحَ الدِّينِ بِالْعَادَةِ؛ لِأَنَّهُ عَادَ عَلَيَّ هِ مَا يَقْتَضِيهِ وَيَطْلُبُهُ حَالُهُ، فَالِدِّينِ الْعَادَةُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

[الطويل]

كَدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا

أَيُّ: عَادَتُكَ. وَمَعْقُولُ الْعَادَةِ أَنَّ يَعُودَ الْأَمْرُ بِعَيْنِهِ إِلَى حَالِهِ. وَهَذَا الْيَسَّ ثَمَّ. فَإِنَّ الْعَادَةَ تَكَرَّرُ.

لَكِنَّ الْعَادَةَ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ، وَالتَّشَابُهُ فِي الصُّورِ مَوْجُودٌ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا أَعْيُنَ عَمْرٍو، فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا عَادَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ، إِذْ لَوْ عَادَتِ تَكَثَّرَتْ،

126

وَهِيَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالْوَاحِدُ لَا يَتَكَثَّرُ فِي نَفْسِهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا الْيَسَّ عَيْنَ عَمْرٍو، فِي الشَّخْصِيَّةِ. فَشَخْصُ زَيْدٍ لَيْسَ شَخْصَ عَمْرٍو، مَعَ تَحْقِيقِ وُجُودِ الشَّخْصِيَّةِ بِمَا هِيَ شَخْصِيَّةٌ فِي الْاِثْنَيْنِ، فَنَقُولُ فِي الْحِسِّ عَادَتُ لِهَذَا الشَّبَهِ. وَنَقُولُ فِي الْحُكْمِ الصَّحِيحِ، لَمْ تَعُدْ.

فَمَا تَمَّ عَادَةُ بِوَجْهِهِ، وَتَمَّ عَادَةُ بِوَجْهِهِ، كَمَا أَنَّ تَمَّ جَزَاءُ بِوَجْهِهِ، وَمَا تَمَّ جَزَاءُ بِوَجْهِهِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ أَيْضًا حَالٌ فِي الْمُمْكِنِ، مِنْ أَحْوَالِ الْمُمْكِنِ. وَهَذِهِ

مَسْأَلَةٌ أَغْفَلَهَا عُلَمَاءُ هَذَا الشَّيْءِ، أَيُّ: أَغْفَلُوا إِضَاحَهَا عَلَى مَا يَنْبَغُ لَانْتَهُمُ غِي،

جَهْلُوهَا، فَإِنَّهَا مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ الْمُتَحَكِّمِ فِي الْخَلَائِقِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا يُقَالُ فِي الطَّبِيبِ إِنَّهُ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ. كَذَلِكَ يُقَالُ فِي

الرُّسُلِ وَالْوَرَثَةِ إِنَّهُمْ خَادِمُوا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْعُمُومِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ

خَادِمُوا أَحْوَالِ الْمُلْكِ نَاتٍ، وَخِدْمَتُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَحْوَالِهِمْ، الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي

حَالِ ثُبُوتِ أَعْيَانِهِمْ.

فَانْظُرْ مَا أَعْجَبَ هَذَا!

إِلَّا أَنَّ الْخَادِمَ الْمَطْلُوبَ هُنَا، إِنَّمَا هُوَ وَقِفٌ عِنْدَ مَرْسُومِ مَخْدُومِهِ؛ إِمَّا

بِالْحَالِ أَوْ بِالْقَوْلِ. فَإِنَّ الطَّبِيبَ إِنَّمَا يَصِدِّحُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا خَادِمُ الطَّبِيعَةِ، لَوْ

مَشَى بِحُكْمِ الْمُسَاعَدَةِ لَهَا، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ [٢٣ ظهر] قَدْ أَعْطَتْ فِي جِسْمِ

127

الْمَرِيضِ مِزَاجًا خَاصًّا، بِهِ سُمِّيَ مَرِيضًا، فَلَوْ سَاعَدَهَا الطَّبِيبُ خِدْمَةً، لَزَادَ

فِي كَمِيَّةِ الْمَرَضِ بِهَا أَيْضًا. وَإِنَّمَا يَرُدُّهَا طَلَبًا لِلصِّحَّةِ، وَالصِّحَّةُ مِنْ

الطَّبِيعَةِ أَيْضًا، بِإِنْشَاءِ مِزَاجٍ آخَرَ، يُخَالِفُ هَذَا الْمِزَاجَ. فَإِنَّ لَيْسَ الطَّبِيبُ

بِخَادِمٍ لِلطَّبِيعَةِ.

وَإِنَّمَا هُوَ خَادِمٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ جِسْمَ الْمَرِيضِ، وَلَا يُغَيِّرُ

ذَلِكَ الْمِزَاجَ إِلَّا بِالطَّبِيعَةِ أَيْضًا، فَفِي حَقِّهِ أَنْ يَسْعَى مِنْ وَجْهِ خَاصٍّ غَيْرِ عَامٍّ؛

لَأَنَّ الْعُمُومَ لَا يَصِدِّحُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَالطَّبِيبُ خَادِمٌ لَا خَادِمٌ؛ أَعْنَى:

لِلطَّبِيعَةِ.

كَذَلِكَ الرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ فِي خِدْمَةِ الْحَقِّ. وَالْحَقُّ عَلَى وَجْهَيْنِ فِي الْحُكْمِ

فِي أَحْوَالِ الْمَكْلَفِيِّ نَ . فَيُجْرِي الْأَمْرَ مِنَ الْعَبْدِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ إِرَادَةُ  
الْحَقِّ، وَتَتَعَلَّقُ إِرَادَةُ الْحَقِّ بِهِ، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِي بِهِ عِلْمُ الْحَقِّ . وَبِئْسَ عِلْقُ عِلْمِ  
الْحَقِّ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ مِنْ ذَاتِهِ.  
فَمَا ظَهَرَ إِلَّا بِصُورَتِهِ.

128

فَالرَّسُولُ وَالْوَارِثُ خَادِمُ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ بِالْإِرَادَةِ، لَا خَادِمَ الْإِرَادَةِ.  
فَهُوَ يَرُدُّ عَلَيْهِ بِهِ، طَلَبًا لِسَعَادَةِ الْمَكْلَفِ . فَلَوْ خَدَمَ الْإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ،  
مَا نَصَحَ . وَمَا نَصَحَ إِلَّا بِهَا؛ أَعْنِي: بِالْإِرَادَةِ.  
فَالرَّسُولُ وَالْوَارِثُ، طَبِيبُ أَخْرَاطِ النُّفُوسِ، مُنْقَادُ لَأَمْرِ اللَّهِ حِينَ أَمَرَهُ،  
فَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ تَعَالَى، وَيَنْظُرُ فِي إِرَادَتِهِ تَعَالَى، فَيَرَاهُ قَدْ أَمَرَهُ بِمَا يُخَالِفُ  
إِرَادَتَهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . وَلِهَذَا كَانَ الْأَمْرُ . فَأَرَادَ الْأَمْرَ فَوَقَعَ . وَمَا أَرَادَ  
وُقُوعَ مَا أَمَرَ بِهِ بِالْمَأْمُورِ، فَلَمْ يَقَعْ مِنَ الْمَأْمُورِ، فَسُمِّيَ: مُخَالَفَةً وَمَعْصِيَةً.  
فَالرَّسُولُ مُبَلِّغٌ، وَلِهَذَا أَقَالَ: « شَيْبَ تَنِي هُودُ وَأَخَوَاتُهَا » لِمَا تَحْوِيَعِلَ بِهِ  
مِنْ قَوْلِهِ ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾، فَشَيْبَتُهُ ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [سورة هود : ١١٢]،  
فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ أُمِرَ بِمَا يُوَافِقُ الْإِرَادَةَ فَيَقَعْ، أَوْ بِمَا يُخَالِفُ الْإِرَادَةَ فَلَا  
يَقَعْ.

وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ حُكْمَ الْإِرَادَةِ، إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ الْمُرَادِ، إِلَّا مَنْ كَشَفَ اللَّهُ  
عَنْ بَصِيرَتِهِ، فَادْرَكَ أَعْيَانَ الْمُمَكِّنَاتِ، فِي حَالِ ثُبُوتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ،  
فَيَحْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَا يَرَاهُ . وَهَذَا [٢٤ وجه] قَدْ يَكُونُ لِأَحَادِ النَّاسِ، فِي

129

أَوْقَاتٍ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا.

قَالَ: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [سورة الأحق اف : ٩]، فَصَرَّحَ

بِالْحِجَابِ. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ إِلَّا أَنْ يَطَّلَعَ فِي أَمْرٍ خَاصٍّ، لَا غَيْرَ.

[٩] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ نُورِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ يُوسُفِيَّةٍ﴾

130

هَذِهِ الْحِكْمَةُ النُّورِيَّةُ أَنْبَسَاطُ نُورِهَا عَلَى حَضْرَةِ الْخِيَالِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَبَادِيءِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فِي أَهْلِ الْعِنَايَةِ.

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ ... فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا خَرَجَتْ مِثْلَ

فَلَقِ الصُّبْحِ»، تَقُولُ: «لَا خَفَاءَ بِهَا» — وَإِلَى هُنَا بَلَغَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَا غَيْرُ —

131

«وَكَانَتْ الْمُدَّةُ لَهُ فِي ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلَكُ، وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا

أَنْتَبَهُوا».

وَكُلُّ مَا يَرَى فِي حَالِ النَّوْمِ، فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ

132

الْأَحْوَالُ.

فَمَضَى قَوْلُهَا: «سِتَّةَ أَشْهُرٍ»، بَلْ عَمَّ رُؤْيَا كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا بِتِلْكَ الْمَثَابَةِ. إِنَّمَا

هُوَ مَنَامٌ فِي مَنَامٍ.

وَكُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَهُوَ الْمُسَمَّى «عَالَمُ الْخِيَالِ».

وَلِهَذَا يُعَبَّرُ أَيُّ: الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ فِي نَفْسِهِ عَلَى صُورَةِ كَذَا، ظَهَرَ فِي

صُورَةٍ غَيَّرَهَا . فِي جُوزِ الْعَابِرِ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي أَبْصَرَ رَهَا النَّائِمُ إِلَى صُورَةٍ

مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، إِنَّ أَصَابَ. كَظُهُورِ الْعِلْمِ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ. فَعَبَّرَ فِي التَّأْوِيلِ مِنْ صُورَةِ اللَّبَنِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ. فَتَأَوَّلَ، أَيَّ قَالَ: مَا لُ هَذِهِ الصُّورَةُ اللَّبَنِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَخَذَ عَنْ الْمَحْسُوسَاتِ 133

الْمُعْتَادَةِ فَسَجَّى وَغَابَ عَنِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ، فَإِذَا سُرِّي عَنْهُ، رُدَّ.

فَمَا أَدْرَكَهُ إِلَّا فِي حَضْرَةِ الْخِيَالِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُسَمَّى نَائِمًا.

وَكَذَلِكَ إِذَا تَمَثَّلَ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَذَلِكَ مِنْ حَضْرَةِ الْخَيَالِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ

بِرَجُلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَلَكٌ، فَدَخَلَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، فَعَبَّرَ رَهَا النَّائِمُ طَرِيقَ الْعَارِفِ حَتَّى

وَصَلَ [٢٤ ظَهَرَ] إِلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ. فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ

دِينَكُمْ». وَقَدْ قَالَ لَهُمْ: «رُدُّوْا عَلَى الرَّجُلِ»، فَسَمَّاهُ بِـ«الرَّجُلِ» مِنْ 134

أَجْلِ الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَ لَهُمْ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ». فَاعْتَبَرَ الصُّورَةَ

الَّتِي مَالَ هَذَا الرَّجُلِ الْمُتَخَيِّلِ إِلَيْهَا. وَهُوَ صَادِقٌ فِي الْمَقَالَتَيْنِ: صِدْقٌ لِلْعَيْنِ

فِي الْعَيْنِ الْحَسِّيَّةِ، وَصِدْقٌ فِي أَنَّ هَذَا جِبْرِيلُ، فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ بِلَا شَكٍّ.

وَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ» [سورة يوسف : ٤] فَرَأَى إِخْوَتَهُ فِي صُورَةِ 135

الْكَوَاكِبِ. وَرَأَى أَبَاهُ وَخَالَتَهُ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. هَذَا مِنْ جِهَةِ

يُوسُفَ.

وَلَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْمَرْئِيَّ، لَكَانَ ظُهُورُ إِخْوَتِهِ فِي صُورِ الْكَوَاكِبِ،  
وَضُهُورُ أَبِيهِ وَخَالَتِهِ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. مُرَادًا لَهُمْ. فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
عِلْمٌ بِمَا رَأَاهُ يُوسُفَ، كَانَ الْإِدَارُكَ مِنْ يُوسُفَ فِي خَزَانَةِ خِيَالِهِ، وَعَلِمَ ذَلِكَ  
يَعْقُوبُ حِينَ قَصَّهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ  
فَيَكِيدُوا لَكَ﴾ [سورة يوسف : ٥].

ثُمَّ بَرَأَ بَيْنَهُ عَنْ ذَلِكَ الْكَيْدِ، وَالْحَقُّهُ بِالشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الْكَيْدِ،  
فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يوسف : ٥]، أَي: ظَاهِرُ  
الْعَدَاوَةِ.

ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ  
جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف : ١٠٠]، أَي: أَظْهَرَهَا فِي بَعْدَ مَا  
الْحِسِّ كَانَتْ  
فِي صُورَةِ الْخِيَالِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ  
نِيَامٌ».

فَكَانَ قَوْلُ يُوسُفَ: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف : ١٠٠]، بِمَنْزِلَةِ  
مَنْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ قَدْ أُسْتِيَ قُطْ مِنْ رُؤْيَا رَأَاهَا ثُمَّ عَبَّرَهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ فِي  
النَّوْمِ عَيْنُهُ مَا بَرَحَ.

فَإِذَا أُسْتِيَ قُطْ يَقُولُ: «رَأَيْتُ كَذَا، وَرَأَيْتُ كَذَا نِيَّ أُسْتِيَ قُطْ، وَأَوَّلْتُهَا بِكَذَا،  
هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ».

فَأَنْظِرْ كَمْ بَيْنَ إِدْرَاكِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ إِدْرَاكِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ حِينَ قَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف : ١٠٠] [٢٥ وجه] مَعْنَاهُ: حِسًّا أَيْ: مَحْسُوسًا، وَمَا كَانَ إِلَّا مَحْسُوسًا، فَإِنَّ الْخَيَالَ لَا يُعْطَى أَبَدًا إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ، غَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. فَأَنْظِرْ مَا أَشْرَفَ عِلْمَ وَرَثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَابَّسْتُ مِنَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْحَضْرَةِ بِلِسَانِ يُوسُفَ الْمُحَمَّدِيِّ مَا أَنْقَصْتُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

137

فَنَقُولُ: أَعْلَمُ أَنَّ الْمَقُولَ عَلَيْهِ «سَيُؤَى الْحَقُّ» أَوْ مُسَمًّى «العَالَمُ» هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِّ كَالظِّلِّ لِلشَّخْصِ، فَهُوَ ظِلُّ اللَّهِ. فَهُوَ عَيْنُ نِسْبَةِ الْوُجُودِ إِلَى الْعَالَمِ؛ لِأَنَّ الظِّلَّ مَوْجُودٌ بِلَا شَكٍّ فِي الْحِسِّ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ثُمَّ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ حَتَّى لَوْ قَدَّرْتَ عَدَمَ مَنْ

يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ، كَانَ الظِّلُّ مَعْقُولًا غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي الْحِسِّ، بَلْ يَكُونُ بِالْقُوَّةِ فِي ذَاتِ الشَّخْصِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ الظِّلُّ. فَمَحَلُّ ظُهُورِ هَذَا الظِّلِّ الْإِلَهِيِّ الْمُسَمًّى بِالْعَالَمِ إِنَّمَا هُوَ أَعْيَانُ الْمُمَكِّنَاتِ عَلَيْهَا أُمْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ، فَيَدْرُكُ مِنْ هَذَا الظِّلِّ بِحَسَبِ مَا أُمْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْ وُجُودِ هَذِهِ الذَّاتِ.

وَلَكِنْ بِاسْمِهِ «النُّورِ» وَقَعَ الْإِدْرَاكُ، وَأُمْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ عَلَى أَعْيَانِ الْمُمَكِّنَاتِ فِي صُورَةِ الْغَيْبِ الْمَجْهُولِ.

138



أَلَا تَرَى الظَّلَالَ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ تُشِيرُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَفَاءِ لِبُعْدِ  
الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَشْخَاصٍ مَنْ هِيَ ظِلٌّ لَهُ.

وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ أَبْيَضَ فَظِلُّهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، أَلَا تَرَى الْجِبَالَ إِذَا  
بَعُدَتْ عَنْ بَصَرِ النَّاطِرِ تَظْهَرُ سَوْدَاءً، وَقَدْ تَكُونُ فِي أَعْيَانِهَا عَلَى غَيْرِ  
مَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ مِنَ اللَّوْنِيَّةِ، وَلَيْسَ ثَمَّ عِلَّةٌ إِلَّا الْبُعْدُ. وَكَزُرْقَةِ السَّمَاءِ.  
فَهَذَا مَا أَنْتَجَهُ الْبُعْدُ فِي الْحِسِّ فِي الْأَجْسَامِ غَيْرِ النَّيِّرَةِ.  
وَكَذَلِكَ أَعْيَانُ الْمُتَلَكَّاتِ، لَيْسَتْ نَيِّرَةً؛ لِأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ، وَإِنْ اتَّصَفَتْ  
بِالْتَّبُوتِ، لَكِنْ لَمْ تَتَّصِفْ بِالْوُجُودِ. إِذْ الْوُجُودُ نُورٌ.

غَيْرَ أَنَّ الْأَجْسَامَ النَّيِّرَةَ يُعْطِي فِيهَا الْبُعْدُ فِي الْحِسِّ صِغَرًا. فَهَذَا تَأْثِيرُ  
آخِرُ لِلْبُعْدِ، فَلَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ إِلَّا صَغِيرَةَ الْحَجْمِ، وَهِيَ فِي أَعْيَانِهَا كَبِيرَةٌ  
عَنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ. وَأَكْثَرُ كَمِّيَّاتٍ كَمَا يُعْلَمُ بِالِدَّلِيلِ أَنَّ الشَّمْسَ مِثْلُ الْأَرْضِ  
[٢٥ ظهر] فِي الْجَرَمِ مِائَةً وَسِتِّينَ وَرُبْعًا وَثُمْنَ مَرَّةً. وَهِيَ فِي الْحِسِّ عَلَى  
قَدْرِ جَرَمِ التُّرْسِ مَثَلًا، فَهَذَا أَثَرُ الْبُعْدِ أَيْضًا.

فَمَا يُعْلَمُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَدَرُ مَا يُعْ لَمْ مِنَ الظَّلَالِ. وَيُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ عَلَى  
قَدْرِ مَا يُجْهَلُ مِنَ الشَّخْصِ الَّذِي عَنْهُ كَانَ ذَلِكَ الظِّلُّ.

فَمِنْ حَيْثُ هُوَ ظِلٌّ لَهُ يُعْلَمُ، وَمِنْ حَيْثُ مَا يُجْ هَلْ مَا فِي ذَاتِ ذَلِكَ  
الظِّلِّ، مِنْ صُورَةِ شَخْصٍ مِنْ أَمْتَدَّ عَنْهُ يُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ.

فَلِذَا لِكَ نَقْ وَل: إِنَّ الْحَقَّ مَعْلُومٌ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ، مَجْهُولٌ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ. ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴿[سورة الفرقان : ٤٥]، أَي: يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ.

نَقُولُ: مَا كَانَ الْحَقُّ لَيْتَ جَلَّيْ لِلْمُمْكِنَاتِ، حَتَّىٰ يَظْهَرَ الظِّلُّ، فَيكُونُ كَمَا بَقِيَ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الَّتِي مَازَظَهَرَ لَهَا عَيْنٌ فِي الْوُجُودِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان : ٤٥]، وَهُوَ اسْمُهُ

140

«النُّور» الَّذِي قُلْنَا هُ. وَيَشْهَدُ لَهُ الْحِسُّ. فَإِنَّ الظَّلَّ لَا يَكُونُ لَهَا عَيْنٌ بَعْدَ النُّورِ.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [سورة الفرقان : ٤٦]. وَإِنَّمَا قَبَضَهُ إِلَيْنَا لِأَنَّهُ

ظَلُّهُ، فَمِنْهُ ظَهَرَ ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣]. فَهُوَ هُوَ، لَا غَيْرُهُ.

فَكُلُّ مَا نَدْرِكُهُ فَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ فِي أَعْيَانِ الْمُمْكِنَاتِ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ الْحَقُّ، هُوَ وَجُودُهُ. وَمِنْ حَيْثُ اخْتِلَافُ الصُّورِ فِيهِ، هُوَ أَعْيَانُ الْمُمْكِنَاتِ.

فَكَمَا لَا يَزُولُ عَنْهُ بِاخْتِلَافِ الصُّورِ اسْمُ «الظِّلِّ»، كَذَلِكَ لَا يَزُولُ عَنْهُ بِاخْتِلَافِ الصُّورِ اسْمُ «الْعَالِمِ» أَوْ اسْمُ «سِوَى الْحَقِّ»، فَمِنْ حَيْثُ أَحَدِيَّةُ كَوْنِهِ ظِلًّا، هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ. وَمِنْ حَيْثُ كَثَرَةُ الصُّورِ هُوَ الْعَالَمُ. فَتَفْطَنُ وَتَحَقِّقُ مَا أَوْضَحْتُهُ لَكَ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُهُ، لَكَ، فَالْعَالَمُ مُتَوَهِّمٌ مَالَهُ وَجُودٌ حَقِيقِيٌّ.

وَهَذَا مَعْنَى الْخِيَالِ؛ أَي: خِيَلٌ لَكَ أَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، خَارِجٌ عَنِ

الْحَقُّ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

أَلَا تَرَاهُ فِي الْحِسِّ مُتَّصِلًا بِالشَّخْصِ الَّذِي أَمْتَدَّ عَنْهُ؟ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ  
الْإِنْفِكَافُ عَنْ ذَلِكَ التَّصَالِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الشَّيْءِ الْإِنْفِكَافُ عَنْ ذَاتِهِ.

فَاعْرِفْ عَيْنَكَ. وَمَنْ أَنْتَ؟ وَمَا هُوَيْتُكَ؟ وَمَا نَسَبْتُكَ إِلَى الْحَقِّ؟ وَبِمَا

أَنْتَ حَقٌّ؟ وَبِمَا أَنْتَ عَالَمٌ، وَسَوَى، وَغَيْرٌ؟ وَمَا شَاكَلَ هَذِهِ الْأَلْفَافُ.

وَفِي هَذَا يَتَفَاخَلُ الْعُلَمَاءُ: فَعَالِمٌ وَأَعْلَمٌ.

فَالْحَقُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ظِلٍّ خَاصٍّ [٢٦ وجه] صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ، وَصَافٍ

وَأَصْفَى؛ كَالنُّورِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حِجِّ أَبِيهِ عَنِ النَّازِلِ بِإِلْزَاجٍ يَتَلَوَّنُ بِلَوْنِهِ، وَفِي

نَفْسِ الْأَمْرِ لَا لَوْنَ لَهُ. وَلَكِنْ هَكَذَا تَرَاهُ، ضَرْبَ مِثَالٍ لِحَقِيقَتِكَ

بِرَبِّكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: «إِنَّ النُّورَ أَخْضَرَ»، لِخُضْرَةِ الزُّجَاجِ صَدَقْتَ، وَشَاهِدُكَ

الْحِسُّ.

وَإِنْ قُلْتَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِأَخْضَرَ وَلَا ذِي لَوْنٍ»، كَمَا أَعْطَاهُ لَكَ الدَّلِيلُ

صَدَقْتَ، وَشَاهِدُكَ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ الصَّحِيحُ.

فَهَذَا نُورٌ مُمْتَدُّ عَنْ ظِلٍّ. وَهُوَ عَيْنُ الزُّجَاجِ فَهُوَ ظِلٌّ نُورِيٌّ لِصَفَائِهِ.

كَذَلِكَ الْمُتَحَقِّقُ مِنَّا بِإِلْحَاقٍ، تَظْهَرُ صُورَةُ الْحَقِّ فِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا تَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ.

فَمِنَّا مَنْ يَكُونُ الْحَقُّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَمِيعَ قُوَاهُ وَجَوَارِحِهِ بِعَلَامَاتٍ قَدْ

أَعْطَاهَا الشَّرْعُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَعَ هَذَا عَيْنُ الظِّلِّ مَوْجُودٌ. فَإِنَّ

الضَّمِيرَ مِنْ «سَمِعَ هُ» يَعُودُ عَلَيْهِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعَبِيدِ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَنِسْبَةُ  
هَذَا الْعَبْدِ، أَقْرَبُ إِلَى وُجُودِ الْحَقِّ، مِنْ نِسْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْعَبِيدِ.

143

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ.

فَاعْلَمْ أَنَّكَ خَيَالٌ. وَجَمِيعُ مَا تَدْرِكُهُ مِمَّا تَقُولُ فِيهِ: «لَيْسَ أَنَا، خَيَالٌ».

فَالْوُجُودُ كُلُّهُ خَيَالٌ فِي خَيَالٍ. وَالْوُجُودُ الْحَقُّ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ خَاصَّةً، مِنْ  
حَيْثُ ذَاتُهُ وَعَيْنُهُ، لَا مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ.

لَأَنَّ أَسْمَاءَهُ لَهَا مَدْلُولَانِ: الْمَدْلُولُ الْوَاحِدُ عَيْنُهُ، وَهُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى.

وَالْمَدْلُولُ الْآخَرُ مَا يَدُلُّ مِمَّا يَنْفَصِلُ الْأُسْمُ بِهِ عَنْ هَذَا الْأُسْمِ الْآخَرِ  
وَيَتَمَيَّزُ.

فَأَيْنَ «الْغَفُورُ» مِنْ «الظَّاهِرِ»، وَمِنْ «الْبَاطِنِ»؟ وَأَيْنَ «الْأَوَّلُ» مِنْ

الْآخِرِ؟ فَقَدْ بَانَ لَكَ بِمِ اهْوَا كُلُّ أُسْمٍ عَيْنُ الْأُسْمِ الْآخَرِ. وَبِمِ أ هُوَ غَيْرُ الْأُسْمِ

الْآخَرِ، فَبِمَا هُوَ عَيْنُهُ هُوَ الْحَقُّ. وَبِمَا هُوَ غَيْرُهُ، هُوَ الْحَقُّ الْمُتَخَيَّلُ. الَّذِي كُنَّا

بِصَدَدِهِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، سِوَى نَفْسِهِ. وَلَا تَبْتَ كَوْنُهُ إِلَّا بِعَيْنِهِ.

144

فَمَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَدِيَّةُ. وَمَا فِي الْخَيَالِ إِلَّا مَا دَلَّتْ

عَلَيْهِ الْكَثْرَةُ.

فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْكَثْرَةِ كَانَ مَعَ الْعَالَمِ، وَمَعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَسْمَاءِ

الْعَالَمِ.

وَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْأَحَدِيَّةِ، كَانَ مَعَ الْحَقِّ، مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ الْغَنِيَّةُ عَنِ  
الْعَالَمِينَ.

وَإِذَا كَانَتْ غَنِيَّةً عَنِ الْعَالَمِينَ فَهُوَ عَيْنُ غِنَاهَا عَنْ نِسْبَةِ [٢٦ ظهر]  
الْأَسْمَاءِ لَهَا؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ لَهَا كَمَا تَدُلُّ عَلَيَّهَا، تَدُلُّ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ أُخَرَ تُحَقِّقُ  
ذَلِكَ أَثَرُهَا.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص : ١] مِنْ حَيْثُ عَيْنُهُ. ﴿أَلِلْهُ الصَّمَدُ﴾  
[سورة الإخلاص : ٢] مِنْ حَيْثُ أَسْتَنَّا أَدْنَا إِلَيْهِ. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [سورة الإخلاص  
: ٣]

مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتَّهَمُ، وَنَحْنُ. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [سورة الإخلاص : ٣] كَذَلِكَ. ﴿وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص : ٤] كَذَلِكَ.

فَهَذَا نَعْتُهُ، فَأَفْرَدَ ذَاتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص : ١] وَظَهَرَتْ  
الكَثْرَةُ بِنُعُوتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَنَا، فَنَحْنُ نَلِدُ وَنُولَدُ، وَنَحْنُ نَسْتَتِدُّ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ  
أَكْفَاءُ، بَعْضُنَا لِبَعْضٍ. وَهَذَا الْوَاحِدُ مِنْ رَهْ عَنْ هَذِهِ النُّعُوتِ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا،  
كَمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنَّا.

وَمَا لِلْحَقِّ نَسَبٌ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ، سُورَةُ الْإِخْلَاصِ. وَفِي ذَلِكَ  
نَزَلَتْ.

فَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي تَطْلُبُنَا، أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ.  
وَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْغِنَى عَنَّا، وَعَنِ الْأَسْمَاءِ، أَحَدِيَّةُ الْعَيْنِ. وَكِلَاهُمَا

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «الْأَحَدِ». فَأَعْلَمَ ذَلِكَ.

146

فَمَا أَوْجَدَ الْحَقُّ الظَّلَالَ، وَجَعَلَهَا سَاجِدَةً مُتَفَيِّئَةً عَنِ الشَّمِّ آلِ وَالْيَمِينِ،

إِلَّا دَلَّيْلَ لَكَ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ، لَتَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ؟ وَمَا نِسْبَتُكَ إِلَيْهِ؟ وَمَا نِسْبَتُهُ

إِلَيْكَ؟

حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ، أَوْ مِنْ أَيِّ حَقِيقَةٍ إِلَهِيَّةٍ أَتَّصَفَ مَا سِوَى اللَّهِ بِالْفَقْرِ

الْكُلِّيِّ إِلَى اللَّهِ. وَبِالْفَقْرِ النَّسْبِيِّ بِافْتِقَارِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ.

وَحَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ، أَوْ مِنْ أَيِّ حَقِيقَةٍ أَتَّصَفُ بِالْغِنَى عَنِ النَّاسِ،

وَالْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَتَّصَفُ الْعَالَمُ بِالْغِنَى أَيُّ: بِغِنَى بَعْضِهِ عَنِ بَعْضٍ،  
مِنْ

وَجِهٍ مَا هُوَ عَيْنُ مَا أَفْتَقَرَ إِلَى بَعْضِهِ بِهِ.

فَإِنَّ الْعَالَمَ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْأَسْبَابِ بِلَا شَكٍّ أَفْتَقَرَ أَرَادَاتِيًّا، وَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ

لَهُ سَبَبُ بَيَّةِ الْحَقِّ، وَلَا سَبَبِيَّةَ لِلْحَقِّ يَفْتَقِرُ الْعَالَمُ إِلَيْهَا، سِوَى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ

—

وَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ كُلُّ اسْمٍ يَفْتَقِرُ الْعَالَمُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمٍ مِثْلِهِ — أَوْ عَيْنِ الْحَقِّ

فَهُوَ اللَّهُ لَا غَيْرَ هُ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ

الْغَنَى الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر : ١٥]. وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَنَا أَفْتَقَارًا مِنْ بَعْضِنَا  
لِبَعْضِنَا،

147

فَأَسْمَاؤُنَا أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ إِلَيْهِ الْافْتِقَارُ بِلَا شَكٍّ.

وَأَعْيَانُنَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ظِلُّهُ لَا غَيْرُهُ. فَهُوَ هُوِيَّتُنَا، لَا هُوِيَّتُنَا. وَقَدْ [٢٧]

وجه] مَهْدُنَا لَكَ السَّبِيلَ، فَاَنْظُرْ.

[١٠] ﴿فَصْ حِكْمَةً أَحَدِيَّةً فِي كَلِمَةٍ هُودِيَّةً﴾

[الرَّمْلُ]

- ١- إِنَّ اللَّهَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
- ٢- فِي كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ عَيْنُهُ
- ٣- وَلِهَذَا وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ
- ظَاهِرٌ غَيْرَ خَفِيٍّ فِي الْعُمُومِ
- وَجَهُولٍ بِأُمُورٍ وَعَلِيمٍ
- كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَقِيرٍ وَعَظِيمٍ

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود : ٥٦].

فَكُلُّ مَا شِ فَعَلَى صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ فَهُمْ ﴿غَيْرُ مَغْضُوبٍ عَلَيْهِمْ﴾،

مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ﴿وَلَا ضَالِّينَ﴾ [اقتباس من سورة الفاتحة : ٧].

فَكَمَا كَانَ الضَّلَالُ عَارِضًا كَذَلِكَ الْغَضَبُ الْإِلَهِيُّ عَارِضٌ، وَالْمَالُ إِلَى

الرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهِيَ السَّابِقَةُ.

وَكُلُّ مَا سَوَى الْحَقِّ دَابَّةٌ، فَإِنَّهُ ذُو رُوحٍ.

وَمَا تَمَّ مَنْ يَدُبُّ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَدُبُّ بغيرِهِ، فَهُوَ يَدُبُّ بِحُكْمِ التَّبَعِيَّةِ

لِلَّذِي هُوَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ صِرَاطًا إِلَّا بِالْمَشْيِ عَلَيْهِ.

[مَجْزُوءُ الْوَافِر]

- ١- إِذَا دَانَ لَكَ الْخَلْقُ
- ٢- وَإِنْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ
- ٣- فَحَقِّقْ قَوْلَنَا فِيهِ
- ٤- فَمَا فِي الْكَوْنِ مَوْجُودٌ
- فَقَدْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ
- فَقَدْ لَا يَتَّبِعُ الْخَلْقُ
- فَقَوْلِي كُلُّهُ الْحَقُّ
- تَرَاهُ مَالَهُ نُطْقُ

٥- وَمَا خَلَقَ تَرَاهُ الْعَيْنُ

إِلَّا عَيْنُهُ حَقٌّ

٦- وَلَكِنْ مُودَعٌ فِيهِ

لِهَذَا صُورُهُ حَقٌّ

أَعْلَمُ أَنَّ الْعُلُومَ الْإِلَهِيَّةَ الذَّوْقِيَّةَ الْحَاصِلَةَ لِأَهْلِ اللَّهِ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ

الْقُوَى الْحَاصِلَةِ مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَسْعَى بِهَا».

فَذَكَرَ أَنَّ هُويَّتَهُ هِيَ عَيْنُ الْجَوَارِحِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْعَبْدِ، فَالْهُويَّةُ وَاحِدَةٌ

وَالْجَوَارِحُ مُخْتَلِفَةٌ.

وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ يَخْصُصُهَا [٢٧ ظهر] مِنْ عَيْنٍ

وَاحِدَةٍ، تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْجَوَارِحِ، كَالْمَاءِ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، تَخْتَلِفُ فِي

الطَّعْمِ بِاخْتِلَافِ الْبِقَاعِ، فَمِنْهُ ﴿عَذْبُ فُرَاتٍ﴾ [سورة الفرقان : ٥٣؛ سورة فاطر

: ١٢]، وَمِنْهُ ﴿مِلْحُ أُجَاجٍ﴾ [سورة الفرقان : ٥٣؛ سورة فاطر : ١٢]، وَهُوَ مَاءٌ

فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُعُومُهُ.

وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ عِلْمِ الْأَرْجُلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ [سورة

الرعد : ٤] لِنُ أَقَامَ، كُتِبَتْ: ﴿وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة المائدة : ٦٦].

فَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ، هُوَ لِلسُّلُوكِ عَلَيْهِ، وَالْمَشْيِ فِيهِ، وَالسَّعْيِ

لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَرْجُلِ.

فَلَا يُنْتِجُ هَذَا الشُّهُودَ — فِي أَخْذِ النَّوَاصِي بِيَدٍ مَنْ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ — إِلَّا هَذَا الْفَنُّ الْخَاصُّ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ. ﴿فَيَسْؤُقُ



أَلَمْ جُرِمِينَ ﴿سورة مريم : ٨٦﴾ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا الْمَقَامَ الَّذِي سَاقَهُمْ إِلَيَّ هـ

بَرِيحِ الدَّبُورِ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ عَنْ نَفُوسِهِمْ بِهَا. فَهُوَ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهِمْ وَالرَّيْحُ  
يَسُوقُهُمْ — وَهِيَ عَيْنُ الْأَهْوَاءِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا — إِلَىٰ جَهَنَّمَ، وَهِيَ الْبُعْدُ  
الَّذِي كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ.

فَلَمْ اسَاقَهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ حَصَّ لَوْ فِي عَيْنِ الْقُرْبِ، فَزَالَ الْبُعْدُ، فَزَالَ  
مُسَمًّى جَهَنَّمَ فِي حَقِّهِمْ، فَفَازُوا بِنِعَمِ الْقُرْبِ، مِنْ جِهَةِ الْأَسْتِحْقَاقِ لِأَنَّهُمْ  
مُجْرِمُونَ.

فَمَا أَعْطَاهُمْ هَذَا الْمَقَامَ الذَّوْقِيَّ اللَّذِيذَ، مِنْ جِهَةِ الْمِنَّةِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ بِمَا  
اسْتَحَقَّتْهُ حَقَائِقُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَكَانُوا فِي السَّعْيِ فِي  
أَعْمَالِهِمْ عَلَىٰ صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِأَنَّ نَوَاصِيَهُمْ كَانَتْ بِيَدِ مَنْ لَهُ هَذِهِ  
الْصِّفَةُ.

فَمَا مَشَوْا بِنَفُوسِهِمْ، وَإِنَّمَا مَشَوْا بِحُكْمِ الْجَبْرِ، إِلَىٰ أَنْ وَصَلُوا إِلَىٰ عَيْنِ  
الْقُرْبِ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الواقعة : ٨٥]  
وَإِنَّمَا هُوَ يُبْصِرُ؛ فَإِنَّهُ مَكْشُوفُ الْغِطَاءِ ﴿فَبَصَرُهِ حَدِيدٌ﴾ [اقتباس من سورة ق  
: ٢٢].

وَمَا خَصَّ مَيِّتًا مِنْ مَيِّتٍ أَيْ: مَا خَصَّ سَعِيدًا فِي الْعُرْفِ مِنْ شَقِيٍّ  
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق : ١٦] وَمَا خَصَّ إِنْسَانًا مِنْ  
إِنْسَانٍ.

فَالْقُرْبُ إِلَهُ هِيَ مِنَ الْعَبْدِ لَا خَفَاءَ بِهِ فِي الْإِخْبَارِ الْإِلَهِيِّ، فَلَا قُرْبَ

أَقْرَبُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هُوِيَّتُهُ عَيْنَ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ وَقَوَاهُ، وَلِي سَ الْعَبْدُ سِوَى هَذِهِ

الْأَعْضَاءِ وَالْقَوَى، فَهُوَ حَقُّ مَشْهُودٍ [٢٨ وجه] فِي خَلْقٍ مُتَوَهِّمٍ.

فَالْخَلْقُ مَعْقُولٌ، وَالْحَقُّ مَحْ سُوْسُ مَشْهُودٌ، عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكَشْفِ

وَالْوُجُودِ.

وَمَاعَدًا هَذِينَ الصَّنَفِينَ، فَالْحَقُّ عَنْدهُمْ مَعْقُولٌ، وَالْخَلْقُ مَشْهُودٌ، فَهُمْ

بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ «الْمِلْحِ الْأَجَاجِ». [إشارة إلى سورة الفرقان : ٥٣؛ سورة فاطر : ١٢].

وَالطَّائِفَةُ الْأُولَى بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ «الْعَذْبِ الْفُرَاتِ»، السَّائِغِ لِشَارِبِهِ» [إشارة إلى

سورة الفرقان : ٥٣؛ سورة فاطر : ١٢].

فَالنَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ يَعْرِفُهُ، وَيَعْرِفُ

غَايَتَهَا، فَهِيَ فِي حَقِّهِ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ

يَجْهَلُهَا، وَلَا يَعْرِفُ غَايَتَهَا، وَهِيَ عَيْنُ الطَّرِيقِ الَّتِي عَرَفَهَا الصَّنَفُ الْآخَرُ.

فَالْعَارِفُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَغَيْرِ الْعَارِفِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

التَّقْلِيدِ وَالْجَهَالَةِ.

فَهَذَا عِلْمٌ خَاصٌّ يَأْتِي مِنَ أَسْفَلِ سَافِلِينَ، لِأَنَّ الْأَرَجُلَ هِيَ السُّفْلُ مِنَ

الشَّخْصِ، وَأَسْفَلُ مِنْهَا مَا تَحْتَهَا، وَلَيْسَ إِلَّا الطَّرِيقُ.

فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ عَيْنَ الطَّرِيقِ، عَرَفَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. فَإِنَّ فِيهِ

جَلًّا وَعَلَا تَسْلُكٌ وَتُسَافِرٌ.

إِذْ لَا مَعْلُومَ إِلَّا هُوَ. وَهُوَ عَيْنُ السَّالِكِ وَالْمُسَافِرِ. فَلَا عَالِمَ إِلَّا هُوَ.

فَمَنْ أَنْتَ؟

فَاعْرِفْ حَقِيقَتَكَ وَطَرِيقَتَكَ، فَقَدْ بَانَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَى لِسَانِ

التَّرْجُمَانِ — إِنَّ فَهَمْتَ — وَهُوَ لِسَانُ حَقٍّ، فَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ فَهَمَهُ

حَقُّ.. فَإِنَّ لِلْحَقِّ نِسْبًا كَثِيرَةً، وَوُجُوهًا مُخْتَلِفَةً.

أَلَا تَرَى عَادًا قَوْمَ هُودٍ كَيْفَ ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [سورة الأحقاف

: ٢٤] فَظَنُّوا خَيْرًا بِاللَّهِ، وَهُوَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ.

فَأَضْرَبَ لَهُمُ الْحَقُّ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَتَمُّ وَأَعْلَى فِي

الْقُرْبِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمْطَرَهُمْ فَذَلِكَ حَظُّ الْأَرْضِ، وَسَقَى الْحَبَّةَ، فَمَا يَصِلُ وَنَ إِلَى

نَتِيجَةِ ذَلِكَ الْمَطَرِ إِلَّا عَنْ بُعْدٍ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلُ تَمَّ بِهِ رِيحٌ فِيهِ أ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤]، فَجَعَلَ الرِّيحَ إِشَارَةً إِلَى مَا فِيهَا مِنْ

الرَّاحَةِ لَهُمْ؛ فَإِنَّ بِهِذِهِ الرِّيحِ أَرَاخَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْهَيَاكِلِ الْمُظْلِمَةِ وَالْمَسَاكِلِ

الْوَعْرَةِ وَالسُّدْفِ الْمُدْلَهَمَةِ. وَفِي هَذِهِ الرِّيحِ عَذَابٌ. أَي: أَمْرٌ يَسُ تَعْذِبُ بُونَهُ

إِذَا ذَاقُوهُ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُوجِعُهُمْ لِفُرْقَةِ الْمَأْلُوفِ، فَبَاشَرَهُمُ الْعَذَابُ [٢٨ ظهر]

فَكَانَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ مِمَّا تَخَيَّلُوهُ، فَدَمَّرَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا

فَأَصْبَحُوا﴾ [سورة الأحقاف : ٢٥]، لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ. وَهِيَ جُسُثُهُمُ الَّتِي

عَمَّرَتْهَا أَرْوَاحُهُمُ الْحَقِّيَّةُ، فَزَالَتْ حَقِيقَةُ هَذِهِ النَّسَبَةِ الْخَاصَّةِ، وَبَقِيَتْ عَلَى

هَيَاكِلِهِمُ الْحَيَاةُ الْخَاصَّةُ بِهِمْ مِنَ الْحَقِّ، الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا الْجُلُودُ وَالْأَيْدِي

وَالْأَرْجُلُ، وَعَذَبَاتُ الْأَسْوَاطِ وَالْأَفْخَاذِ.

وَقَدْ وَرَدَ النَّصُّ الْإِلَهِيُّ بِهِ ذَا كُلِّ هِ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَيْرَةِ

وَمِنْ غَيْرَتِهِ ﴿حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ﴾ [اقتباس من سورة الأعراف : ٣٣].

156

وليس الفُحْشُ إِلَّا مَا ظَهَرَ، وَأَمَّا فُحْشُ مَا بَطَنَ، فَهُوَ لِمَنْ ظَهَرَ لَهُ. فَلَمَّا

حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ؛ مَنَعَ أَنْ تُعْرَفَ حَقِيقَةُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَهِيَ أَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ،

فَسَتَرَهَا بِالْغَيْرَةِ، وَهُوَ أَنْتَ، مِنَ الْغَيْرِ.

فَالْغَيْرُ يَقُولُ: السَّمْعُ سَمْعُ زَيْدٍ. وَالْعَارِفُ يَقُولُ: السَّمْعُ عَيْنُ الْحَقِّ،

وَهَكَذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقُوَى وَالْأَعْضَاءِ.

فَمَا كُلُّ أَحَدٍ عَرَفَ الْحَقَّ. فَتَفَاضَلَ النَّاسُ وَتَمَيَّزَتِ الْمَرَاتِبُ، فَبَانَ

الْفَاضِلُ وَالْمَفْضُولُ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا أَطْلَعَ نَبِيَّ الْحَقِّ وَأَشْهَدَنِي أَعْيَانَ رُسُلِهِ — عَلَيَّ هِ مُ السَّ لَا مُ —

وَأَنْبِيَائِهِ كُلَّهُمُ الْبَشَرِيِّينَ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ هِ وَعَلَى يَهُمُ أَجْمَعِينَ،

فِي مَشْهَدٍ أَقَمْتُ فِيهِ بِقُرْطُبَةَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٥٨٦هـ].

مَا كَلَّمَنِي أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ إِلَّا هُوْدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي

بِسَبَبِ جَمْعِيَّتِهِمْ.

157

وَرَأَيْتُهُ رَجُلًا ضَخْمًا فِي الدِّجَالِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، لَطِيفَ الْمُحَاوَرَةِ عَارِفًا

بِالْأُمُورِ، كَاشِفًا لَهَا؛ وَدَلِّي لِي عَلَى كَشْفِ هِ لَهَا قَوْلُهُ: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود : ٥٦]،

وَأَيُّ بَشَارَةٍ لِلْخَلْقِ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ؟ ثُمَّ مِنْ أُمَّتَيْنِ اللَّهُ عَلَيْنَا، أَنْ أَوْصَلَ  
إِلَيْنَا هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ.

ثُمَّ تَمَمَّهَا الْجَامِعُ لِلْكَلِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ  
الْحَقِّ، بِأَنَّهُ عَيْنُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَاللِّسَانِ؛ أَيُّ: هُوَ عَيْنُ الْحَوَاسِّ  
وَالْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ، أَقْرَبُ مِنَ الْحَوَاسِّ. فَأَكْتَفَى بِالْأَبْعَدِ الْمَحْدُودِ، عَنِ  
الْأَقْرَبِ الْمَجْهُولِ الْحَدِّ.

فَتَرْجَمَ الْحَقُّ لَنَا عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ مَقَالَتَهُ لِقَوْمِهِ، بِشَرْحِ لَنَا [٢٩ وجه] وَتَرْجَمَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ مَقَالَتَهُ بِشَرْحِ، فَكَمَلَ الْعِلْمُ فِي  
صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة العنكبوت  
: ٤٧]، فَإِنَّهُمْ يَسْتَرْوْنَهَا، وَإِنْ عَرَفُوهَا حَسَدًا مِنْهُمْ وَنَفَاسَةً وَظُلْمًا.

وَمَا رَأَيْنَا قَطُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أَنْزَلَهَا أَوْ إِنْخَبَأَ  
عَنْهُ أَوْصَلَهُ إِلَيْنَا فِيمَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّحْدِيدِ، تَنْزِيهَا كَانَ أَوْ غَيْرَ تَنْزِيهِهِ.

158

«أَوَّلُهُ الْعَمَاءُ الَّذِي مَافَوْقَهُ هَوَاءٌ»، وَمَاتَحْتَهُ هَوَاءٌ، فَكَانَ الْحَقُّ فِي هِ  
قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فَهَذَا أَيْضًا  
تَحْدِيدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَهَذَا تَحْدِيدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا، إِلَى أَنْ  
أَخْبَرَنَا أَنَّهُ عَيْنُنَا. وَنَحْنُ مَحْدُودُونَ.

159

فَمَا وَصَفَ الشورى : نَفْ سَهْ إِلَّا بِالْحَدِّ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِي سَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة

[١١] حَدُّ أَيْضًا، إِنَّ أَخَذْنَا الْكَافَ زَائِدَةً لِّغَيْرِ الصِّفَةِ.

وَمَنْ تَمَيَّزَ عَنِ الْمَحْدُودِ فَهُوَ مَحْدُودٌ، بِكَوْنِهِ لَيْسَ عَيْنَ هَذَا الْمَحْدُودِ.

فَالِإِطْلَاقُ عَنِ التَّقْيِيدِ تَقْيِيدٌ. وَالْمُطْلَقُ مُقَيَّدٌ بِالِإِطْلَاقِ، لَمَنْ فَهَمَ.

وَإِنْ جَعَلْنَا الْكَافَ لِلصِّفَةِ؛ فَقَدْ حَدَدْنَاهُ.

وَإِنْ أَخَذْنَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى : ١١] عَلَى نَفْيِ الْمِثْلِ،

تَحَقَّقْنَا بِأَلَمْ فَهُ وَهْمٌ، وَبِالإِخْبَارِ الصَّحِيحِ؛ أَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ، وَالْأَشْيَاءُ مَحْدُودَةٌ،

وَإِنْ اخْتَلَفَتْ حُدُودُهَا، فَهُوَ مَحْدُودٌ بِحَدِّ كُلِّ مَحْدُودٍ. فَمَا يُحَدُّ شَيْءٌ إِلَّا

وَهُوَ حَدٌّ لِلْحَقِّ، فَهُوَ السَّارِي فِي مُسَمَّى الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، مَا صَحَّ الْوُجُودُ. فَهُوَ عَيْنُ الْوُجُودِ.

فَهُوَ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سورة هود : ٥٧] بِذَاتِهِ. وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظٌ

شَيْءٌ.

فَحِفْظُهُ تَعَالَى لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، حِفْظُهُ لِصُورَتِهِ.

أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ غَيْرَ صُورَتِهِ، وَلَا يَصِحُّ إِلَّا هَذَا.

فَهُوَ الشَّاهِدُ مِنَ الشَّاهِدِ. وَالْمَشْهُودُ مِنَ الْمَشْهُودِ.

فَالْعَالَمُ صُورَتُهُ. وَهُوَ رُوحُ الْعَالَمِ، الْمُدَبِّرُ لَهُ. فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَبِيرُ.

[مَجْزُوءٌ الْخَفِيفُ]

١- فَهُوَ الْكَوْنُ كُلُّهُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي

- ٢- قَامَ كَوْنِي بِكَوْنِهِ  
 ٣- فَوُجُودِي غِذَاؤُهُ  
 ٤- فَبِهِ مِنْهُ إِنْ نَظَرُ  
 وَلِذَا قُلْتُ يَغْتَذِي  
 وَبِهِ نَحْنُ نَحْتَذِي  
 تَ بَوَجْهِ تَعُوْذِي

وَلِهَذَا الْكَرْبُ تَنَفَّسَ، فَنَسَبَ النَّفْسَ إِلَى الرَّحْمَنِ، لِأَنَّهُ رَحِمَ بِهِ مَا طَلَبَتْهُ  
 النَّسَبُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ إِيْجَادِ صُورِ الْعَالَمِ الَّتِي قُلْنَا هِيَ ظَاهِرُ الْحَقِّ.  
 إِذْ هُوَ الظَّاهِرُ وَهُوَ بَاطِنُهَا، إِذْ هُوَ الْبَاطِنُ وَهُوَ الْأَوَّلُ، إِذْ كَانَ وَلَا هِيَ،  
 وَهُوَ الْآخِرُ. إِذْ كَانَ عَيْنُهَا عِنْدَ ظُهُورِهَا.

فَالْآخِرُ عَيْنُ الظَّاهِرِ، وَالْبَاطِنُ عَيْنُ الْأَوَّلِ. ﴿وَهُوَ بِكَ لِ شَيْءٍ عَلَيَّ مٌ﴾ [سورة  
 البقرة : ٢٩]، لِأَنَّهُ بِنَفْسِهِ عَلِيمٌ.

فَلَمَّا أَوْجَدَ الصُّورَ فِي النَّفْسِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ النَّسَبِ الْمُعْبَرِ عَنْهَا  
 بِالْأَسْمَاءِ، صَحَّ النَّسَبُ الْإِلَهِيُّ لِلْعَالَمِ. فَا نْتَ سَبُو إِلَهِي ه تَعَالَى فَقَالَ:  
 «الْيَوْمَ

أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي» أَي: أَخَذُ عَنْكُمْ أَنْتَسَابَكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ،  
 وَأَرَدْتُكُمْ إِلَى أَنْتَسَابِكُمْ إِلَيَّ.

أَيْنَ الْمَتَّ قُون؟ أَي: الَّذِينَ اتَّخَذُوا اللَّهَ وَقَايَةً، فَكَانَ الْحَقُّ ظَاهِرَهُمْ؛ أَي:  
 عَيْنَ صُورِهِمْ الظَّاهِرَةِ. وَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ، وَأَحَقُّهُ وَأَقْوَاهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ.  
 وَقَدْ يَكُونُ الْمُتَّقِي، مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِصُورَتِهِ، إِذْ هُوِيَّةُ الْحَقِّ  
 قُوَى الْعَبْدِ، فَجَعَلَ مُسَمًّى الْعَبْدِ وَقَايَةً لِمُسَمًّى الْحَقِّ — عَلَى الشُّهُودِ —

حَتَّىٰ يَتَمَيَّزَ الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ الْعَالَمِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا

الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر : ٩]، وَهُمْ النَّاظِرُونَ فِي لُبِّ الشَّيْءِ، الَّذِي هُوَ

الْمَطْلُوبُ مِنَ الشَّيْءِ، فَمَا سَبَقَ مُقَصِّرٌ مُجِدًّا. كَذَلِكَ لَا يُمَاطِلُ أَجِيرٌ عَبْدًا.

وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ وَقَايَةً لِلْعَبْدِ بِوَجْهِهِ، وَالْعَبْدُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِوَجْهِهِ.

فَقُلْ فِي الْكَوْنِ مَا شِئْتَ.

إِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْخَلْقُ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْحَقُّ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْحَقُّ الْخَلْقُ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «لَا حَقٌّ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ، وَلَا خَلْقٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِهِ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «بِالْحَيْرَةِ فِي ذَلِكَ».

[٣٠ وجه] فَقَدْ بَانَ الْمَطَالِبُ بِتَعْيِينِكَ الْمَرَاتِبَ، وَلَوْلَا التَّحْدِيدُ

مَا أَخْبَرَتِ الرُّسُلُ بِتَحَوُّلِ الْحَقِّ فِي الصُّوَرِ، وَلَا وَصَفَتُهُ بِخَلْعِ الصُّوَرِ عَنْ

نَفْسِهِ.

163

[الْمُنْتَقَرِبُ]

١- فَلَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَقَعُ الْحُكْمُ إِلَّا عَلَيْهِ

٢- فَنَحْنُ لَهُ وَبِهِ فِي يَدَيْهِ وَفِي كُلِّ حَالٍ فَإِنَّا لَدَيْهِ

لِهَذَا يُنَكَّرُ وَيُعَرَّفُ، وَيُنَزَّهُ وَيُوصَفُ.



فَمَنْ رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بَعِينُهُ، فَذَلِكَ الْعَارِفُ.

وَمَنْ رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بَعِينِ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ غَيْرُ الْعَارِفِ.

وَمَنْ لَمْ يَرَ الْحَقَّ مِنْهُ، وَلَا فِيهِ، وَأَنْتَظَرَ أَنْ يَرَاهُ بَعِينِ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ

الْجَاهِلُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ عَقِيدَةٍ فِي رَبِّهِ، يَرْجِعُ بِهَا إِلَيْهِ،

وَيَطْلُبُهُ فِيهَا؛ فَإِذَا تَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ فِيهَا عَرَفَهُ وَأَقَرَّ بِهِ. وَإِنْ تَجَلَّى لَهُ فِي

غَيِّ رَهَا نَكِرَهُ وَتَعَوَّذَ مِنْهُ، وَأَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَيْهِ — فِي نَفْسِ الْأَمْرِ — وَهُوَ عِنْدَ

نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ مَعَهُ.

فَلَا يَعْتَقِدُ مُعْتَقِدُ الْإِلَهَا، إِلَّا بِمَا جَعَلَ فِي نَفْسِهِ.

164

فَالِإِلَهَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ بِالْجَعْلِ. فَمَا رَأَوْا إِلَّا نُفُوسَهُمْ، وَمَا جَعَلُوا فِيهَا.

فَأَنْظُرْ مَرَاتِبَ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ، هُوَ عَيْنُ مَرَاتِبِهِمْ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ بِالسَّبَبِ الْمَوْجِبِ لَذَلِكَ.

فَأَيَّاكَ أَنْ تَتَّقِيْدَ بِعَقْدٍ مَخْصُوصٍ، وَتَكْفُرَ بِمَا سِوَاهُ، فَيَفُوتَكَ خَيْرٌ

كَثِيرٌ؛ بَلْ يَفُوتَكَ الْعِلْمُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَكُنْ فِي نَفْسِكَ هَيُولَى لِصُورِ الْمُعْتَقَدَاتِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الْإِلَهَ تَعَالَى

أَوْسَعُ وَأَعْظَمُ أَنْ يَحْصُرَهُ عَقْدٌ دُونَ عَقْدٍ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿فَإَيْنَ مَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُهُ

اللَّهُ﴾ [سورة البقرة : ١١٥]. وَمَا ذَكَرْنَا أَيْنَا مِنْ أَيْنٍ.

وَذَكَرَ أَنْ تَمَّ وَجْهَ اللَّهِ. وَوَجْهَ الشَّيْءِ حَقِيقَتُهُ.

فَنَبَّهَ بِهَذَا قُلُوبَ الْعَالَمِينَ لِئَلَّا تَشْغَلَهُ مُمُ الْعَوَارِضُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عَنْ  
أَسْتِحْضَارِ مِثْلِ هَذَا. 165

فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي الْعَبْدُ فِي أَيِّ نَفْسٍ يُقْبَضُ، فَقَدْ يُقْبَضُ فِي وَقْتِ غَفْلَةٍ،  
فَلَا يَسْتَوِي مَعَ مَنْ قُبِضَ عَلَى حُضُورٍ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ الْكَامِلَ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ ذَا — يَلْزِمُ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْحَالِ  
الْمُقَيَّدَةِ — التَّوَجُّهَ بِالصَّلَاةِ إِلَى شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [٣٠ ظه ر] وَيَعْتَقِدُ أَنَّ  
اللَّهَ فِي قِبْلَتِهِ، حَالِ صَلَاتِهِ.

وَهُوَ بَعْضُ مَرَاتِبِ وَجْهِ الْحَقِّ مِنْ ﴿أَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة  
: ١١٥]. فَشَطْرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْهَا، فَفِيهِ وَجْهُ اللَّهِ.

وَلَكِنْ لَا تَقُلْ: هُوَ هُنَا فَقَطْ. بَلْ قِفْ عِنْدَ مَا أَدْرَكْتَ، وَالْزِمِ الْأَدَبَ فِي  
الاسْتِقْبَالِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَالْزِمِ الْأَدَبَ فِي عَدَمِ حَصْرِ الْوَجْهِ فِي  
تِلْكَ الْإِيْنِيَّةِ الْخَاصَّةِ، بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَيُّنِيَّاتِ ﴿مَا تَوَلَّى﴾ [سورة الن ساء :  
١١٥] مُتَوَلِّئِهَا.

فَقَدْ بَانَ لَكَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ فِي أَيُّنِيَّةِ كُلِّ وَجْهَةٍ.  
وَمَا تَمَّ إِلَّا الْاِعْتِقَادَاتُ. فَالْكُلُّ مُصِيبٌ.

وَكُلُّ مُصِيبٍ مَاجُورٌ. وَكُلُّ مَاجُورٍ سَعِيدٌ. وَكُلُّ سَعِيدٍ مَرْضِيٌّ عَنْهُ، وَإِنْ  
شَقِيَ زَمَانًا مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. فَقَدْ مَرَضَ وَتَأَلَّمَ أَهْلُ الْعِنَايَةِ مَعَ عِلْمِنَا

بِأَنَّهُمْ سُعْدَاءُ، أَهْلُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَمِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ تِلْكَ الْآلَامُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى فِي دَارٍ  
تُسَمَّى جَهَنَّمَ.

166

وَمَعَ هَذَا لَا يَقْطَعُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ — الَّذِينَ كَشَفُوا الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ  
عَلَيْهِ — أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّارِ نَعِيمٌ خَاصٌّ بِهِمْ. إِمَّا بِفَقْدِ أَلَمٍ  
كَانُوا يَجِدُونَهُ، فَارْتَفَعَ عَنْهُمْ.

فَيَكُونُ نَعِي مَهُمْ رَاحَتُهُمْ عَنْ وَجْدَانِ ذَلِكَ الْأَلَمِ. أَوْ يَكُونُ نَعِي مُ مُسْتَقِلُّ  
زَائِدٌ كَنَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَانِ فِي الْجَنَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[١١] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ فُتُوْحِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ صَالِحِيَّةٍ﴾

167

[الْوَافِرُ]

١- مِنَ الْآيَاتِ آيَاتُ الرِّكَائِبِ وَذَلِكَ لِاخْتِلَافٍ فِي الْمَذَاهِبِ  
٢- فَمِنْهُمْ قَائِمُونَ بِهَا بِحَقِّ وَمِنْهُمْ قَاطِعُونَ بِهَا السَّبَّاسِبِ

٣- فَأَمَّا الْقَائِمُونَ فَأَهْلُ عَيْنٍ وَأَنَّ الْقَاطِعِينَ هُمُ الْجَنَائِبِ

٤- وَ كُلُّ مِنْهُمْ تَأْتِيهِ مِنْهُ فُتُوْحٌ غُيُوبِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

أَعْلَمُ — وَفَقَكَ اللَّهُ — أَنَّ الْأَمْرَ مَبْنِيٌّ فِي نَفْسِهِ عَلَى الْفَرْدِيَّةِ.

وَلَهَا التَّثْلِيثُ، فَهِيَ مِنَ الثَّلَاثَةِ فَصَاعِدًا، فَالثَّلَاثَةُ أَوَّلُ الْأَفْرَادِ، وَعَنْ هَذِهِ

الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَجَدَ الْعَالَمُ.

168

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة

النحل : ٤٠] فَهَذِهِ ذَاتٌ. ذَاتُ إِرَادَةٍ وَقَوْلٍ. فَلَوْلَا هَذِهِ الذَّاتُ وَإِرَادَتُهَا —

وَهِيَ نِسْبَةُ التَّوَجُّهِ بِالتَّخْصِصِ [٣١ وجه] لِتَكْوِينِ أَمْرٍ — مَا تَمَّ قَوْلُهُ عِنْدَ  
هَذَا التَّوَجُّهِ: «كُنْ» لِذَلِكَ الشَّيْءِ، مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ.

ثُمَّ ظَهَرَتْ الْفَرْدِيَّةُ الثَّلَاثِيَّةُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَبِهَا مِنْ جِهَتِهِ صَحَّ تَكْوِينُهُ، وَاتَّصَفَهُ بِالْوُجُودِ. وَهِيَ شَيْئِيَّتُهُ وَسَمَاعُهُ  
وَأُمْتِنَالُهُ أَمْرٌ مُكَوَّنُهُ بِالْإِيجَادِ.

فَقَابَلَ ثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ: ذَاتُهُ الثَّابِتَةُ فِي حَالِ عَدَمِهَا فِي مُوَازَنَةِ ذَاتِ

مُوجِدِهَا. وَسَمَاعُهُ فِي مُوَازَنَةِ إِرَادَةِ مُوجِدِهِ. وَقَبُولُهُ بِالْأُمْتِنَانِ أَلِ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ  
التَّكْوِينِ فِي مُوَازَنَةِ قَوْلِهِ: «كُنْ» فَكَانَ هُوَ.

فَنَسَبَ التَّكْوِينَ إِلَيْهِ، فَلَوْلَا أَنَّهُ فِي قُوَّتِهِ التَّكْوِينُ مِنْ نَفْسِهِ — عِنْدَ  
هَذَا الْقَوْلِ — مَا تَكَوَّنَ.

فَمَا أَوْجَدَ هَذَا الشَّيْءَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ — عِنْدَ الْأَمْرِ بِالتَّكْوِينِ — إِلَّا  
نَفْسُهُ.

فَأَثْبَتَ الْحَقُّ تَعَالَى أَنَّ التَّكْوِينَ لِلشَّيْءِ نَفْسِهِ لَا لِلْحَقِّ. وَالَّذِي لِلْحَقِّ  
فِيهِ أَمْرُهُ خَاصَّةً.

169

وَكَذَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢]، فَنَسَبَ التَّكْوِينَ لِنَفْسِ الشَّيْءِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

وَهُوَ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، كَمَا يَقُولُ

الْأَمْرُ — الَّذِي يُخَافُ فَلَا يُعْصَى — لِعَبْدِهِ: «قُمْ». فَيَقُومُ الْعَبْدُ أُمْتِنَالًا

لِأَمْرِ سَيِّدِهِ. فَلَيْسَ لِلَّ سَيِّدٍ فِي قِيَامِ هَذَا الْعَبْدِ سِوَى أَمْرِهِ لَهُ بِالْقِيَامِ  
وَالْقِيَامِ

مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ، لَا مِنْ فِعْلِ السَّيِّدِ.

فَقَامَ أَصْلُ التَّكْوِينِ عَلَى التَّثْلِيثِ، أَي: مِنَ الثَّلَاثَةِ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ: مِنْ  
جَانِبِ الْحَقِّ، وَمِنْ جَانِبِ الْخَلْقِ.

ثُمَّ سَدَّ رَأْيَ ذَلِكَ فِي إِجَادِ الْمَعَانِي بِالْأَدِلَّةِ: فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ  
مُرَكَّبًا مِنْ ثَلَاثَةٍ، عَلَى نِظَامِ مَخْصُوصٍ، وَشَرْطِ مَخْصُوصٍ. وَحِينَئِذٍ يُنْتِجُ  
لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَهُوَ أَنْ يَرَكَّبَ النَّاطِرُ دَلِيلَهُ مِنْ مُقَدِّمَتَيْنِ، كُلُّ مُقَدِّمَةٍ تَحْوِي عَلَى  
مُفْرَدَيْنِ، فَيَكُونُ أَرْبَعَةً. وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ يَتَكَرَّرُ فِي الْمُقَدِّمَتَيْنِ لِيَرْبُطَ  
إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، كَالنِّكَاحِ.

فَيَكُونُ ثَلَاثَةً لَا غَيْرَ، لِتَكَرُّارِ الْوَاحِدِ فِيهِ مَا، فَيَكُونُ الْمَطْلُوبُ، إِذَا وَقَعَ

170

هَذَا التَّرْتِيبُ — عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَخْصُوصِ — وَهُوَ رَبُّطُ إِحْدَى

الْمُقَدِّمَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، بِتَكَرُّارِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُفْرَدِ، الَّذِي بِهِ صَحَّ التَّثْلِيثُ.

وَالشَّرْطُ الْمَخْصُوصُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ أَعَمَّ مِنَ الْعِلَّةِ [٣١ ظهر] أَوْ

مُسَاوِيًا لَهَا، وَحِينَئِذٍ يَصْدُقُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُنْتِجُ نَتِيجَةً غَيْرَ  
صَادِقَةٍ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ، مِثْلُ إِضَافَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعَبْدِ، مُعَرَّاةً عَنْ

نِسْبَتِهَا إِلَى اللَّهِ. أَوْ إِضَافَةُ التَّكْوِينِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْرِهِ إِلَى اللَّهِ مُطْلَقًا.

وَالْحَقَّ مَا أَضَافَهُ إِلَّا إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «كُنْ».

وَمِثَالُهُ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَدُلَّ أَنْ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ سَبَبٍ.

فَنَقُولُ: كُلُّ حَادِثٍ فَلَهُ سَبَبٌ. فَمَعْنَى الْحَادِثِ وَالسَّبَبِ.

ثُمَّ نَقُولُ فِي الْمَقْدَمَةِ الْأُخْرَى: وَالْعَالَمُ حَادِثٌ.

فَتَكَرَّرَ الْحَادِثُ فِي الْمَقْدَمَتَيْنِ.

وَالثَّالِثُ قَوْلُنَا: الْعَالَمُ.

فَأَنْتَجَ أَنَّ الْعَالَمَ لَهُ سَبَبٌ.

وظَهَرَ فِي النَّتِيجَةِ مَا ذُكِرَ فِي الْمَقْدَمَةِ الْوَاحِدَةِ. وَهُوَ السَّبَبُ. فَالْوَجْهُ

الْخَاصُّ هُوَ تَكَرُّرُ الْحَادِثِ.

وَالشَّرْطُ الْخَاصُّ عُمُومُ الْعِلَّةِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي وُجُودِ الْحَادِثِ، السَّبَبُ.

وَهُوَ عَامٌ فِي حَدُوثِ الْعَالَمِ عَنِ اللَّهِ.

أَعْنِي: الْحُكْمَ، فَيَحْكُمُ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ أَنَّ لَهُ سَبَبًا. سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ

171

السَّبَبُ مُسَاوِيًا لِلْحُكْمِ، أَوْ يَكُونُ الْحُكْمُ أَعَمَّ مِنْهُ، فَيَدْخُلُ تَحْتَ حُكْمِهِ.

فَتَصْدُقُ النَّتِيجَةُ.

فَهَذَا أَيْضًا قَدْ ظَهَرَ حُكْمُ التَّثْلِيثِ، فِي إِيجَادِ الْمَعَانِي الَّتِي

تُقْتَنَصُ بِالْأَدِلَّةِ.

فَأَصْلُ الْكَوْنِ التَّثْلِيثُ، وَلِهَذَا كَانَتْ حِكْمَةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي

أَظْهَرَ اللَّهُ فِي تَأْخِيرِ أَخْذِ قَوْمِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَعَدًّا. ﴿غَيْرَ مَكْذُوبٍ﴾

فَأَنْتَجَ صِدْقًا وَهُوَ الصَّيْحَةُ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ بِهَا، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَثِيمِينَ﴾، [سورة هود : ٦٧].

172

فَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ، أَصْفَرَتْ وَجُوهُ الْقَوْمِ. وَفِي الثَّانِي أَحْمَرَتْ. وَفِي

الثَّالِثِ أَسْوَدَتْ. فَلَمَّا كَمَلَتِ الثَّلَاثَةُ، صَحَّ السُّتَعْدَادُ، فَظَهَرَ كَوْنُ الْفَسَادِ

فِيهِمْ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الظُّهُورُ هَلَاكًا.

فَكَانَ أَصْفَرَارُ وَجُوهِ الْأَشْقِيَاءِ، فِي مُوَازَنَةِ وَجُوهِ السُّعْدَاءِ، فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [سورة عبس : ٣٨]، مِنَ السُّفُورِ، وَهُوَ الظُّهُورُ.

كَمَا كَانَ الْأَصْفَرَارُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ، ظُهُورُ عَلَامَةِ الشَّقَاءِ فِي قَوْمٍ صَالِحٍ، ثُمَّ

جَاءَ فِي مُوَازَنَةِ الْأَحْمَرَارِ الْقَائِمِ بِهِمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى فِي السُّعْدَاءِ: ﴿ضَاحِكَةٌ﴾

[سورة عبس : ٣٩] فَإِنَّ الضَّحِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَوْلَدَةِ لِأَحْمَرَارِ الْوُجُوهِ، فَهِيَ

فِي السُّعْدَاءِ أَحْمَرَارُ الْوَجَنَاتِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي مُوَازَنَةِ تَغْيِيرِ [٣٢ وجه] بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ بِالسَّوَادِ، قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [سورة عبس : ٣٩] وَهُوَ مَا أَثَرَهُ السُّرُورُ فِي

بَشَرَتِهِمْ، كَمَا

أَثَرَ السَّوَادُ فِي بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ.

وَلِهَذَا قَالَ فِي الْفَرِيقَيْنِ يَا لِبَشَرِي، أَيُّ: يَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا يُؤَثِّرُ فِي بَشَرَتِهِمْ،

فَيَعْدِلُ بِهَا إِلَى لَوْنٍ لَمْ تَكُنْ الْبَشَرَةُ تَتَّصِفُ بِهِ قَبْلَ هَذَا. فَقَالَ فِي حَقِّ

السُّعْدَاءِ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة : ٢١]. وَقَالَ فِي حَقِّ

الْأَشْقِيَاءِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة : ٣٤].

فَأَثَرٌ فِي بَشْرَةِ كُلِّ طَائِفَةٍ مَّا حَصَلَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ أَثَرِ هَذَا الْكَلَامِ،  
فَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ إِلَّا حُكْمٌ مَا اسْتَقَرَّ فِي بَوَاطِنِهِمْ مِنَ الْمَفْهُومِ.  
فَمَا أَثَرٌ فِيهِمْ سِوَاهُمْ. كَمَا لَمْ يَكُنِ التَّكْوِينُ إِلَّا مِنْهُمْ. ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ  
الْبَلِغَةُ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٩].

فَمَنْ فَهَمَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ، وَقَرَّرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَجَعَلَهَا مَشْهُودَةً لَهُ، أَرَاخَ  
نَفْسَهُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ. وَعَلِمَ أَنََّّهُ لَا يُؤْتَى عَلَيْهِ بِخَيْرٍ وَلَا بِشَرٍّ، إِلَّا مِنْهُ.  
وَأَعْنِي بِالْخَيْرِ: مَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ، وَيَلَائِمُ طَبْعَهُ وَمِزَاجَهُ.

وَأَعْنِي بِالشَّرِّ: مَا لَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ، وَلَا يَلَائِمُ طَبْعَهُ وَلَا مِزَاجَهُ.

وَيُقِيمُ صَاحِبُ هَذَا الشُّهُودِ، مَعَاذِيرَ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ

يَعْتَذِرُوا. وَيَعْلَمُ أَنَّ مِنْهُ كَانَ كُلُّ مَا هُوَ فِيهِ — كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا فِي أَنَّ

الْعِلْمَ — تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ. فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ إِذَا جَاءَهُ مَا لَا يُوَافِقُ غَرَضَهُ: «يَدَاكَ

أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ». ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي بِالسَّبِيلِ﴾ [سورة الأحزاب

: ٤].

[١٢] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ قَلْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ شُعْبِيَّةٍ﴾

أَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ — أَعْنِي قَلْبَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ — هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ

أَوْسَعُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ وَسِعَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَرَحِمَتُهُ لَا تَسَعُهُ.

هَذَا لِسَانُ عُمُومٍ مِنْ بَابِ الْإِشَارَةِ، فَإِنَّ الْحَقَّ رَاحِمٌ لَيْسَ بِمَرْحُومٍ، فَلَا



حُكْمَ لِلرَّحْمَةِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْإِشَارَةُ مِنْ لِسَانِ الْخُصُوصِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّفْسِ  
وَهُوَ مِنَ التَّنْفِيسِ.

وَأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ عَيْنُ الْمُسَمَّى، وَلَيْ سَ إِلَّا هُوَ. وَأَنَّهَا طَالِبَةُ مَا تُعْطِيهِ  
مِنَ الْحَقَائِقِ، وَلَيْسَتْ الْحَقَائِقُ الَّتِي تَطْلُبُهَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا الْعَالَمَ. فَالْأُلُوهَةُ  
تَطْلُبُ الْمَأْلُوهَ، [٣٢ ظه ر] وَالرُّبُوبِيَّةُ تَطْلُبُ الْمَرْبُوبَ، وَإِلَّا فَلَا عَيْنَ لَهَا إِلَّا بِهِ،  
وُجُودًا وَتَقْدِيرًا.

وَالْحَقُّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وَالرُّبُوبِيَّةُ مَالَهَا هَذَا الْحُكْمُ.  
فَبَقِيَ الْأَمْرُ بَيْنَ مَا تَطْلُبُهُ الرُّبُوبِيَّةُ وَبَيْنَ مَا تَسْتَحِقُّهُ الذَّاتُ، مِنْ الْغِنَى عَنِ  
الْعَالَمِ. وَلَيْسَتْ الرُّبُوبِيَّةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِنْصَافِ، إِلَّا عَيْنُ هَذِهِ الذَّاتِ.  
فَلَمَّا تَعَارَضَ الْأَمْرُ، بِحُكْمِ النَّسَبِ، وَرَدَّ فِي الْخَبَرِ مَا وَصَفَ الْحَقُّ بِهِ  
نَفْسَهُ، مِنْ الشَّفَقَةِ عَلَى عِبَادِهِ.

فَأَوَّلُ مَا نَفَسَ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ بِنَفْسِهِ الْمَنْسُوبِ إِلَى الرَّحْمَنِ بِإِيجَادِهِ  
الْعَالَمَ الَّذِي تَطْلُبُهُ الرُّبُوبِيَّةُ بِحَقِيقَتِهَا. وَجَمِيعُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ.  
فَيَثْبُتُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَوَسِعَتْ الْحَقُّ،  
فَهِيَ أَوْسَعُ مِنَ الْقَلْبِ، أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهُ فِي السَّعَةِ. هَذَا مَضَى.  
ثُمَّ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ يَتَحَوَّلُ فِي الصُّورِ  
عِنْدَ التَّجَلِّيِّ. وَأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى إِذَا وَسِعَهُ الْقَلْبُ، لَا يَسَعُ مَعَهُ غَيْرُهُ مِنْ

المخلوقات، فكأنه يملؤه.

ومعنى هذا أنه إذا نظر إلى الحق عند تجليه له، لا يملك أن ينظر معه إلى غيره.

176

وَقَلْبُ الْعَارِفِ مِنَ السَّعَةِ كَمَا قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ: «لَوْ أَنَّ

الْعَرْشَ وَمَا حَوَاهُ مِائَةً أَلْفٍ لَفِ مَرَّةٍ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا أَحَسَّ بِهِ».

وَقَالَ الْجَنِيدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «إِنَّ الْمُحَدِّثَ إِذَا قَرَنَ بِالْقَدِيمِ لَمْ يَبْقُ لَهُ أَثَرٌ، وَقَلْبُ يَسَعُ الْقَدِيمَ، كَيْفَ يَحْسُ بِالْمُحَدِّثِ مَوْجُودًا؟».

وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ يَتَنَوَّعُ تَجَلِّيَّهِ فِي الصُّورِ، فَبِالضَّرُورَةِ يَتَّسِعُ الْقَلْبُ وَيُضِي قُبْحُهَا بِالصُّورَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُ الْإِلَهِيُّ، فَإِنَّهُ لَا يَفْضُلُ مِنَ الْقَلْبِ شَيْءٌ عَنْ صُورَةٍ مَا يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مِنَ الْعَارِفِ أَوْ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ، بِمَنْزِلَةِ مَحَلِّ فَصِّ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَاتَمِ، لَا يَفْضُلُ؛ بَلْ يَكُونُ عَلَى قَدْرِهِ وَشَكْلِهِ مِنَ الْإِسْتِدَارَةِ، إِنْ كَانَ الْفَصُّ مُسْتَدِيرًا، أَوْ مِنَ التَّرْبِيعِ، وَالتَّسْدِيسِ، وَالتَّثْمِينِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْكَالِ [٣٣ وجه] إِنْ كَانَ الْفَصُّ مُرَبَّعًا، أَوْ مُسَدَّسًا، أَوْ مُثَمَّنًا، أَوْ مَا كَانَ مِنَ الْأَشْكَالِ، فَإِنَّ مَحَلَّهُ مِنَ الْخَاتَمِ يَكُونُ مِثْلَهُ لَا غَيْرَ.

177

وَهَذَا عَكْسُ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الطَّائِفَةُ، مِنْ أَنَّ الْحَقَّ يَتَجَلَّى عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِ الْعَبْدِ.

وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ. فَإِنَّ الْعَبْدَ يَظْهَرُ لِلْحَقِّ عَلَى قَدْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَتَجَلَّى  
لَهُ فِيهَا الْحَقُّ.

وَتَحْرِيرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ : أَنَّ اللَّهَ تَجَلِّيَّ : تَجَلَّى غَيْبٍ، وَتَجَلَّى شَيْءٍ آدَةٍ، فَمِنْ  
تَجَلَّى الْغَيْبِ يُعْطَى الْأُسْتِعْدَادُ، الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ. وَهُوَ التَّجَلَّى  
الذَّاتِيُّ، الَّذِي الْغَيْبُ حَقِيقَتُهُ. وَهُوَ الْهُيُوتَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِقَوْلِهِ عَنْ نَفْسِهِ:  
«هُوَ»، فَلَا يَزَالُ «هُوَ» لَهُ دَائِمًا أَبَدًا.

فَإِذَا حَصَلَ لَهُ — أَعْنِي لِلْقَلْبِ — هَذَا الْأُسْتِعْدَادُ، تَجَلَّى لَهُ التَّجَلَّى  
الشَّهَوْدِيُّ فِي الشَّهَادَةِ، فَرَأَاهُ فَظَهَرَ بِصُورَةٍ مَا، تَجَلَّى لَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَهُوَ  
تَعَالَى أَعْطَاهُ الْأُسْتِعْدَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠].  
ثُمَّ رَفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، فَرَأَاهُ فِي صُورَةٍ مُعْتَقَدِهِ، فَهُوَ عَيْنُ أَعْتِقَادِهِ،  
فَلَا يَشْهَدُ الْقَلْبُ وَلَا الْعَيْنُ أَبَدًا إِلَّا صُورَةً مُعْتَقَدِهِ فِي الْحَقِّ.  
فَالْحَقُّ الَّذِي فِي الْمُعْتَقَدِ، هُوَ الَّذِي وَسِعَ الْقَلْبَ صُورَتَهُ. وَهُوَ الَّذِي  
يَتَجَلَّى لَهُ فَيَعْرِفُهُ. فَلَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا الْحَقَّ الْأَعْتِقَادِيَّ.  
وَلَا خَفَاءَ بِتَنَوُّعِ الْأَعْتِقَادَاتِ.

فَمَنْ قَيَّدَهُ أَنْكَرَهُ فِي غَيْرِ مَا قَيَّدَهُ بِهِ، وَأَقَرَّ بِهِ فِيمَا قَيَّدَهُ بِهِ، إِذَا تَجَلَّى.  
وَمَنْ أَطْلَقَهُ عَنِ التَّقْيِيدِ لَمْ يُنْكَرْهُ، وَأَقَرَّ لَهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ يَتَحَوَّلُ فِيهَا.  
وَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ قَدْرَ صُورَةٍ مَا تَجَلَّى لَهُ فِيهَا إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى، فَإِنَّ صُورَةَ  
التَّجَلَّى مَالَهَا نِهَآيَةً تَقِفُ عِنْدَهَا.

وَكَذَلِكَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ. مَا لَهُ غَايَةٌ فِي الْعَارِفِينَ تَقِفُ عَنْ دَهَائِلِ هُوَ الْعَارِفُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤] فَالْأَمْرُ لَا يَتَنَاهَى مِنَ الطَّرْفَيْنِ.

هَذَا إِذَا قُلْتَ: «حَقٌّ وَخَلْقٌ». فَإِذَا نَظَرْتَ فِي قَوْلِهِ: «كُنْتُ رَجُلَهُ الَّتِي يَسْأَلُنِي بِهَا، وَيَدَّ هِ الَّْتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوَى وَمَحَالِّهَا الَّتِي هِيَ الْأَعْضَاءُ، لَمْ تَفَرِّقْ. فَقُلْتُ: «الْأَمْرُ حَقٌّ كُلهُ، [٣٣ ظهر] أَوْ خَلْقٌ كُلهُ». فَهُوَ خَلْقٌ بِنِ سَبَبِهِ، وَهُوَ حَقٌّ بِنِ سَبَبِهِ. وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ. فَعَيْنُ صُورَةٍ مَاتَجَلَّى، عَيْنُ صُورَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ التَّجَلِّي. فَهُوَ الْمُتَجَلِّي وَالتَّجَلِّي لَهُ.

179

فَأَنْظُرْ مَا أَعْجَبَ أَمْرَ اللَّهِ! مِنْ حَيْثُ هُوِيَّتُهُ، وَمِنْ حَيْثُ نِسْبَتُهُ إِلَى الْعَالَمِ، فِي حَقَائِقِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.

[مَجْزُوءُ الْوَافِرِ]

- |                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| ١- فَمَنْ تَمَّ وَمَا تَمَّ    | وَعَيْنُ تَمَّ هُوَ تَمَّ   |
| ٢- فَمَنْ قَدْ عَمَّهُ خَصَّهُ | وَمَنْ قَدْ خَصَّهُ عَمَّهُ |
| ٣- فَمَا عَيْنُ سِوَى عَيْنٍ   | فَنُورُ عَيْنِهِ ظُلْمُهُ   |
| ٤- فَمَنْ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا  | يَجِدُ فِي نَفْسِهِ غَمَّهُ |
| ٥- وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَا  | سِوَى عَبْدٍ لَهُ هَمَّهُ   |

180

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧] لِيَتَقَلَّبَ فِي

أَنْوَاعِ الصُّوَرِ وَالصِّفَاتِ. وَلَمْ يَقُلْ لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ. فَإِنَّ الْعَقْلَ قَيْدٌ. فَيَحْصُرُ

الْأَمْرَ فِي نَعْتٍ وَاحِدٍ. وَالْحَقِيقَةُ تَأْبَى الْحَصَرَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.  
فَمَا هُوَ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْتِقَادَاتِ الَّذِينَ  
يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل  
عمران : ٢٢]، فَإِنَّ إِلَهَ الْمُعْتَقِدِ مَالَهُ حُكْمٌ فِي إِلَهِ الْمُعْتَقِدِ الْآخَرِ.  
فَصَاحِبُ الْأَعْتِقَادِ يَذُبُّ عَنْهُ، أَي: عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَعْتَقَدَهُ فِي إِلَهِهِ،  
وَيَنْصُرُهُ. وَذَلِكَ الَّذِي فِي أَعْتِقَادِهِ لَا يَنْصُرُهُ.  
فَلِ هَذَا لَا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي أَعْتِقَادِ الْمُنَازِعِ لَهُ، وَلَا الْمُنَازِعُ مَالَهُ نَصْرَةٌ مِنْ  
إِلَهِهِ الَّذِي فِي أَعْتِقَادِهِ فَ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران : ٢٢].  
فَنَفَى الْحَقُّ النَّصْرَةَ عَنْ إِلَهَةِ الْأَعْتِقَادَاتِ، عَلَى أَنْفِرَادِ كُلِّ مُعْتَقِدٍ  
عَلَى حَدِيثِهِ.

181

وَالْمَنْصُورُ الْمَجْمُوعُ، وَالنَّاصِرُ الْمَجْمُوعُ.  
فَالْحَقُّ عِنْدَ الْعَارِفِ هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَا يُنْكَرُ.  
فَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ.  
فَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].  
فَعَلِمَ تَقِ لَيْبُ الْحَقِّ فِي الصُّورِ، بِتَقْلِيلِهِ فِي الْأَشْكَالِ. فَمِنْ نَفْسِهِ عَرَفَ  
نَفْسَهُ.

وَلَيْسَتْ نَفْسُهُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْكَوْنِ [٣٤ وجه] مِمَّا هُوَ  
كَائِنٌ وَيَكُونُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْهَوِيَّةِ، فَهُوَ الْعَارِفُ وَالْعَا لِمِ

وَالْمَقْرُّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَهُوَ الَّذِي لَا عَارِفَ وَلَا عَالِمَ، وَهُوَ الْمُنْكَرُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْأُخْرَى.

هَذَا حَظٌّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ مِنَ التَّجَلِّيِّ وَالشُّهُودِ، فِي عَيْنِ الْجَمْعِ.  
فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]، يَتَنَوَّعُ فِي تَقْلِيلِهِ.

182  
وَأَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ، فَهُمْ الْمُقَلَّدَةُ الَّذِينَ قَلَّدُوا الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ الْحَقِّ، لَا مَنْ قَلَّدَ أَصْحَابَ الْأَفْكَارِ وَالْمُتَأَوِّلِينَ الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ، بِحَمْلِهَا عَلَى أَدِلَّتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَلَّدُوا الرُّسُلَ — صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ — هُمْ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوِ الْقَى السَّمْعُ﴾ [سورة ق: ٣٧]، لِمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى السَّنَةِ لَأَنْبِيَاءَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَهُوَ يَعْنِي هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ، شَهِيدٌ.  
يُنَبِّهُ عَلَى حَضَرَةِ الْخِيَالِ وَأَسْتِعْمَالِهَا.  
وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»  
وَاللَّهُ فِي قِبَلَةِ الْمُصَلِّي فَلِذَاكَ هُوَ شَهِيدٌ.

183  
وَمَنْ قَلَّدَ صَاحِبَ نَظَرٍ فِكْرِيٍّ وَتَقَيَّدَ بِهِ، فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ.  
فَإِنَّ هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا لِمَا ذَكَرْنَاهُ.  
وَمَتَى لَمْ يَكُنْ شَهِيدًا — لِمَا ذَكَرْنَاهُ — فَمَا هُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهِيَ

أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا لِلَّهِ فِيهِمْ : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾،  
[البقرة : ١٦٦].

وَالرُّسُلُ لَا يَنْتَبِرُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ.  
فَحَقَّقْ — يَا وَلِيٌّ — مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْقَلْبِيَّةِ.  
وَأَمَّا أَخْتِ صَاصُهَا بِشُعْ يَبٍ، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّشْعِيبِ أَيُّ: شُعْبُهَا لَا تَنْحَصِرُ؛  
لَأَنَّ كُلَّ اعْتِقَادٍ شُعْبَةٌ، فَهِيَ شُعْبٌ كُلُّهَا. أَعْنِي: الِاعْتِقَادَاتِ.  
فَإِذَا أُنْكَشَفَ الْغَطَاءُ، أُنْكَشَفَ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ مُعْتَقَدِهِ. وَقَدْ يَنْكَشِفُ  
بِخِلَافِ مُعْتَقَدِهِ فِي الْحُكْمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا  
يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة الزمر : ٤٧] فَأَكْثَرُهَا فِي الْحُكْمِ كَالْمَعِ تَزْلِيٍّ، يَعْتَقِدُ  
فِي اللَّهِ نَفُودَ الْوَعِيدِ فِي الْعَاصِي إِذَا مَاتَ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَإِذَا مَاتَ  
وَكَانَ مَرْحُومًا عِنْدَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ، وَجَدَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا، فَبَدَأَ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُهُ.

184

[٣٤ ظهر] وَأَمَّا فِي الْهُوِيَّةِ فَإِنَّ بَعْضَ الْعِبَادِ يَجْزِمُ فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ  
كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أُنْكَشَفَ الْغَطَاءُ، رَأَى صُورَةَ مُعْتَقَدِهِ، وَهِيَ حَقٌّ فَأَعْتَقَدَهَا،  
وَأَنْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ، فَزَالَ الِاعْتِقَادُ. وَعَادَ عِلْمًا بِالمُشَاهَدَةِ، وَبَعْدَ احْتِدَادِ  
الْبَصَرِ لَا يَرْجِعُ كَلِيلَ النَّظَرِ.

فَيَبْدُو وَلِبَعُضِ الْعَبِيدِ بِاخْتِلَافِ التَّجَلِّي فِي الصُّورِ عِنْدَ الرُّؤْيَا، لِأَنَّهُ لَا  
يَتَكَرَّرُ، فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ فِي الْهُوِيَّةِ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فِي هُوِيَّتِهِ ﴿مَا لَمْ

185

يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿ [سورة الزمر : ٤٧] فِيهَا قَبْلَ كَشْفِ الْغَطَاءِ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا صُورَةَ التَّرْقِي بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ فِي كِتَابِ

التَّجَلِّيَّاتِ لَنَا ، عِنْدَ ذِكْرِنَا مَنْ اجْتَمَعْنَا بِهِ مِنَ الطَّائِفَةِ فِي الْكَشْفِ ، وَمَا

أَفَدْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ .

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَمْرِ ، أَنَّهُ فِي التَّرْقِي دَائِمًا ، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ لِلطَّافَةِ

وَالْحِجَابِ وَرَقَّتْ هـ ، وَتَشَابَهَ الصُّورِ ، مِثْلَ قَوْلِهِ : ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة

: ٢٥] .

وَلَيْسَ هُوَ الْوَاحِدُ عَيْنَ الْآخِرِ ، فَإِنَّ الشَّبَّ يَهِينُ عِنْدَ الْعَارِفِ إِنَّهُ مَا

شَبَّيْهَانِ غَيْرَانِ .

186

وَصَاحِبُ التَّحْقِيقِ يَرَى الْكَثْرَةَ فِي الْوَاحِدِ . كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ مَدَّ لَوْلِ الْأَسْمَاءِ

الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ حَقَائِقُهَا وَكَثُرَتْ ، أَنَّهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ .

فَهَذِهِ كَثْرَةٌ مَعْقُولَةٌ ، فِي وَاحِدِ الْعَيْنِ ، فَتَكُونُ فِي التَّجَلِّي كَثْرَةٌ مَشْهُودَةٌ

فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ ،

كَمَا أَنَّ الْهَيُولَى تُؤْخَذُ فِي حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ ، مَعَ كَثْرَةِ الصُّورِ

وَأَخْتِلَافِهَا ، تَرْجِعُ — فِي الْحَقِيقَةِ — إِلَى جَوْهَرٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ هَيُولَاهَا .

187

«فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ» بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ ، «فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» . فَإِنَّهُ عَلَى

صُورَتِهِ خَلْقُهُ ، بَلْ هُوَ عَيْنُ هُوِيَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ .

وَلَهُ ذَا مَا عَثَرَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَحَقِيقَتِهَا ؛ إِلَّا إِلَهَ يُونَ



مِنَ الرُّسُلِ وَالصُّوْفِيَّةِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ النَّظَرِ، وَأَرْبَابُ الْفِكْرِ مِنَ الْقَدَمَاءِ، وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي كَلَامِهِمْ  
فِي النَّفْسِ وَمَاهِيَّتِهَا، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ عَثَرَ عَلَى حَقِيقَتِهَا. وَلَا يُعْطِيهَا النَّظَرُ  
الْفِكْرِيُّ أَبَدًا.

فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِهَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، فَقَدْ اسْتَسَمَنَ ذَا وَرَمَ،  
وَنَفَخَ فِي غَيْرِ ضَرِمٍ [٣٥ وجه] لَا جَرَمَ أَنََّّهُمْ مِنَ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف : ١٠٤]،  
فَمَنْ  
طَلَبَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، فَمَا ظَفَرَ بِتَحْقِيقِهِ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ الْعَالَمِ وَتَبَدُّلِهِ مَعَ الْأَنْفَاسِ فِي ﴿خَلَقَ  
جَدِيدًا﴾ [سورة ق : ١٥]. فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ بَلْ أَكْثَرَ  
الْعَالَمِ: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق : ١٥]. فَلَا يَعْرِفُونَ  
تَجْدِيدَ الْأَمْرِ مَعَ الْأَنْفَاسِ.

لَكِنْ قَدْ عَثَرْتُ عَلَى هِ الْأَشَاعِرَةِ فِي بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ وَهِيَ الْأَعْرَاضُ.  
وَعَثَرْتُ عَلَيْهِ الْحُسْبَانِيَّةُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَجَهَلَهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ بِأَجْمَعِهِمْ.  
وَلَكِنْ أَخْطَأَ الْفَرِيقَانِ:

أَمَّا خَطَاؤُ الْحُسْبَانِيَّةِ، فَبِ كَوْنِهِمْ مَاعَثَرُوا مَعَ قَوْلِهِمْ بِأَلْتَبُّ دَلِّ فِي الْعَالَمِ  
بِأَسْرِهِ

عَلَى أَحَدِيَّةِ عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَعْقُولِ، الَّذِي قَبْلَ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا

بِهَا، كَمَا لَا تُعْقَلُ إِلَّا بِهِ. فَلَوْ قَالُوا بِذَلِكَ فَارْزُوا بِدَرَجَةِ التَّحْقِيقِ فِي الْأَمْرِ.  
وَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ، فَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مَجْمُوعُ أَعْرَاضٍ، فَهُوَ يَتَبَدَّلُ  
فِي كُلِّ زَمَانٍ إِذِ الْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ.

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْحُدُودِ لِلْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا حَدُّوا الشَّيْءَ، يَبِينُ فِي  
حَدِّهِمْ كَوْنُ الْأَعْرَاضِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَعْرَاضَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِّهِ، عَيْنُ هَذَا  
الْجَوْهَرِ وَحَقِيقَتُهُ، الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ عَرَضٌ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.  
فَقَدْ جَاءَ مَنْ مَجِّمُوعٍ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، مَنْ يَقُومُ بِنَفْسِهِ كَمَا لَتَحِيزُ فِي حَدِّ  
الْجَوْهَرِ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ الذَّاتِي، وَقَبُولِهِ لِلْأَعْرَاضِ حَدُّ لَهُ ذَاتِي.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَبُولَ عَرَضٌ، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قَابِلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ  
بِنَفْسِهِ، وَهُوَ ذَاتِي الْجَوْهَرِ. وَالتَّحْيِيزُ عَرَضٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُتَحَيِّزٍ، فَلَا  
يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَيْسَ التَّحْيِيزُ وَالْقَبُولُ بِأَمْرٍ زَائِدٍ عَلَى عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَحْدُودِ، لِأَنَّ  
الْحُدُودَ الذَّاتِيَّةَ هِيَ عَيْنُ الْمَحْدُودِ وَهُوَئِلَآءِ.  
فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ، يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَزْمِنَةً. وَعَا دَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ،  
يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَا يَشْعُرُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ [٣٥ ظهر] وَهُوَ لَآ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ  
جَدِيدٍ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْكَشْفِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى فِي كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يَكُنْ رَرٌّ

التَّجَلِّي. وَيَرُونَ أَيْضًا شُهُودًا، أَنَّ كُلَّ تَجَلٍّ يُعْطِي خَلْقًا جَدِيدًا، وَيَذْهَبُ بِخَلْقٍ. فَذَهَابُهُ هُوَ الْفَنَاءُ عِنْدَ التَّجَلِّي، وَالْبَقَاءُ لِمَا يُعْطِيهِ التَّجَلِّي الْآخِرُ. فَافْهَمُ.

[١٣] ﴿فَصْ حِكْمَةَ مَلَكِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ لُوطِيَّةٍ﴾

190

الْمَلِكُ الشَّدَّةُ. وَالْمَلِكُ الشَّدِيدُ: يُقَالُ مَلَكْتُ الْعَجِينَ إِذَا شَدَدْتُ عَجْنَهُ.

قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ يَصِفُ طَعْنَهُ:

[الطويل]

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا  
أَي: شَدَدْتُ بِهَا كَفِّي، يَعْنِي: الطَّعْنَةُ.

فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَنْ لُوطٍ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾

[سورة هود : ٨٠] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي

لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ». فَنَبَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

كَانَ مَعَ اللَّهِ مِنْ كَوْنِهِ شَدِيدًا.

191

وَالَّذِي قَصَدَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَبِيلَةَ بِالرُّكْنِ الشَّدِيدِ، وَالْمُقَاوَمَةِ،

بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود : ٨٠]، وَهِيَ الْهِمَّةُ هُنَا مِنَ الْبَشَرِ

خَاصَّةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ» يَعْنِي: مِنْ

الزَّمَنِ الَّذِي قَالَ فِيهِ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوْءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود : ٨٠]، مَا بُعِثَ نَبِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ.

فَكَانَ يَحْمِيهِ قَبِيلُهُ، كَأَبِي طَالِبٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود : ٨٠]، لِكَ وَنَه عَلَي هِ السَّلَامُ سَمِعَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [سورة الروم : ٥٤]

بِالْأَصَالَةِ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [سورة الروم : ٥٤] فَعَرَضَتْ الْقُوَّةُ 192 بِالْجَعْلِ، فَهِيَ قُوَّةٌ عَرَضِيَّةٌ. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة الروم : ٥٤]، فَالْجَعْلُ تَعَلَّقَ بِالشَّيْبَةِ.

وَأَمَّا الضَّعْفُ فَهُوَ رُجُوعٌ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [سورة الروم : ٥٤]، فَرَدَّهُ [٣٦ وجه] لِمَا خَلَقَهُ مِنْهُ كَمَا قَالَ: ثُمَّ ﴿يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [سورة الحج : ٥] فَذَكَرَ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الضَّعْفِ الْأَوَّلِ، فَحُكْمُ الشَّيْخِ حُكْمُ الطِّفْلِ فِي الضَّعْفِ. وَمَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْأَرْبَعِينَ. وَهُوَ زَمَانُ أَخْذِهِ فِي النَّقْصِ وَالضَّعْفِ.

فَلِذَا قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود : ٨٠] مَعَ كَوْنِ ذَلِكَ يَطْلُبُ هِمَّةً مُؤَثَّرَةً.

فَإِنْ قُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْهِمَّةِ الْمُؤَثَّرَةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي السَّالِكِينَ مِنْ

الأتباع، فالرُّسُلُ أولىٰ بها؟

قُلْنَ أ: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ نَقَصَكَ عِلْمٌ آخَرُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَنْزُكُ لِلْهِمَّةِ  
تَصَرُّفًا، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَعْرِفَتُهُ، نَقَصَ تَصَرُّفُهُ بِالْهِمَّةِ. وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ: الْوَجْهُ  
الْوَاحِدُ لِتَحَقُّقِهِ بِمَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ، وَنَظَرِهِ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ الطَّبِيعِيِّ.  
وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَحَدِيَّةُ الْمُتَصَرِّفِ وَالْمُتَصَرَّفِ فِيهِ، فَلَا يُرَى عَلَى مَنْ  
يُرْسَلُ هِمَّتُهُ فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ.

193

وَفِي هَذَا الْمَشْهَدِ يَرَى أَنَّ الْمُنَازَعَ لَهُ مَا عَدَلَ عَنْ حَقِيقَتِهِ الَّتِي هُوَ  
عَلَيْهَا، فِي حَالِ ثُبُوتِ عَيْنِهِ، وَحَالِ عَدَمِهِ. فَمَا ظَهَرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا كَانَ  
لَهُ، فِي حَالِ الْعَدَمِ، فِي الثُّبُوتِ، فَمَا تَعَدَّى حَقِيقَتَهُ، وَلَا أَخْلَ بِطَرِيقَتِهِ.  
فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ نِزَاعًا، إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ عَرْضِيٌّ، أَظْهَرَهُ الْحِجَابُ. الَّذِي يَعْلَى  
أَعْيُنِ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ  
ظَاهِرًا مِنْ أَلْحِ يَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم : ٦-٧].  
وَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ ﴿قُلْ وَبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة البقرة : ٨٨]؛  
سورة النساء  
: [١٥٥]، أَي: فِي غِلَافٍ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي سَتَرَهُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ  
عَلَيْهِ.

فَهَذَا وَآمَنَالُهُ يَمْنَعُ الْعَارِفَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ.  
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ قَائِدٍ لِلشَّيْخِ أَبِي السُّعُودِ بْنِ الشَّيْبَلِ:  
«لَمْ لَا تَتَصَرَّفْ؟». فَقَالَ أَبُو السُّعُودِ: «تَرَكْتُ الْحَقَّ يَتَصَرَّفُ لِي، كَمَا

194

يَشَاءُ»، يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى أَمْرًا: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة الم زمل : ٩]، فَالَوْ  
كَيْ لُ  
هُوَ الْمُتَصَرِّفُ.

وَلَا سِيَّ مَّا، وَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ يَقُولُ: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾  
[سورة الحديد : ٧]، فَعَلِمَ أَبُو السُّعُودِ [٣٦ ظهر] وَالْعَارِفُونَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي  
بِيَدِهِ لَيْسَ لَهُ، وَأَنَّهُ مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ: «هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي  
أَسْتَخْلَفْتُكَ فِيهِ وَمَلَكَتُكَ إِيَّاهُ. أَجْعَلْنِي وَأَتَّخِذْنِي وَكِيلًا» فِيهِ.

فَأُمْتَثَلَ أَبُو السُّعُودِ أَمْرَ اللَّهِ، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة الم زمل : ٩].  
فَكَيْفَ بَقِيَ لِمَنْ يَشْهَدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ، هِمَّةٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا . وَالْهِمَّةُ لَا تَفْعُلُ  
إِلَّا بِالْجَمْعِيَّةِ الَّتِي لَا مُتَّسَعَ لِصَاحِبِهَا إِلَى غَيْرِ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ.  
وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تُفَرِّقُهُ عَنْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ، فَيَظْهَرُ الْعَارِفُ التَّامُّ الْمَعْرِفَةَ  
بِغَايَةِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ.

قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ لِلْشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْ لِلشَّيْخِ أَبِي  
مَدِينٍ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ: «يَا أَبَا مَدِينٍ! لِمَ لَا يَعْتَاصُ عَلَيْنَا شَيْءٌ، وَأَنْتَ  
تَعْتَاصُ عَلَيْكَ الْأَشْيَاءُ؟ وَنَحْنُ نَرْغَبُ فِي مَقَامِكَ، وَأَنْتَ لَا تَرْغَبُ فِي  
مَقَامِنَا؟»

وكَذَلِكَ كَانَ مَعَ كَوْنِ أَبِي مَدِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْمَقَامُ  
وغيره، وَنَحْنُ أَتَمُّ فِي مَقَامِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ مِنْهُ، وَمَعَ هَذَا قَالَ لَهُ هَذَا  
الْبَدَلُ مَا قَال. وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ أَيْضًا.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ: ﴿مَا  
أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الأحقاف: ٩].

فَالرَّسُولُ بِحُكْمِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ بِهِ، مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالتَّصَرُّفِ بِجَزْمٍ تَصَرَّفَ. وَإِنْ مُنِعَ أَمْتَنَعَ. وَإِنْ خُيِّرَ  
أَخْتَارَ تَرَكَ التَّصَرُّفَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاقِصَ الْمَعْرِفَةِ.

قَالَ أَبُو السُّعُودِ لِأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي التَّصَرُّفَ مِنْ ذِي  
خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَتَرَكَنَاهُ تَطَرُّفًا». هَذَا لِسَانُ إِدْلَالٍ.

وَأَمَّا نَحْنُ فَمَا تَرَكَنَاهُ تَطَرُّفًا. وَهُوَ تَرَكَهُ إِيثَارًا. وَإِنَّمَا تَرَكَنَاهُ لِكَمَالِ

الْمَعْرِفَةِ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَقْتَضِيهِ بِحُكْمِ الِاخْتِيَارِ. فَمَتَى تَصَرَّفَ الْعَارِفُ  
بِالْهِمَّةِ فِي الْعَالَمِ، فَعَنْ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، وَجَبَرِ لَا بِاخْتِيَارٍ. وَلَا نَشْكُ أَنَّ مَقَامَ  
الرِّسَالَةِ يَطْلُبُ التَّصَرُّفَ لِقَبُولِ الرِّسَالَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، فَيُظْهِرُ عَلَيَّ هِ  
مَا يَصْدَقُّهُ

عِنْدَ أُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ، لِيُظْهِرَ دِينَ اللَّهِ.

وَالْوَلِيُّ لَيْسَ كَذَلِكَ. وَمَعَ هَذَا فَلَا يَطْلُبُهُ الرَّسُولُ فِي الظَّاهِرِ، لِأَنَّ

لِلرَّسُولِ الشَّفَقَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُبَالِغَ فِي ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَى هِمِّ،  
[٣٧]

وَجِهَ] فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكَهُمْ: فَيُبْقِي عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ عَلِمَ الرَّسُولُ أَيْضًا، أَنَّ الْأَمْرَ الْمُعْجَزَ إِذَا ظَهَرَ لِلْجَمَاعَةِ، مِنْهُمْ: مَنْ

يُؤْمِنُ عِنْدَ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْرِفُهُ وَيَجْحَدُهُ. وَلَا يُظْهِرُ التَّصَدِيقَ بِهِ ظُلْمًا

وَعُلُوا وَحَسَدًا. وَمِنْهُمْ: مَنْ يُلْحِقُ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ وَالْإِيهَامِ.

فَلَمْ أَرَ الرُّسُلَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ أَنَارَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ،  
وَمَتَى لَمْ يَنْظُرِ الشَّخْصُ بِذَلِكَ النُّورِ الْمُسَمَّى إِيْمَانًا، وَإِلَّا فَلَا يَنْفَعُ فِي حَقِّهِ  
الْأَمْرُ الْمُعْجِزُ. فَقَ صُرْتُ إِلَيْهِمْ عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ الْمُعْجِزَةِ، لَمَّا لَمْ يَعْمِ أَتَرُهَا  
فِي النَّاطِرِينَ، وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ.

كَمَا قَالَ فِي حَقِّ أَكْمَلِ الرُّسُلِ، وَأَعْلَمِ الْخَلْقِ وَأَصْدَقِهِمْ فِي الْحَالِ:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة القصص: 197]

[٥٦].

وَلَوْ كَانَ لِلَّهِ أَثَرٌ وَلَا بُدَّ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْمَلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَعْلَى وَأَقْوَى هِمَّةً مِنْهُ، وَمَا أَثَرْتُ فِي إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ عَمَّهُ،  
وَفِيهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الرَّسُولِ إِنَّهُ مَا عَلَيْهِ إِلَّا  
الْبَلَاغُ، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 177].

[٢٧٢].

وَزَادَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦]،  
أَيْ: بِالَّذِينَ أَعْطَاهُ الْعِلْمَ بِهِ دَايِمَتِهِمْ فِي حَالِ عَدَمِهِمْ بِأَعْيَانِهِمُ الثَّابِتَةِ. فَاتَّبَعْتُ  
أَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ. فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فِي ثُبُوتِ عَيْنِهِ، وَحَالِ عَدَمِهِ، ظَهَرَ  
بِتِلْكَ الصُّورَةِ فِي حَالِ وُجُودِهِ. وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ، أَنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ.  
فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦]. فَلَمَّا قَالَ مِثْلَ



هَذَا، قَالَ أَيْضًا: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [سورة ق : ٢٩] لِأَنَّ قَوْلِي عَلَى حَدِّ

عِلْمِي فِي خَلْقِي: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق : ٢٩]، أَيْ: مَا قَدَرْتُ

عَلَيْهِمْ الْكُفْرَ الَّذِي يَبْشُرُ قِيَهُمْ، ثُمَّ طَلَبْتُ هُمْ بِمَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِمْ، أَنْ يَأْتُوا بِهِ .

مَا عَامَلْنَا هُمْ إِلَّا بِحَسَبِ مَا عَلَّمْنَا هُمْ، وَمَا عَلَّمْنَا هُمْ إِلَّا بِمَا أَعْطَوْنَا مِنْ نَفْسِهِمْ .

مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ ظُلْمٌ، فَهُمْ الظَّالِمُونَ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٠] فَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ.

كَذَلِكَ مَا قُلْنَا لَهُمْ إِلَّا مَا أَعْطَيْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُمْ، وَذَاتِنَا مَعْلُومَةٌ لَنَا بِمَا

هِيَ عَلَيْهِ، مِنْ أَنْ نَقُولَ كَذَا، وَلَا نَقُولَ كَذَا. [٣٧ ظهر] فَمَا قُلْنَا إِلَّا مَا عَلَّمْنَا

أَنْ نَقُولَ. فَلَمَّا الْقَوْلُ مِنَّا. وَلَهُمُ الْمَثَلُ وَعَدَمُ الْمَثَلِ، مَعَ السَّمَاعِ مِنْهُمْ.

[الْجَنَّتْ]

- |                                 |                               |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ١- فَالْكُلُّ مِنَّا وَمِنْهُمْ | وَالْأَخْذُ عَنَّا وَعَنْهُمْ |
| ٢- إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا   | فَنَحْنُ لَا شَكَّ مِنْهُمْ   |

فَتَحَقَّقْ — يَا وَلِيٌّ — هَذِهِ الْحِكْمَةُ الْمَلَائِكِيَّةُ مِنَ الْكَلِمَةِ اللُّطِيفَةِ، فَإِنَّهُ

لِبَابِ الْمَعْرِفَةِ.

[مَجْزُوءُ الْوَافِرِ]

- |                                  |                              |
|----------------------------------|------------------------------|
| ١- فَقَدْ بَانَ لَكَ السِّرُّ    | وَقَدْ أَتَّصَحَّ الْأَمْرُ  |
| ٢- وَقَدْ أُدْرِجَ فِي الشَّفْعِ | الَّذِي قِيلَ هُوَ الْوَتْرُ |

[١٤] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ قَدْرِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ عَزِيزِيَّةٍ﴾

أَعْلَمَ أَنَّ الْقَضَاءَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَحُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى حَدِّ عِلْمِهِ بِهَا وَفِيهَا، وَعِلْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا أَعْطَتْهُ الْمَعْلُومَاتُ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهَا.

وَالْقَدَرُ تَوْقِيتٌ مَا هِيَ عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا، مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ.

فَمَا حَكَمَ الْقَضَاءُ عَلَى الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِهَا.

وَهَذَا هُوَ عَيْنُ سِرِّ الْقَدَرِ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق: ٣٧]، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩].

فَالْحَاكِمُ فِي التَّحْقِيقِ تَابِعٌ لِعَيْنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا، بِمَا تَقْتَضِيهِ ذَاتُهَا.

فَالْحُكْمُ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِيهِ، حَاكِمٌ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.

فَكُلُّ حَاكِمٍ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ بِمَا حَكَمَ بِهِ وَفِيهِ. كَانَ الْحَاكِمُ مَنْ كَانَ.

200

فَتَحَقَّقْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ الْقَدَرَ مَا جَهِلَ إِلَّا لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ. فَلَمْ يُعْرِفْ.

وَكَثُرَ فِيهِ الطَّلَبُ وَالْإِلْحَاحُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ رُسُلٌ، لَا مِنْ حَيْثُ

هُمْ أَوْلِيَاءُ وَعَارِفُونَ، عَلَى مَرَاتِبَ مَا هِيَ عَلَيْهِ أُمَمٌ هُمْ، فَمَاعِنْ دَهُمٍ مِنَ الْعِلْمِ

الَّذِي أُرْسِلُوا بِهِ إِلَّا قَدَرٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أُمَّةٌ ذَلِكَ الرُّسُولِ، لَا زَائِدٌ وَلَا نَاقِصٌ.

وَالْأُمَمُ مُتَقَاضِلَةٌ، يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَتَتَفَاضَلُ الرُّسُلُ فِي عِلْمِ

الْإِرْسَالِ بِتَفَاضُلِ أُمَمِهَا. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ ﴿[سورة البقرة : ٢٥٣].

كَمَا هُمْ أَيْضًا فِيمَا يَرْجِعُ إِلَىٰ ذَوَاتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْعُلُومِ  
وَالْأَحْكَامِ الْإِلَهِيَّةِ مُتَفَاضِلُونَ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ. وَهُوَ قَوْلُهُ [٣٨ وجه]

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء : ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ الْخَلْقِ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي

الرِّزْقِ﴾ [سورة النحل: ٧٨]. وَالرِّزْقُ مِنْهُ مَا هُوَ رُوحَانِيٌّ كَالْعُلُومِ، وَجَسِّيٌّ

201

كَالْأَغْذِيَّةِ، وَمَا يُنَزِّلُهُ الْحَقُّ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ الْأَسْتِحْقَاقُ الَّذِي يَطْلُبُهُ  
الْخَلْقُ.

فَإِنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه : ٥٠]، فَيُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ.

وَمَا يَشَاءُ إِلَّا مَا عِلِمَ فَحَكَمَ بِهِ. وَمَا عِلِمَ كَمَا قُلْنَا هُ إِلَّا بِمَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ.

فَا لَتَوَقَّيْتُ فِي الْأَصْلِ لِلْمَعْلُومِ. وَالْقَضَاءُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْمَشِيئَةُ، تَبَعُ

لِلْقَدَرِ.

فَسِرُّ الْقَدَرِ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ. وَمَا يُفَهِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَّا لِمَنْ أُخْتَصَّ

بِالْمَعْرِفَةِ النَّامَةِ.

فَا لِعِلْمٍ بِهِ يُعْطَىٰ الرَّاحَةُ الْكُلِّيَّةُ لِلْعَالَمِ بِهِ. وَيُعْطَىٰ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ لِلْعَالَمِ

بِهِ أَيْضًا. فَهُوَ يُعْطَىٰ النَّقِيزَيْنِ.

وَبِهِ وَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَبِهِ تَقَابَلَتِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ.

فَحَقِيقَةُ تَحْكُمُ فِي الْمَوْجُودِ الْمُطْلَقِ وَالْمَوْجُودِ الْمُقَيَّدِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ

يَكُونُ شَيْءٌ أَتَمَّ مِنْهَا، وَلَا أَقْوَى، وَلَا أَعْظَمَ، لِعُمْ وَمِ حُكْمِهَا، الْمُتَعَدِّي وَغَيْرُ  
الْمُتَعَدِّي.

وَلَمَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَأْخُذُ عُلُومَهَا إِلَّا مِنَ  
الْوَحْيِ الْخَاصِّ الْإِلَهِيِّ، فَقُلُوبُهُمْ سَادَجَةٌ مِنَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ لِعِلْمِهِمْ بِقُصُورِ  
الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ نَظَرُهُ الْفِكْرِيُّ، عَنْ إدْرَاكِ الْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَى يَدَيْهِ، وَالْإِخْبَارِ  
أَيْضًا يَقْصُرُ عَنْ إدْرَاكِ مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالدُّوْقِ. فَلَمْ يَبْقَ الْعِلْمُ الْكَامِلُ إِلَّا فِي  
التَّجَلِّي الْإِلَهِيِّ. وَمَا يَكْشِفُ الْحَقُّ عَنْ أَعْيُنِ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ مِنَ  
الْأَغْطِيَةِ، فَتُدْرِكُ الْأُمُورَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، وَعَدَمَهَا وَوُجُودَهَا، وَمُحَالَهَا  
وَوَاجِبَهَا وَجَائِزَهَا، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي حَقَائِقِهَا وَأَعْيَانِهَا.

فَلَمَّا كَانَ مَطْلَبُ الْعُزَيْرِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ، لِذَلِكَ وَقَعَ الْعَتَبُ عَلَيْهِ،  
كَمَا أوردَ فِي الْخَبَرِ. فَلَوْ طَلَبَ  
الْكَشْفَ  
الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، رُبَّمَا مَا كَانَ يَقَعُ عَلَيْهِ

عَتَبٌ فِي ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى سَدَاجَةِ قَلْبِهِ، قَوْلُهُ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ: ﴿أَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ أَلَلَّهُ  
بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة : ٢٥٩].

وَأَمَّا عِنْدَنَا فِصُورَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ هَذَا، كَصُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : ﴿أَرِنِي  
كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠]، وَيَقْتَضِي ذَلِكَ الْجَوَابَ [٣٨ ظهر]  
بِالْفِعْلِ الَّذِي أَظْهَرَهُ الْحَقُّ فِيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾  
[سورة البقرة : ٢٥٩]، فَقَالَ لَهُ: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا

لَحْمًا ﴿[سورة البقرة : ٢٥٩]، فَعَايِنَ كَيْفَ تُنَبِّتُ الْأَجْسَامُ، مَعَ آيَةِ تَحْقِيقِ،  
فَأَرَاهُ

الْكَيْفِيَّةِ.

فَسَأَلَ عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْكَشْفِ لِلْأَشْيَاءِ فِي حَالِ ثُبُوتِهَا  
فِي عَدَمِهَا، فَمَا أُعْطِيَ ذَلِكَ. فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيِّ.  
فَمِنْ الْمَحَالِ أَنْ يَعْلَمَهُ إِلَّا هُوَ. فَإِنَّهَا الْمَفَاتِحُ الْأُولَى، أَعْنِي:  
مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. وَقَدْ يُطْلَعُ اللَّهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ  
عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهَا لَا تُسَمَّى مَفَاتِحُ إِلَّا فِي حَالِ الْفَتْحِ. وَحَالُ الْفَتْحِ هُوَ حَالُ  
تَعَلُّقِ التَّكْوِينِ بِالْأَشْيَاءِ. أَوْ قُلْ إِنَّ شَيْئًا: حَالُ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالْمَقْدُورِ. وَلَا  
ذَوْقَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

فَلَا يَقَعُ فِيهَا تَجَلٍّ وَلَا كَشْفٌ. إِذْ لَا قُدْرَةَ وَلَا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ خَاصَّةً. إِذْ لَهُ  
الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي لَا يَتَّقِي.

فَلَمَّا رَأَيْنَا عَتَبَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُؤَالِهِ فِي الْقَدْرِ، عَلِمْنَا أَنَّ  
طَلَبَ هَذَا الْإِلَهِيِّ. فَطَلَبَ أَنْ تَكُونَ لَهُ قُدْرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَقْدُورِ، وَمَا يَكُونُ خِصِي  
ذَلِكَ الْأَمْرُ لَهُ، لِلْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ.

فَطَلَبَ مَا لَا يُمْكِنُ وَجُودُهُ فِي الْخَلْقِ ذَوْقًا. فَإِنَّ الْكَيْفِيَّ أَتَى لَا تُدْرِكُ إِلَّا  
بِالْأَذْوَاقِ.

وَأَمَّا مَا رَوَيْنَاهُ، مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْنَا: لَيْسَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَمْحُورٍ أَسْمَكَ مِنْ

دِيَوَانِ النَّبُوءَةِ، أَيُّ: أَرْفَعُ عَنْكَ طَرِيقَ الْخَبْرِ، وَأُعْطِيكَ الْأُمُورَ عَلَى التَّجَلِّي.  
 وَالتَّجَلِّي لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْأُسْتِعْدَادِ الَّذِي بِهِ يَقَعُ الْإِدْرَاكُ  
 الذَّوْقِيُّ، فَتَعْلَمُ أَنَّكَ مَا أَدْرَكْتَ إِلَّا بِحَسَبِ أَسْتِ عَدَاكِ، فَتَنْظُرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ  
 الَّذِي طَلَبْتَ، فَإِذَا لَمْ تَرَهُ، تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ الْأُسْتِعْدَادُ الَّذِي تَطْلُبُهُ.  
 وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ  
 شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، وَلَمْ يُعْطِكَ هَذَا الْأُسْتِعْدَادَ الْخَاصَّ، فَمَا هُوَ  
 خَلْقُكَ، وَلَوْ كَانَ خَلْقُكَ. لِأَعْطَاكَ الْحَقُّ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ  
 خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، فَتَكُونُ أَنْتَ الَّذِي تَنْتَ هِيَ عَنْ مِثْلِ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ  
 نَفْسِكَ، لَا تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى نَهْيٍ إِلَهِيٍّ. [٣٩ وجه] وَهَذَا عِنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ بِأَعْزِزِ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ. عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ عِلْمُهُ. وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ.

205

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْوِلَايَةَ هِيَ الْفَلَكَ الْمُحِيطُ الْعَامُّ، وَلِهَذَا لَمْ تَنْقَطِعْ، وَلَهَا  
 الْإِنْبَاءُ الْعَامُّ.

وَأَمَّا نُبُوءَةُ التَّشْرِيعِ، وَالرِّسَالَةُ فَمِنْ نَقْطَعَةٍ. وَفِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ. يَعْنِي: مُشَرَّعًا أَوْ مُشَرَّعًا لَهُ. وَلَا رَسُولَ، وَهُوَ  
 الْمُشَرَّرُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ فَصَمَ ظُهُورَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَخَصَّنُ انْقِطَاعَ ذَوْقِ  
 الْعِبَادَةِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ. فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَسْمُهَا الْخَاصُّ بِهَا.

فَإِنَّ الْعَبْدَ يُرِيدُ أَلَّا يُشَارِكَ سَيِّدُهُ — وَهُوَ اللَّهُ — فِي أَسْمٍ. وَاللَّهُ لَمْ

يَتَسَمَّى بِنَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ.

وَتَسَمَّى بِ«الْوَلِيِّ». وَاتَّصَفَ بِهَذَا الْأَسْمِ. فَقَالَ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

آمَنُوا﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨]، وَقَالَ: ﴿هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى : ٢٨].

وَهَذَا الْأَسْمُ بَاقٍ جَارٍ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، دُنِيَ آ وَآخِرَةً. فَلَمْ يَبْقَ أَسْمٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْعَبْدُ دُونَ الْحَقِّ بِانْقِطَاعِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِعِبَادِهِ، فَأَبْقَى لَهُمُ النُّبُوَّةَ الْعَامَّةَ، الَّتِي لَا تَشْرِيعَ فِيهَا،

وَأَبْقَى لَهُمُ التَّشْرِيعَ فِي الْحُجَّةِ أَدْرَ فِي ثُبُوتِ الْأَحْكَامِ، وَأَبْقَى لَهُمُ الْوَرَاثَةَ فِي

التَّشْرِيعِ، فَقَالَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ». وَمَا تَمَّ مِيرَاثُ فِي ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا

206

اجْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَشَرَعُوهُ.

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ خَارِجٍ عَنِ التَّشْرِيعِ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ وَلِيُّ

وَعَارِفٌ.

وَلَهُ ذَا، مَقَامُهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَا لِمٌ، أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَسُولٌ، أَوْ ذُو

تَشْرِيعٍ وَشَرْعٍ.

فَإِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ، أَوْ يُنْقَلُ إِلَيْكَ عَنْهُ، أَنَّهُ

قَالَ: «الْوِلَايَةُ أَعْلَى مِنَ النُّبُوَّةِ». فَلَيْسَ يُرِيدُ ذَلِكَ الْقَائِلُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ.

أَوْ يَقُولُ: «إِنَّ الْوَلِيَّ فَوْقَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ».

فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَهُوَ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ

حَيْثُ هُوَ وَلِيُّ، أَتَمُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَبِيُّ رَسُولٌ. لَا أَنَّ الْوَلِيَّ التَّابِعَ لَهُ أَعْلَى مِنْهُ،

فَإِنَّ التَّابِعَ لَا يُدْرِكُ الْمَتَّبِعَ أَبَدًا فِيمَا هُوَ تَابِعٌ لَهُ فِيهِ، إِذْ لَوْ أَدْرَكَهُ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا. فَافْهَمُ.

فَمَرْجِعُ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ الْمَشْرِعُ إِلَى الْوَلَايَةِ وَالْعِلْمِ.  
 أَلَا تَرَى اللَّهُ [٣٩ ظهر] قَدْ أَمَرَهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ لَا مِنْ غَيْرِهِ.  
 فَقَالَ لَهُ أَمِيرًا: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].  
 وَذَلِكَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّرْعَ تَكْلِيفٌ بِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ  
 أَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ، وَمَحَلُّهَا هَذِهِ الدَّارُ. فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ.  
 وَالْوَلَايَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، إِذْ لَوْ انْقَطَعَتْ، لَانْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ كَمَا  
 انْقَطَعَتْ الرِّسَالَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ. وَإِذَا انْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ، لَمْ يَبْقَ لَهَا  
 أَسْمٌ.

وَالْوَلِيُّ أَسْمٌ بَاقٍ لِلَّهِ. فَهُوَ لِعَبِيدِهِ تَخَلُّقًا وَتَحَقُّقًا وَتَعَلُّقًا.  
 فَقَوْلُهُ لِلْعُزَيْرِ: لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ عَنِ السُّؤَالِ عَنْ مَا هِيَ الْقَدَرُ لِأَمْحُورٍ  
 أَسْمَكَ مِنْ دِيْوَانِ النُّبُوَّةِ، فَيَأْتِيكَ الْأَمْرُ عَلَى الْكَشْفِ بِأَلْتِ جَلِّي، وَيَزُولُ عَنْكَ  
 أَسْمُ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَتَبْقَى لَهُ وَلَايَتُهُ.

إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا دَلَّتْ قَرِينَتُهُ الْحَالِ، أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ جَرَى مَجْرَى  
 الْوَعِيدِ، عَلِمَ مَنْ اقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْحَالَةُ مَعَ الْخِطَابِ، أَنَّهُ وَعِيدٌ بِأَنْقِطَاعِ  
 خُصُوصِ بَعْضِ مَرَاتِبِ الْوَلَايَةِ، فِي هَذِهِ الدَّارِ.  
 إِذْ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ خُصُوصُ رُتْبَةٍ، فِي الْوَلَايَةِ، عَلَى بَعْضِ مَا تَحْوِي



عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ مِنَ الْمَرَاتِبِ.

فَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَعْلَىٰ مِنَ الْوَلِيِّ الَّذِي لَا نُبُوَّةَ تَشْرِيعٍ عِنْدَهُ وَلَا رِسَالَةَ.

وَمَنْ أَقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ حَالَهُ أُخْرَىٰ، تَقْتَضِيهَا أَيْضًا مَرْتَبَةُ النُّبُوَّةِ، يَثْبُتُ عِنْدَهُ

أَنَّ هَذَا وَعْدًا لَا وَعِيدٌ. فَإِنَّ سَوْأَهُ عَلَىٰ يَه السَّلَامُ مَقْبُولٌ إِذْ النَّبِيُّ هُوَ الْوَلِيُّ

الْخَاصُّ.

209

وَيُعْرِفُ بِقَرِينَةِ الْحَالِ، أَنَّ النَّبِيَّ — مِنْ حَيْثُ لَهُ فِي الْوَلَايَةِ هَذَا

الْاِخْتِصَاصِ — مُحَالٌ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَىٰ مَا يَعْ لَمْ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُ مِنْ هَ، أَوْ يُقَدِّمَ

عَلَىٰ مَا يَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ مُحَالٌ.

فَإِذَا أَقْتَرَنَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ عِنْدَ مَنْ أَقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ، وَتَقَرَّرَتْ، أَخْرَجَ

هَذَا الْخِطَابَ الْإِلَهِيَّ — عِنْدَهُ فِي قَوْلِهِ: لَأَمْحُنَّ أَسْمَكَ مِنْ دِيوَانِ

النُّبُوَّةِ — مَخْرَجَ الْوَعْدِ. وَصَارَ خَبْرًا يَدُلُّ عَلَىٰ عُلُوِّ مَرْتَبَةِ بَاقِيَةٍ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ

الْبَاقِيَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَحَلٍّ لِشَرْعٍ يَكُونُ

عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقٍ، فِي جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا.

وَأِنَّمَا قَيَّدْنَاهُ بِالدُّخُولِ فِي الدَّارَيْنِ: الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَمَّا شَرَعَ [٤٠ وجه]

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَصْحَابِ الْفَتَرَاتِ وَالْأَطْفَالِ الصِّغَارِ وَالْمَجَانِينِ، فَيُحْشَرُ

هَؤُلَاءِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَالْمُؤَاخَذَةِ بِالْجَرِيمَةِ، وَالثَّوَابِ

الْعَمَلِيِّ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.

فَإِذَا حُشِرُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، بِمَعْزَلٍ عَنِ النَّاسِ، بُعِثَ فِيهِمْ نَبِيُّ مَنْ

أَفْضَلِهِمْ. وَتُمَثِّلُ لَهُمْ نَارٌ يَأْتِي بِهَا هَذَا النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.  
فَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا رَسُولُ الْحَقِّ إِلَيْكُمْ. فَيَقَعُ عِنْدَهُمُ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَيَقَعُ  
التَّكْذِيبُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ.

وَيَقُولُ لَهُمْ أَقْتَحِمُوا هَذِهِ النَّارَ بِأَنْفُسِكُمْ، فَمَنْ أَطَاعَنِي نَجَا، وَدَخَلَ  
الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي، وَخَالَفَ أَمْرِي، هَلَكَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.  
فَمَنْ أُمْتَتَلَ أَمْرُهُ مِنْهُمْ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا، سَعِدَ وَنَالَ الثَّوَابَ الْعَمَلِيِّ.  
وَوَجَدَ تِلْكَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا. وَمَنْ عَصَاهُ أَسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، فَدَخَلَ النَّارَ  
وَنَزَلَ فِيهَا بِعَمَلِهِ الْمُخَالَفِ، لِيَقُومَ الْعَدْلُ مِنَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة القلم : ٤٢]، أَيُّ: أَمْرٍ  
عَظِيمٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السَّجُودِ﴾ [سورة القلم : ٤٢] فَهَذَا  
تَكْ لِي فُ وَتَشْ رِيعُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَطِيعُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ  
اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى أَلْسِ جُودٍ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم : ٤٢]،  
كَمَا لَمْ

يَسْتَطِيعُ فِي الدُّنْيَا — أُمْتَتَلَ أَمْرُ اللَّهِ — بَعْضُ الْعِبَادِ، كَأَبِي جَهْلٍ  
وغيره.

فَهَذَا قَدْرُ مَا يَبْقَى مِنَ الشَّرْعِ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ  
وَالنَّارِ. فَلِهَذَا قَيَّدْنَاهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

[١٥] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ نَبَوِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ عَيْسَوِيَّةٍ﴾

[البسيط]

١- عَنْ مَاءِ مَرْيَمَ أَوْ عَنْ نَفْخِ جِبْرِينَ

فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الْمَوْجُودِ مِنْ طِينِ

٢- تَكُونُ الرُّوحُ فِي ذَاتِ مُطَهَّرَةٍ

مِنَ الطَّبِيعَةِ تَدْعُوهَا بِسَجِّينَ

٣- لِأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ

فِيهَا فَزَادَ عَلَى أَلْفٍ بِتَغْيِينِ

213

٤- رُوحٌ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ فَلِذَا

أَحْيَا الْمَوَاتَ وَأَنْشَأَ الطَّيْرَ مِنْ طِينِ

٥- حَتَّى يَصِحَّ لَهُ مِنْ رَبِّهِ نَسَبٌ

بِهِ يَوْثُرُ فِي الْعَالِي وَفِي الدُّونِ

٦- اللَّهُ طَهَّرَهُ جِسْمًا وَنَزَّهَهُ

رُوحًا وَصَيَّرَهُ مَثَلًا بِتَكْوِينِ

[٤٠ ظهر] أَعْلَمَ أَنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْأَرْوَاحِ أَنَّهَا لَا تَطَأُ شَيْئًا إِلَّا حَيَّيَ ذَلِكَ

214

الشَّيْءُ وَسَرَتْ الْحَيَاةُ فِيهِ، وَلِهَذَا قَبَضَ السَّامِرِيُّ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ،

الَّذِي هُوَ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الرُّوحُ. وَكَانَ السَّامِرِيُّ عَالِمًا بِهَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا

عَرَفَ أَنَّهُ جِبْرِيلُ، عَرَفَ أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ سَرَتْ فِيمَا وَطِيءَ عَلَيْهِ، فَقَبِضَ

قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ — بِا لَصَادِ أَوْ بِا لَضَادِ — أَي: عَلَى يَدِهِ أَوْ بِأَطْرَافِ

أَصَابِعِهِ، فَنَبَذَهَا فِي الْعَجَلِ فَخَارَ الْعَجَلُ، إِذْ صَوْتُ الْبَقَرِ إِنَّمَا هُوَ خَوَارٌ، وَلَوْ

أَقَامَهُ صُورَةً أُخْرَى لِنُسِبِ إِلَيْهِ أَسْمُ الصَّوْتِ الَّذِي لَتِلْكَ الصُّورَةُ، كَالرُّغَاءِ  
لِلإِبِلِ، وَالثُّوَجِ لِلْكَبَاشِ، وَالْيُعَارِ لِلشَّيَاهِ، وَالصَّوْتِ لِلْإِنْسَانِ، أَوْ النُّطْقِ، أَوْ  
الْكَلَامِ.

فَذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْحَيَاةِ السَّارِيَةِ فِي الْأَشْيَاءِ يُسَمَّى: «لَاهُوتًا».  
و«النَّاسُوتُ»: هُوَ الْمَحَلُّ الْقَائِمُ بِهِ ذَلِكَ الرُّوحُ. فَسُمِّيَ النَّاسُوتَ رُوحًا بِمِ  
قَامَ بِهِ.

215

فَلَمَّا تَمَثَّلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ الَّذِي هُوَ جِبْرِئِيلُ لِمَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَشَرًا  
سَوِيًّا، تَخَيَّلَتْ أَنَّهُ بَشَرٌ يُرِيدُ مَوَاقَعَتَهُ، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْهُ أَسْتَعَاذَةً بِجَمِيعَةِ  
مِنْهَا، لِيُخَلِّصَهَا اللَّهُ مِنْهُ لِمَا تَعَلَّمَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ، فَحَصَلَ لَهَا  
حُضُورًا تَامًا مَعَ اللَّهِ وَهُوَ الرُّوحُ الْمَعْنَوِيُّ.

فَلَوْ نَفَخَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ — عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ — لَخَرَجَ عِيسَى لَا  
يُطِيقُهُ أَحَدٌ لِشَكَاةِ خُلُقِهِ لِحَالِ أُمِّهِ.

فَلَمَّا قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [سورة مريم : ١٩] جِئْتُ ﴿لِأَهَبَ  
لَكَ غُلَمًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم : ١٩] أَنْبَسَطَتْ عَنْ ذَلِكَ الْقَبْضِ وَأَنْشَرَخَ  
صَدْرُهَا فَانْفَخَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ عِيسَى.

فَكَانَ جِبْرِئِيلُ نَاقِلًا كَلِمَةَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ كَمَا يَنْقُلُ الرَّسُولُ كَلَامَ اللَّهِ  
لَأُمَّتِهِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء : ١٧١].

216

فَسَرَتْ الشَّهْوَةَ فِي مَرْيَمَ، فَخُلِقَ جِسْمُ عِيسَى مِنْ مَاءٍ مُحَقَّقٍ مِنْ مَرْيَمَ،  
وَمِنْ مَاءٍ مُتَوَهَّمٍ مِنْ جِبْرِئِيلُ، سَرَى فِي رُطُوبَةِ ذَلِكَ النَّفْخِ؛ لِأَنَّ النَّفْخَ مِنْ  
الجِسْمِ الْحَيَوَانِيِّ رَطْبٌ لِمَا فِيهِ مِنْ رُكْنِ الْمَاءِ.

فَتَكُونُ جِسْمُ عِيسَى مِنْ مَاءٍ مُتَوَهَّمٍ، وَمَاءٍ مُحَقَّقٍ، وَخَرَجَ عَلَى صُورَةِ  
البَشَرِ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ، وَمِنْ أَجْلِ تَمَثُّلِ جِبْرِئِيلَ فِي صُورَةِ البَشَرِ حَتَّى لَا يَقَعَ  
التَّكْوِينُ فِي هَذَا النَّوعِ [٤١ وجه] الْإِنْسَانِي إِلَّا عَلَى الْحُكْمِ الْمُعْتَادِ.  
فَخَرَجَ عِيسَى يُحْيِي الْمَوْتَى، لِأَنَّهُ رُوحٌ إِلَهِيٌّ، وَكَانَ الْإِحْيَاءُ لِلَّهِ وَالنَّفْخُ  
لِعِيسَى، كَمَا كَانَ النَّفْخُ لِجِبْرِئِيلَ وَالْكَلِمَةُ لِلَّهِ.

وَكَانَ إِحْيَاءُ عِيسَى لِلْأَمْوَاتِ إِحْيَاءً مَحَقَّقًا، مِنْ حَيْثُ مَا ظَهَرَ عَنْ نَفْسِهِ،  
كَمَا ظَهَرَ هُوَ عَنْ صُورَةِ أُمِّهِ، وَكَانَ إِحْيَاءً وَهُوَ أَيْضًا مُتَوَهَّمًا، أَنَّهُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا كَانَ  
لِلَّهِ. فَجَمَعَ لِحَقِيقَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا — كَمَا قُلْنَا — أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ  
مُتَوَهَّمٍ وَمَاءٍ مُحَقَّقٍ، يُنسَبُ إِلَيْهِ الْأَحْيَاءُ بِطَرِيقِ التَّحَقُّقِ، مِنْ وَجْهِهِ. وَبِطَرِيقِ  
التَّوَهُّمِ مِنْ وَجْهِهِ.

فَقِيلَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ التَّحَقُّقِ: «وَتُحْيِي الْمَوْتَى». وَقِيلَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ

217

التَّوَهُّمِ: «فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ» [اقتبَسَ اسْمُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ :  
[٤٩].

فَالْعَامِلُ فِي الْمَجْرُورِ يَكُونُ: «لَا تَنْفُخُ»، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ:

«يَنْفُخُ». فَيَكُونُ طَائِرًا مِنْ حَيْثُ صُورَتُهُ الْجِسْمِيَّةُ الْحِسِّيَّةُ.

وَكَذَلِكَ تُبْرَى الْأَكْمَةُ وَالْأَبْرَصُ [اقتباس من سورة المائدة : ١١٠] وَجَمِيعُ

مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَإِلَى ﴿إِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩].

وَإِذْنُ الْكِنَايَةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة : ١١٠]، وَ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾  
[سورة آل عمران : ٤٩]. فَإِذَا تَعَلَّقَ الْمَجْرُورُ بِتَنْفِخٍ فَيَكُونُ النَّافِعُ مَادُونًا لَهُ  
فِي

النَّفْخِ، وَيَكُونُ الطَّائِرُ عَنِ النَّافِعِ خِ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩].  
وَإِذَا كَانَ

النَّافِعُ نَافِعًا لَا عَنْ الْإِذْنِ، فَيَكُونُ التَّكْوِينُ لِلطَّائِرِ طَائِرًا ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾  
[سورة

آل عمران : ٤٩]. فَيَكُونُ الْعَامِلُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿يَكُونُ﴾ [سورة آل عمران : ٤٧]،

فَلَوْلَا أَنَّ فِي الْأَمْرِ تَوْهُمًا، أَوْ تَحَقُّقًا، مَا قَبِلْتُ هَذِهِ الصُّورَةَ هَذَيْنِ

الْوَجْهَيْنِ، بَلْ لَهَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ، لِأَنَّ النِّشْأَةَ الْعَيْسَوِيَّةَ تُعْطِي ذَلِكَ.

وَخَرَجَ عَيْسَى مِنَ التَّوَّاضُعِ إِلَى أَنْ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ أَنْ ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ

عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة : ٢٩]، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا لَطَمَ فِي خَدِّهِ  
وَضَعَ

الْخَدَّ الْآخَرَ لِمَنْ لَطَمَهُ، وَلَا يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلَا يَطْلُبُ الْقِصَاصَ مِنْهُ. هَذَا لَهُ <sup>218</sup>

مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ، إِذْ الْمَرَأَةُ لَهَا السُّفْلُ. فَلَهَا التَّوَّاضُعُ لِأَنَّهَا تَحْتَ الرَّجُلِ حُكْمًا <sup>219</sup>

وَجِسًّا.

وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ الْإِحْيَاءِ وَالْإِبْرَاءِ فَمِنْ جِهَةِ نَفْخِ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ

الْبَشَرِ، فَكَانَ عَيْسَى يُحْيِي الْمَوْتَى بِصُورَةِ الْبَشَرِ.

وَلَوْ لَمْ يَأْتِ جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ، وَأَتَى فِي صُورَةٍ غَيْرِهَا مِنْ صُورِ

الْأَكْوَانِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنْ حَيَوَانٍ، أَوْ نَبَاتٍ، أَوْ جَمَادٍ، لَكَانَ عِيسَى لَا يُحْيِي  
الْمَوْتَى إِلَّا حَتَّى يَتَلَبَّسَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ [٤١ ظهر] وَيَظْهَرُ فِيهَا.

وَلَوْ أَتَى جِبْرِيلُ بِصُورَتِهِ النُّورِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعُنَاصِرِ وَالْأَرْكَانِ، إِذْ  
لَا يَخْرُجُ عَنْ طَبِيعَتِهِ، لَكَانَ عِيسَى لَا يُحْيِي الْمَوْتَى، إِلَّا حَتَّى يَظْهَرَ فِي تِلْكَ  
الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ النُّورِيَّةِ لَا الْعُنْصُرِيَّةِ مَعَ الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ،  
فَكَانَ يُقَالُ فِيهِ عِنْدَ إِحْيَائِهِ الْمَوْتَى: «هُوَ لَا هُوَ».

وَتَقَعُ الْحَايَةُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ، كَمَا أَوْقَعَتْ فِي الْعَاقِلِ عِنْدَ النَّظَرِ الْفِكْرِي، إِذْ  
رَأَى شَخْصًا بَشَرِيًّا مِنَ الْبَشَرِ، يُحْيِي الْمَوْتَى، وَهُوَ مِنَ الْخَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ،  
إِحْيَاءُ النُّطْقِ لَا إِحْيَاءُ الْحَيَوَانِ، بَقِيَ النَّظَرُ حَائِرًا، إِذْ يَرَى الصُّورَةَ بَشَرًا  
بِالْآثَرِ الْإِلَهِيِّ.

فَأَدَّى بَعْضُهُمْ فِيهِ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ. وَأَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، بِمَا أَحْيَا بِهِ مِنَ  
الْمَوْتَى، وَلِذَلِكَ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرِ وَهُوَ السَّتْرُ؛ لِأَنَّهُمْ سَتَرُوا اللَّهَ الَّذِي أَحْيَا  
الْمَوْتَى بِصُورَةِ بَشَرَةِ عِيسَى.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة  
المائدة: ١٧]، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْخَطَا وَالْكَفْرِ — فِي تَمَامِ الْكَلَامِ كُلِّهِ —

لِأَنَّهُ لَا يَقُولُهُمْ: «هُوَ اللَّهُ». وَلَا يَقُولُهُمْ: «ابْنُ مَرْيَمَ».

فَعَدَلُوا بِالتَّضْمِينِ مِنَ اللَّهِ، مِنْ حَيْثُ أَحْيَا الْمَوْتَى، إِلَى الصُّورَةِ  
النَّاسُوتِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، يَقُولُهُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ ابْنُ مَرْيَمَ بِلَا شَكٍّ.

فَتَخَيَّلَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْأُلُوهَةَ لِلصُّورَةِ، وَجَعَلُوا عَيْنَ الصُّورَةِ. وَمَا  
فَعَلُوا، بَلْ جَعَلُوا الْهُوِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ أَبْتِدَاءً فِي صُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ، هِيَ ابْنُ مَرْيَمَ،  
فَفَصَّلُوا بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْحُكْمِ.

لَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّورَةَ عَيْنَ الْحُكْمِ.

كَمَا كَانَ جِبْرِئِيلُ. فِي صُورَةِ الْبَشَرِ وَلَانْفَخَ، ثُمَّ نَفَخَ، فَفَصَّلَ بَيْنَ الصُّورَةِ  
وَالنَّفَخِ وَكَانَ النَّفَخُ مِنَ الصُّورَةِ فَقَدْ كَانَتْ وَلَانْفَخَ.  
فَمَا هُوَ النَّفَخُ مِنْ حَدِّهَا الذَّاتِيِّ؟

فَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ فِي عَيْسَى، مَا هُوَ؟

فَمِنْ نَازِلٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ صُورَتُهُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ، فَيَقُولُ: هُوَ ابْنُ مَرْيَمَ.  
وَمِنْ نَازِلٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ الْمُثَلَّةُ الْبَشَرِيَّةُ، فَيَنْسِبُهُ لِجِبْرِئِيلَ.

وَمِنْ نَازِلٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ مَاظَهَرَ عَنْهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى [٤٢ وجه] فِي نَسَبِهِ <sup>222</sup>

إِلَى اللَّهِ بِالرُّوحِيَّةِ، فَيَقُولُ: رُوحُ اللَّهِ، أَي: بِهِ ظَهَرَتِ الْحَيَاةُ فِي مَنْ نَفَخَ

فِيهِ، فَتَارَةً يَكُونُ الْحَقُّ فِيهِ مُتَوَهِّمًا — أَسْمُ مَفْعُولٍ — وَتَارَةً يَكُونُ الْمَلَكُ

فِيهِ مُتَوَهِّمًا، وَتَارَةً تَكُونُ الْبَشَرِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِيهِ مُتَوَهِّمَةً.

فَيَكُونُ عِنْدَ كُلِّ نَازِلٍ، بِحَسَبِ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ. فَهُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَهُوَ رُوحُ

اللَّهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ.

وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الصُّورَةِ الْحَسِّيَّةِ لِغَيْرِهِ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ مَنَسُوبٍ إِلَى أَبِي هـ

الصُّورِيِّ، لَا إِلَى النَّافِخِ رُوحَهُ فِي الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ.



فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا سَوَّى الْجِسْمَ الْإِنْسَانِي كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحج ر: ٢٩] نَفَخَ فِيهِ هُوَ تَعَالَى مِنْ رُوحِهِ.

فَنَسَبَ الرُّوحَ فِي كَوْنِهِ وَعَيْنِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَعَيْسَى لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ أُنْذِرَتْ تَسْوِيَةُ جِسْمِهِ وَصُورَتِهِ الْبَشَرِيَّةَ بِالنَّفْخِ الرُّوحِيِّ، وَغَيْرُهُ — كَمَا ذَكَرْتَاهُ — لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ.

فَالْمَوْجُودَاتِ كُلُّهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ، الَّتِي لَا تَتَفَدُّ، فَإِنَّهَا عَنْ ﴿كُنْ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧]، وَ«كُنْ» كَلِمَةُ اللَّهِ.

فَهَلْ تُنْسَبُ الْكَلِمَةُ إِلَيْهِ، بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا تُعَلِّمُ مَا هِيَ تَعْلَمُ؟ أَوْ يَنْزِلُ هُوَ تَعَالَى إِلَى صُورَةٍ مَنْ يَقُولُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧]؟ قَوْلُ ﴿كُنْ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧] حَقِيقَةٌ لِكَا الصُّورَةِ الَّتِي نَزَلَ إِلَيْهَا، وَظَهَرَ فِيهَا؟

فَبَعْضُ الْعَارِفِينَ يَذْهَبُ إِلَى الطَّرَفِ الْوَاحِدِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ، وَبَعْضُهُمْ يَحَارُ فِي الْأَمْرِ وَلَا يَدْرِي.

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعْرَفَ إِلَّا ذَوْقًا، كَأَبِي يَزِيدَ حِينَ نَفَخَ فِي

النَّمْلَةِ، الَّتِي قَتَلَهَا فَحَيَّيْتُ، فَعَلِمَ عِنْدَ ذَلِكَ، بِمَنْ نَفَخَ فِيهَا. فَكَانَ عَيْسَى يَتُ، فَخُ، وَبِي.

المشهد. 224

وَأَمَّا الْإِحْيَاءُ الْمُعْنَوِيُّ بِالْعِلْمِ، فَتِلْكَ الْحَيَاةُ الْإِلَهِيَّةُ الدَّائِمَةُ الْعَلِيَّةُ

النُّورِيَّةُ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَنْحَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي

بِهِ فِي النَّاسِ ﴿ [سورة الأنعام : ١٢٢] فَكُلَّ مَنْ أَحْيَىٰ نَفْسًا مَيِّتَةً، بِحَيَاةٍ عِلْمِيَّةٍ،  
فِي مَسْأَلَةٍ خَاصَّةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِالْعِلْمِ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَحْيَىٰ أَهْلُهَا، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَمْشِي  
بِهِ فِي النَّاسِ، أَي: بَيْنَ أَشْكَالِهِ فِي الصُّورَةِ.

[مَجْزُوءُ الْوَافِر]

١- فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَانَا لَمَا كَانَ الَّذِي كَانَا

[٤٢ ظهر]

- |                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ٢- فَإِنَّا أَعْبَدُ حَقًّا     | وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا  |
| ٣- وَإِنَّا عَيْنُهُ فَأَعْلَمُ | إِذَا مَا قُلْتَ إِنْسَانًا |
| ٤- فَلَا تُحْجِبْ بِإِنْسَانٍ   | فَقَدْ أَعْطَاكَ بُرْهَانًا |
| ٥- فَكُنْ حَقًّا وَكُنْ خَلْقًا | تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا |
| ٦- وَغَدَّ خَلْقُهُ مِنْهُ      | تَكُنْ رُوحًا وَرَيْحَانًا  |
| ٧- فَأَعْطَيْنَاهُ مَا يَبْدُو  | بِهِ فِينَا وَأَعْطَانَا    |
| ٨- فَصَارَ الْأَمْرُ مَقْسُومًا | بِأَيَّاهُ وَإِيَّانَا      |
| ٩- فَأَحْيَاهُ الَّذِي يَدْرِي  | بِقَلْبِي حِينَ أَحْيَانَا  |
| ١٠- فَكُنَّا فِيهِ أَكْوَانًا   | وَأَعْيَانًا وَأَزْمَانًا   |
| ١١- وَلَيْسَ بِدَائِمٍ فِينَا   | وَلَكِنْ ذَاكَ أَحْيَانًا   |

225

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَمْرِ النَّفْخِ الرُّوحَانِيِّ مَعَ صُورَةِ الْبَشَرِ

الْعُنْصَرِيُّ هُوَ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّفْسِ الرَّحْمَانِيِّ، وَلَابَدَّ لِكُلِّ

مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ أَنْ يَتَبَعَ الصِّفَةَ جَمِيعًا مَا تَسْتَلْزِمُهُ تِلْكَ الصِّفَةُ، وَقَدْ عَرَفْتَ  
أَنَّ

النَّفْسَ فِي الْمُنْتَفَسِ مَا يَسْتَلْزِمُهُ. فَلِذَلِكَ قَبْلَ النَّفْسِ الْإِلَهِيِّ صُورَ

226

الْعَالَمِ، فَهُوَ لَهَا كَالْجَوْهَرِ الْهَيُولَانِيِّ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الطَّبِيعَةِ.

فَالْعَنَاصِرُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ، وَمَا فَوْقَ الْعَنَاصِرِ وَمَاتَوْلَدَ عَنْهَا،  
فَهُوَ أَيْضًا مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ  
السَّبْعِ.

وَأَمَّا أَرْوَاحُ السَّمَوَاتِ وَأَعْيَ أَنْهَا، فَهِيَ عُصْرِيَّةٌ، فَإِنَّهَا مِنْ دُخَانِ الْعَنَاصِرِ  
الْمُتَوَلَّدِ عَنْهَا.

وَمَا تَكُونُ عَنْ كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ مِنْهَا، فَهُمْ عُصْرُيُونَ  
وَمَنْ فَوْقَهُمْ طَبِيعِيُّونَ. وَلِهَذَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْأَخْتِصَامِ أَعْنِي: الْمَلَأَ  
الْأَعْلَى، لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَقَابِلَةٌ.

227

وَالْتَقَابُلُ الَّذِي فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي هِيَ النَّسَبُ، إِنَّمَا أَعْطَاهُ  
النَّفْسُ.

أَلَا تَرَى الذَّاتَ الْخَارِجَةَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ [٤٣ وجه] كَيْفَ جَاءَ فِيهَا  
الْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ؟

فَلِهَذَا خَرَجَ الْعَالَمُ عَلَى صُورَةٍ مَنْ أَوْجَدَهُمْ، وَلَيْسَ إِلَّا النَّفْسُ  
الْإِلَهِيَّةُ.

فَبِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلا، وَبِمَا فِيهِ مِنَ الْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ سَفَلَ، وَبِمَا  
فِيهِ مِنَ الْيُبُوسَةِ ثَبَتَ، وَلَمْ يَتَزَلَّزَلْ. فَالرُّسُوبُ لِلْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ. أَلَا تَرَى  
الطَّبِيبَ إِذَا أَرَادَ سَقَى دَوَاءً لِأَحَدٍ، يَنْظُرُ فِي قَارُورَةِ مَائِهِ، فَإِذَا رَأَاهُ رَسَبَ،  
عَلِمَ أَنَّ النُّضْجَ قَدْ كَمَلَ، فَيَسْقِيهِ الدَّوَاءَ، لِيُسْرِعَ فِي النُّجْحِ. وَإِنَّمَا يَرُسِبُ

228

لِرُطُوبَتِهِ، وَبُرُودَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ الْإِنْسَانِيَّ، عَجَنَ طِينَتَهُ بِبِيَدَيْهِ وَهُمْ أَمْتَقَابِلَتَانِ، وَإِنْ كَانَتْ كِلَتَا يَدَيْهِ يَمِينًا، فَلَا خَفَاءَ بِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَوْنَهُمَا أَثْنَتَيْنِ؛ أَعْنِي: يَدَيْنِ.

لَأَنَّهُ لَا يُؤَثَّرُ فِي الطَّبِيعَةِ إِلَّا مَا يُنَاسِبُهَا، وَهِيَ مُتَقَابِلَةٌ، فَجَاءَ بِالْيَدَيْنِ، وَلَمَّا أَوْجَدَهُ بِالْيَدَيْنِ، سَمَّاهُ بَشَرًا، لِلْمُبَاشَرَةِ اللَّائِقَةِ بِذَلِكَ الْجَنَابِ، بِأَلْيَدَيْنِ الْمُضَافَتَيْنِ إِلَيْهِ.

وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ عِنَايَتِهِ بِهَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ. فَقَالَ لِمَنْ أَبِي عَنِ السُّجُودِ لَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ﴾ [سورة ص : ٧٥] عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ، يَعْنِي عُضْرِيًّا، ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [سورة ص : ٧٥]، عَنِ الْعُنْصُرِ، وَلَسْتَ كَذَلِكَ؛ وَيَعْنِي بِالْعَالِينَ: مَنْ عَلَا بِذَاتِهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي نَشَاتِهِ النُّورِيَّةِ عُضْرِيًّا، وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا.

229

فَمَا فَضَلَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْعُنْصُرِيَّةِ إِلَّا بِكَ وَنَهْ بَشَرًا أَمِنْ طِينٍ، فَهُوَ أَفْضَلُ نَوْعٍ مِنْ كُلِّ مَا خُلِقَ مِنَ الْعُنَاصِرِ مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ. فَالْإِنْسَانُ فِي الرُّتْبَةِ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَالسَّمَائِيَّةِ؛ وَالْمَلَائِكَةُ الْعَالُونَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ، بِالنَّصِّ الْإِلَهِيِّ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ الْإِلَهِيَّةَ فَلْيَعْرِفْ الْعَالَمَ.

فَإِنَّهُ «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ؛ أَيِ: الْعَالَمُ ظَهَرَ فِي

نَفْسِ الرَّحْمَنِ الَّذِي نَفَسَ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ، مَا تَجَدُّهُ مِنْ

عَدَمِ ظُهُورِ أَثَارِهَا، بِظُهُورِ أَثَارِهَا. فَأَمْتَنَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا أَوْجَدَهُ فِي نَفْسِهِ.

فَأَوَّلُ أَثَرٍ كَانَ لِلنَّفْسِ [٤٣ ظهر] إِنَّمَ أَكَا نَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ

الْأَمْرُ يَنْزِلُ بِتَنْفِيسِ الْغُومِ إِلَى آخِرِ مَا وَجِدَ. [مَجْزُوءُ الرَّجَزِ]

- |                                    |                                   |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| ١- فَالْكُلُّ فِي عَيْنِ النَّفْسِ | كَا لَصُوءٍ فِي ذَاتِ الْغَلَسِ   |
| ٢- وَالْعِلْمُ بِالْبُرْهَانِ فِي  | سَلَخِ النَّهَارِ لِمَنْ نَعَسَ   |
| ٣- فَيَرَى الَّذِي قَدْ قُلَّتُهُ  | رُويًا تَدُلُّ عَلَى النَّفْسِ    |
| ٤- فَيُريحُهُ مِنْ كُلِّ غَمٍّ     | فِي تِلَاوَتِهِ عَبَسَ            |
| ٥- وَلَقَدْ تَجَلَّى لِلَّذِي      | قَدْ جَاءَ فِي طَلَبِ الْقَبَسِ   |
| ٦- فَرَأَهُ نَارًا وَهُوَ نُورٌ    | رُ فِي الْمُلُوكِ وَفِي الْعَسَسِ |
| ٧- فَإِذَا فَهَمْتَ مَقَاتِي       | تَعْلَمُ بِأَنَّكَ مُبْتَيَسٌ     |

٨- لَوْ كَانَ يَطْلُبُ غَيْرَ ذَا لَرَأَهُ فِيهِ وَمَا نَكَسَ

وَأَمَّا هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَيْسَوِيَّةُ لَمْ أَقَامْ لَهَا الْحَقُّ فِي مَقَامِ ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾

[سورة مح مد : ٣١]. وَنَعْلَمُ، أَسْتَفْهَمَ هَا عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهَا، هَلْ هُوَ حَقٌّ أَمْ لَا؟

مَعَ عِلْمِهِ الْأَوَّلِ بِهِلَ وَقَعَ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَمْ لَا؟

فَقَالَ لَهُ : ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة

المائدة : ١١٦].

فَلَا بُدَّ فِي الْأَدَبِ مِنَ الْجَوَابِ لِلْمُسْتَفْهَمِ.

لَأَنَّهُ لَمَّا تَجَلَّى لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ

الْجَوَابَ فِي التَّفْرِيقَةِ بَعَيْنِ الْجَمْعِ.

﴿قَالَ﴾ — وَقَدَّمَ التَّنْزِيَهَ — ﴿سُبْحُكَ﴾ [سورة المائدة : ١١٦]. فَحَدَّ  
بِالْكَافِ الَّتِي تَقْتَضِي الْمُوَاجَهَةَ وَالْخِطَابَ.

﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ [سورة المائدة : ١١٦] مِنْ حَيْثُ أَنَا لِنَفْسِي دُونَكَ، ﴿أَنْ  
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [سورة المائدة : ١١٦]، أَيُّ: مَا تَقْتَضِيهِ هُوِيَّتِي، وَلَا  
ذَاتِي.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] لِأَنَّكَ أَنْتَ الْقَائِلُ. وَمَنْ  
قَالَ أَمْرًا فَقَدْ عَلِمَ مَا قَال، وَأَنْتَ اللِّسَانُ الَّذِي تَكَلِّمُ بِهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ فَقَالَ: «كُنْتُ لِسَانَهُ  
الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ» فَجَعَلَ هُوِيَّتَهُ عَيْنَ لِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ، وَنَسَبَ الْكَلَامَ إِلَى  
عَبْدِهِ.

233

ثُمَّ تَمَّ الْعَبْدُ الصَّ الْحُ الْجَوَابَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ [سورة المائدة  
: ١١٦]. وَالتَّكَلَّمَ الْحَقُّ.

﴿وَلَا أَعْلَمُ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] مَا فِي هَا فَنَفَى الْعِلْمَ عَنْ هُوِيَّةِ عِيسَى مِنْ  
حَيْثُ هُوِيَّتُهُ لَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ قَائِلٌ وَذُو أَثَرٍ.

[٤٤ وجه] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ [المائدة : ١١٦] فَجَاءَ بِأَلْفَصٍ لِلْعِمَادِ، تَأْكِيدًا  
لِلْبَيَانِ وَأَعْتِمَادًا عَلَيْهِ، إِذْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ.  
وَفَرَّقَ وَجَمَعَ، وَوَحَّدَ وَكَثَّرَ، وَوَسَّعَ وَضَيَّقَ.

ثُمَّ قَالَ مُتَمِّمًا لِلْجَوَابِ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [سورة المائدة

234

[١١٧]:،، فنَفَى أَوَّلًا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ مَا هُوَ ثُمَّ. ثُمَّ أَوْجَبَ الْقَوْلَ أَدْبًا مَعَ

الْمُسْتَفْهِمِ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَلِكَ، لَأَتَّصَفَ بِعَدَمِ عِلْمِ الْحَقَائِقِ، وَحَاشَاهُ مِنْ

ذَلِكَ، فَقَالَ ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] وَأَنْتَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى

لِسَانِي، وَأَنْتَ لِسَانِي.

فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ التَّنْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، مَا أَلْطَفَهَا وَمَا أَدَقَّهَا.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]. فَجَاءَ بِالْأَسْمِ ﴿اللَّهُ﴾ لِاخْتِلَافِ

الْعُبَّادِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَأَخْتَلَفَ الشَّرَائِعِ. لَمْ يَخُصَّ اسْمٌ آخَصًا دُونَ اسْمِ،

بَلْ جَاءَ بِالْأَسْمِ الْجَامِعِ لِلْكُلِّ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى

235

مَوْجُودٍ مَا بِالرُّبُوبِيَّةِ، لَيْسَتْ عَيْنَ نِسْبَتِهِ إِلَى مَوْجُودٍ آخَرَ، فَلِذَلِكَ فَصَلَ

بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]، بِالْكِنَايَتَيْنِ : كِنَايَةُ الْمُتَكَلِّمِ،  
وَكِنَايَةُ

الْمُخَاطَبِ.

﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] فَأَثْبَتَ نَفْسَهُ مَأْمُورًا، وَلَيْسَتْ

سِوَى عِبُودِيَّتِهِ، إِذْ لَا يُؤْمَرُ إِلَّا مَنْ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الْأُمْتِتَالُ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ.

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَنْزِلُ بِحُكْمِ الْمَرَاتِبِ، لِذَلِكَ يَنْصَبُ كُلُّ مَنْ ظَهَرَ فِي

مَرْتَبَةٍ مَا، بِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، فَمَرْتَبَةُ الْمَأْمُورِ، لَهَا حُكْمٌ يَظْهَرُ

فِي كُلِّ مَأْمُورٍ، وَمَرْتَبَةُ الْأَمْرِ، لَهَا حُكْمٌ يَبْدُو فِي كُلِّ أَمْرٍ.

فَيَقُولُ الْحَقُّ ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة : ٤٣]، فَهُوَ الْأَمْرُ وَالْمُكَلَّفُ

وَالْمَ أُمُورُ. وَيَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف : ١٥١]، فَهُوَ الْأَمْرُ، وَالْحَقُّ

الْمَأْمُورُ. فَمَا يَطْلُبُ الْحَقُّ مِنَ الْعَبْدِ بِأَمْرِهِ هُوَ بِعَيْنِهِ يَطْلُبُ الْعَبْدُ مِنَ

236

الْحَقِّ بِأَمْرِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ دُعَاءٍ مُجَابًا.

وَلَا بُدَّ، وَإِنْ تَأَخَّرَ، كَمَا يَتَأَخَّرُ بَعْضُ الْمُكَلَّفِينَ، مِمَّنْ أُقِيمَ مُخَاطَبًا

بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، فَلَا يُصَلِّي فِيهِ فَيُؤَخَّرُ الْأَمْتِتَا لَ، وَيُصَلِّي فِيهِ وَقْتُ  
وَقْتُ، آخِرَ،

إِنْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِجَابَةِ وَلَوْ بِالْقَصْدِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]. وَلَمْ يَقُلْ: عَلَى نَفْسِي

مَعَهُمْ [٤٤ ظهر] كَمَا قَالَ: ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]، ﴿شَهِيدًا

مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ شُهَدَاءٌ عَلَى أُمَّهِمْ مَا دَامُوا

فِيهِمْ.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [سورة المائدة : ١١٧] أَيْ: رَفَعْتَنِي إِلَيَّ كَ وَحَجَبْتَهُمْ عَنِّي

وَحَجَبْتَنِي عَنْهُمْ ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] فِي غَيْرِ

مَا دَتِي، بَلْ فِي مَوَادِّهِمْ.

إِذْ كُنْتَ بَصَرَهُمُ الَّذِي يَقْتَضِي الْمُرَاقَبَةَ. فَشُهُودُ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ، شُهُودُ

237

الْحَقِّ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ بِا لَأَسْمَ : «الرَّقِيبُ بُ»، لِأَنَّهُ جَعَلَ الشُّهُودَ لَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْصَلَ  
لَ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ، لِكُونِهِ عَبْدًا، وَأَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْحَقُّ، لِكُونِهِ رَبًّا



لَهُ، فَجَاءَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ شَهِيدٌ، وَفِي الْحَقِّ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ.

وَقَدَّمَهُمْ فِي حَقِّ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة

المائدة : ١١٧] إِيثَارًا لَهُمْ فِي التَّقَدُّمِ، وَأَدَبًا، وَأَخَّرَهُمْ فِي جَانِبِ الْحَقِّ عَنِ

الْحَقِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] لِمَا يَسْتَحَقُّهُ الرَّبُّ مِنْ

التَّقَدُّمِ بِالرُّبُوبَةِ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ لِلْحَقِّ الرَّقِيبِ الْأَسْمَ الَّذِي جَعَلَهُ عِيسَى لِنَفْسِهِ، وَهُوَ:

«الشَّهِيدُ» فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [سورة المائدة : ١١٧]. فَقَالَ: ﴿وَأَنْتَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة : ١١٧] فَجَاءَ بِـ﴿كُلِّ﴾ لِلْعُمُومِ،

وَبِـ﴿شَيْءٍ﴾ لِكَوْنِهِ أَنْكَرَ النَّكَرَاتِ، وَجَاءَ بِالْأَسْمِ: «الشَّهِيدُ»، فَهُوَ الشَّهِيدُ

عَلَى كُلِّ مَشْهُودٍ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ.

فَذَبَّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الشَّهِي دُ عَلَى قَوْمِ عِيسَى، حِينَ قَالَ: ﴿وَكُنْتُ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]، فَهِيَ شَهَادَةُ الْحَقِّ فِي مَادَّةِ

عِيسَوِيَّةٍ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ لِسَانُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ.

238

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً عِيسَوِيَّةً وَمُحَمَّدِيَّةً: أَمَّا كَوْنُهَا عِيسَوِيَّةً: فَإِنَّهَا قَوْلُ عِيسَى

بِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ. وَأَمَّا كَوْنُهَا مُحَمَّ دِيَّةً: فَلِمَوْقِعِهَا مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ تَمْنُهُ، فَقَامَ بِهَا لَيْلَةً كَامِلَةً، يُرَدِّدُهَا، لَمْ يَعْ دِلْ

إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿سورة المائدة : ١١٨﴾.

و«هُمْ» ضَمِيرُ الْغَائِبِ، كَمَا أَنَّ «هُوَ» ضَمِيرُ الْغَائِبِ كَمَا قَالَ: ﴿هُمْ  
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الفت ح: ٢٥] بِضَمِيرِ الْغَائِبِ، فَكَانَ الْغَيْبُ سِتْرًا لَهُمْ  
عَمَّا يُرَادُ بِالْمَشْهُودِ الْحَاضِرِ، فَقَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٨].  
بِضَمِيرِ الْغَائِبِ.

وَهُوَ عَيْنُ الْحَبَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ.

فَذَكَّرَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ حُضُورِهِمْ، حَتَّى إِذَا حَضَرُوا تَكُونُ الْخَمِيرَةُ قَدْ  
تَحَكَّمَتْ فِي الْعَجِينَ، فَصَيَّرَتْهُ مِثْلَهَا. 239

[٥٤ وجه] ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [سورة المائدة : ١١٨].

فَأَفْرَدَ الْخِطَابَ لِلتَّوْحِيدِ، الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا ذِلَّةَ أَعْظَمَ مِنْ ذِلَّةِ الْعَبِيدِ.

لأنَّهُمْ لَا تَصَرَّفَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ بِحُكْمِ مَا يُرِيدُهُ بِهِمْ سَيِّدُهُمْ،

وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِمْ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿عِبَادُكَ﴾ [سورة المائدة : ١١٨]. فَأَفْرَدَ.

وَالْمُرَادُ بِالْعَذَابِ: إِذْلَالُهُمْ، وَلَا أَذَلَّ مِنْهُمْ لِكَوْنِهِمْ عِبَادًا، فَذَوَاتِهِمْ

تَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَذِلَّاءُ، فَلَا تُذَلُّ لَهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تُذَلُّهُمْ بِأَدْوَنَ مِمَّا هُمْ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِمْ

عَبِيدًا. ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٨] أَيُّ: تَسْتُرُهُمْ عَنْ إِيقَاعِ

الْعَذَابِ، الَّذِي يَسُ تَحْقُوقُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ، أَيُّ: تَجْعَلُ لَهُمْ غَفْرًا يَسْتُرُهُمْ عَنْ

ذَلِكَ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْهُ.

﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ [سورة المائدة : ١١٨] أَيُّ: الْمَنِيعُ الْجَمَى.

وَهَذَا الْأَسْمُ إِذَا أَعْطَاهُ الْحَقُّ لَمْ نِ أَعْطَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، تَسْمَى الْحَقُّ  
بِالْعَزِزِّ. وَالْمُعْطَى لَهُ هَذَا الْأَسْمُ بِالْعَزِيزِ، فَيَكُونُ مَنِيْعَ الْحِمَى عَمَّا يُرِيدُ بِهِ  
الْمُنْتَقِمُ وَالْمُعَذِّبُ مِنَ الْأَنْتِقَامِ وَالْعَذَابِ.

وَجَاءَ بِالفَصْلِ وَالْعِمَادِ أَيْضًا، تَأْكِيدًا لِلْبَيِّنَاتِ، وَلِتَكُونَ الْآيَةُ عَلَى مَسَاقٍ  
وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾، [سورة المائدة : ١١٦] وَقَوْلُهُ:  
﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة : ١١٧]، فَجَاءَ أَيْضًا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة : ١١٨]. فَكَانَ سُؤْلًا مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَالْحَاحًا مِنْهُ عَلَى رَبِّهِ فِي الْمَسْأَلَةِ لَيْلَتَهُ الْكَامِلَةَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، يُرَدِّدُهَا  
طَلَبًا لِلْإِجَابَةِ، فَلَوْ سَمِعَ الْإِجَابَةَ فِي أَوَّلِ سُؤَالٍ مَآكِرَّرَ، وَكَانَ الْحَقُّ  
يَعْرِضُ عَلَيْهِ فُصُولَ مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ الْعَذَابَ عَرْضًا مُفَصَّلًا، فَيَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ  
عَرْضٍ وَعَيْنٍ، عَيْنٌ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة : ١١٨].

241

وَلَوْ رَأَى فِي ذَلِكَ الْعَرْضِ مَا يُوجِبُ تَقْدِيمَ الْحَقِّ، وَإِثَارَ جَنَابِهِ، لَدَعَى  
عَلَيْهِمْ، لَا لَهُمْ.

فَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ مَا تُعْطِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ التَّسْلِيمِ  
لِلَّهِ، وَالتَّعَرُّيْضِ لِعَفْوِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا أَحَبَّ صَوْتَ عَبْدِهِ فِي دُعَائِهِ إِيَّاهُ، أَخَّرَ الْإِجَابَةَ  
عَنْهُ، حَتَّى يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ، حُبًّا فِيهِ، لَا إِعْرَاضًا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ جَاءَ بِالْأَسْمِ

«الْحَكِيمُ»؛ وَالْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَلَا يَعْدِلُ  
بِهَا عَمَّا تَقْتَضِيهِ وَتَطْلُبُهُ حَقَائِقُهَا بِصِفَاتِهَا.

[٥٤ ظهر] فَالْحَكِيمُ الْعَلِيمُ بِالتَّرتِيبِ، فَكَانَ صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَرَدُّدِ  
هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى عِلْمِ عَظِيْمٍ مِنَ اللّٰهِ. فَمَنْ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَهَكَذَا يَتْلُو، وَإِلَّا  
فَالسُّكُوتُ أَوْلَى بِهِ.

242

وَإِذَا وَفَّقَ اللّٰهُ الْعَبْدَ إِلَى نَظْمٍ بِأَمْرٍ مَا، فَمَّا وَفَّقَهُ إِلَى هَذَا وَإِلَّا وَقَدْ أَرَادَ إِجَابَتَهُ  
فِيهِ، وَقَضَاءَ حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَبْطِئُ أَحَدٌ مَا يَتَضَمَّنُهُ مَا وَفَّقَ لَهُ، وَلِيُثَابِرَ  
مُتَابِرَةً رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ،  
حَتَّى يَسْمَعَ بِأُذُنِهِ، أَوْ بِسَمْعِهِ، كَيْفَ شِئَتْ أَوْ كَيْفَ أَسْمَعَكَ اللّٰهُ الْإِجَابَةَ، فَإِنْ  
جَازَاكَ بِسُؤَالِ اللِّسَانِ، أَسْمَعَكَ بِأُذُنِكَ. وَإِنْ جَازَاكَ بِالْمَعْنَى، أَسْمَعَكَ  
بِسَمْعِكَ.

[١٦] ﴿فَصُ حِكْمَةً رَحْمَانِيَّةً فِي كَلِمَةٍ سُلَيْمَانِيَّةٍ﴾

243

﴿إِنَّهُ﴾ [سورة النمل: ٣٠]، يَعْنِي: الْكِتَابُ ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ [سورة  
النمل: ٣٠] أَيْ: مَضْمُونُهُ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل: ٣٠]،  
فَأَخَذَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَقْدِيمِ اسْمِ سُلَيْمَانَ عَلَى اسْمِ اللّٰهِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .  
وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْبَغِي مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِمَعْرِفَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
بِرَبِّهِ، وَكَيْفَ يَلِيْقُ مَا قَالُوهُ؟

وَبَلْقِيسُ تَقُولُ فِيهِ: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ [النمل: ٢٩] أَيْ:

يُكْرَمُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ رَبُّمَا تَمْزِيقُ كِسْرَىٰ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا مَزَقَهُ حَتَّىٰ قَرَأَهُ كُلَّهُ وَعَرَفَ مَضْمُونَهُ، فَكَذَٰلِكَ كَانَتْ تَفْعُلُ بِلِقِي سُلُو لَمْ تُوفِّقْ لِمَا وَفَّقَتْ لَهُ، فَلَمْ تَكُنْ تَحْمِي الْكِتَابَ عَنِ الْإِخْرَاقِ بِحُرْمَةِ صَاحِبِهِ تَقْدِيمُ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ اسْمِ اللَّهِ، وَلَا تَأْخِيرُهُ.

244

فَأَتَىٰ سُلَيْمَانُ بِالرَّحْمَتَيْنِ: رَحْمَةُ الْأُمْتِنَانِ، وَرَحْمَةُ الْوُجُوبِ، اللَّتَانِ هُمَا: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَأَمَّتْنِ بِالرَّحْمَنِ، وَأَوْجَبَ بِالرَّحِيمِ. وَهَذَا الْوُجُوبُ مِنَ الْأُمْتِنَانِ، فَدَخَلَ الرَّحِيمُ فِي الرَّحْمَنِ، دُخُولَ تَضَمُّنٍ. فَإِنَّهُ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢] سُبْحَانَهُ، لِيَكُونَ ذَٰلِكَ لِلْعَبْدِ بِمَا ذَكَرَهُ الْحَقُّ مِنَ الْأَعْمَالِ، الَّتِي يَأْتِي بِهَا هَذَا الْعَبْدُ، حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَوْجَبُهُ لَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، يَسْتَحِقُّ بِهَا هَذِهِ الرَّحْمَةَ، أَعْنِي: رَحْمَةَ الْوُجُوبِ.

وَمَنْ كَانَ مِنَ الْعَبِيدِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ الْعَامِلُ مِنْهُ.

وَالْعَمَلُ مُقَسَّمٌ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْضَاءٍ [٤٦ وجه] مِنَ الْإِنْسَانِ.

245

وَقَدْ أَخْبَرَ الْحَقُّ أَنَّهُ تَعَالَىٰ هُوِيَّةُ كُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَكُنِ الْعَامِلُ غَيْرَ الْحَقِّ، وَالصُّورَةُ لِلْعَبْدِ، وَالْهُوِيَّةُ مُدْرَجَةٌ فِيهِ، أَيْ: فِي اسْمِهِ لَا غَيْرُ. لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ عَيْنُ مَا ظَهَرَ، وَسَمِّيَ خَلْقًا، وَبِهِ كَانَ الْأَسْمُ «الظَّاهِرُ»، وَ«الْآخِرُ» لِلْعَبْدِ، وَبِكَوْنِهِ لَمْ يَكُنْ، ثُمَّ كَانَ.

وَبِتَوَقَّفِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ، وَصُدُورِ الْإِعْمَلِ مِنْهُ، كَانَ الْأَسْمُ «الْبَاطِنُ»  
وَوَ«الْأَوَّلُ».

فَإِذَا رَأَيْتَ الْخَلْقَ، رَأَيْتَ «الْأَوَّلَ» وَ«الْآخِرَ»، وَ«الظَّاهِرَ»  
وَوَ«الْبَاطِنَ».

وَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ لَا يَغِيبُ عَنْهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ هِيَ مِنَ الْمُلْكِ  
الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي: الظُّهُورَ بِهِ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ.  
فَقَدْ أُوتِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ، وَمَا ظَهَرَ بِهِ،  
فَمَكَّنَهُ اللَّهُ تَمَكِينَ قَهْرٍ مِنَ الْعَفْرِيتِ الَّذِي جَاءَهُ بِاللَّيْلِ لِيَفْتِكَ بِهِ، فَهَمَّ  
بِأَخْذِهِ، وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى يُصْبِحَ فَيَلْعَبُ بِهِ وَلِدَانُ  
الْمَدِينَةِ. فَذَكَرَ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَردَّه اللَّهُ خَاسِئًا، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ بِمَا أُقْدِرَ عَلَيْهِ، وَظَهَرَ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ.

ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿مُلْكًا﴾ [الن سا ء: ٥٤] فَلَمْ يَعْمَ، فَعَلِمَ نَا أَنَّهُ يُرِيدُ مُلْكًا مَا، وَرَأَيْنَاهُ  
قَدْ شُورِكَ فِي كُلِّ جُزْءٍ، جُزْءٌ مِنَ الْمُلْكِ، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ  
مَا اخْتَصَّ إِلَّا بِالْجَمُوعِ مِنْ ذَلِكَ، وَبِحَدِيثِ الْعَفْرِيتِ، أَنَّهُ مَا اخْتَصَّ إِلَّا  
بِالظُّهُورِ. وَقَدْ يُخْتَصُّ بِالْجَمُوعِ وَالظُّهُورِ.

وَلَوْ لَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْعَفْرِيتِ: «فَأَمَكَّنِي اللَّهُ  
مِنْهُ» لَقُلْنَا، أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِأَخْذِهِ، ذَكَرَهُ اللَّهُ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا  
يُقْدِرُهُ اللَّهُ عَلَى أَخْذِهِ، فَردَّه اللَّهُ خَاسِئًا، فَلَمَّا قَالَ: «فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ»،

عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهُ، فَتَذَكَّرَ دَعْوَةَ  
سُلَيْمَانَ، فَتَادَّبَ مَعَهُ، فَعَلِمْنَا مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ —  
بَعْدَ سُلَيْمَانَ — الظُّهُورُ بِذَلِكَ فِي الْعُمُومِ.

وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، إِلَّا الْكَلَامَ وَالتَّنْبِيهَ عَلَى الرَّحْمَتَيْنِ،  
الَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا سُلَيْمَانُ فِي الْأَسْمَيْنِ [٤٦ ظهر] الَّذِينَ تَفْسِيرُهُمَا بِلِسَانِ  
الْعَرَبِ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ».

فَقَيَّدَ رَحْمَةَ الْوُجُوبِ، وَأَطْلَقَ رَحْمَةَ الْأَمْتِنَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَحِمَتِي 247  
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، حَتَّى الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، أَعْنِي:  
حَقَائِقَ النَّسَبِ.

فَأَمَّا عَلَى هَذَا بِنَا، فَنَحْنُ بِنْتِي جُزْءُ رَحْمَةِ الْأَمْتِنَانِ بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالنَّسَبِ  
الرَّبَّانِيَّةِ.

ثُمَّ أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ، بِظُهُورِنَا لَنَا، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ هُوَيْتُنَا، لِنَعْلَمَ أَنَّهُ  
مَا أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا لِنَفْسِهِ، فَمَا خَرَجَتْ الرَّحْمَةُ عَنْهُ، فَعَلَى مَنْ أُمِّنَ،  
وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ.

إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُكْمٍ لِسَانِ التَّفْصِيلِ لِمَا ظَهَرَ مِنْ تَفَاضُلِ الْخَلْقِ فِي  
الْعُلُومِ، حَتَّى يُقَالَ: أَنَّ هَذَا أَعْلَمَ مِنْ هَذَا، مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَمَعْنَاهُ: مَعْنَى نَقْصِ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ عَنْ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ، فَهَذِهِ مُفَاضَلَةٌ فِي  
الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَكَمْ أَلْ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ، وَفَضْلِهَا وَزِيَادَتِهَا عَلَى تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ،

وَكَذَلِكَ السَّمْعُ الْإِلَهِيُّ وَالْبَصَرُ، وَجَمِيعُ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى دَرَجَاتٍ فِي  
تَفَاضُلٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ تَفَاضُلُ مَاظْهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ أَنْ يُقَالَ  
هَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَكَمَا أَنَّ كُلَّ أَسْمٍ إِلَهِيٍّ إِذَا قَدِّمْتَهُ سَمَّيْتَهُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، وَنَعْتَهُ بِهَا،  
كَذَلِكَ فِيمَا ظَهَرَ مِنَ الْخَلْقِ فِي هَ أَهْلِيَّةٍ كُلُّ مَا فُضِّلَ بِهِ فَكُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ،  
مَجْمُوعُ الْعَالَمِ. أَيُّ: هُوَ قَابِلٌ لِحَقِّ آتِيٍّ مُتَّ فَرَقَاتٍ الْعَالَمِ كُلِّهِ، فَلَا يَقْدَحُ قَوْلُنَا:  
أَنَّ زَيْدًا دُونَ عَمْرٍو فِي الْعِلْمِ. أَنَّ تَكُونَ هُوِيَّةُ الْحَقِّ عَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو. وَيَكُونُ  
فِي عَمْرٍو أَكْمَلُ وَأَعْلَمُ مِنْهُ فِي زَيْدٍ. كَمَا تَفَاضَلَتِ الْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ، وَلَيْسَتْ  
غَيْرَ الْحَقِّ.

فَهُوَ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هُوَ، عَالِمٌ أَعَمُّ فِي التَّعَلُّقِ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مُرِيدٌ  
وَقَادِرٌ، وَهُوَ هُوَ، لَيْسَ غَيْرُهُ، فَلَا تَعْلَمُ هُ هُنَا، يَا وَلِيُّ، وَتَجْهَلُهُ هُنَا، وَتُنْبِتُهُ هُنَا،  
وَتَنْفِيهِ هُنَا.

إِلَّا أَنَّ أَثْبَتَهُ بِالْوَجْهِ الَّذِي أَثْبَتَ نَفْسَهُ، وَنَفَيْتَهُ عَنْ كَذَا، بِالْوَجْهِ الَّذِي  
نَفَى نَفْسَهُ، كَالْآيَةِ الْحَامِعَةِ لِلنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي حَقِّهِ، حِينَ قَالَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] فَنَفَى. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:  
ورى :

[١١]، فَأَثْبَتَ بِصِفَةِ تَعَمُّ [٤٧ وجه] كُلِّ سَامِعٍ بَصِيرٍ مِنْ حَيَوَانَ.  
وَمَا تَمَّ إِلَّا حَيَوَانَ، إِلَّا أَنَّهُ بَطْنٌ فِي الدُّنْيَا عَنْ إدْرَاكِ بَعْضِ النَّاسِ،  
وَوَظْهَرَ فِي الْآخِرَةِ لِكُلِّ النَّاسِ، فَإِنَّهَا الدَّارُ الْحَيَّةُ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّ



حَيَاتَهَا مَسْتُورَةٌ عَنْ بَعْضِ الْعِبَادِ، لِيُظْهَرَ التَّخْتِصَاصُ وَالْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ عِبَادِ  
اللَّهِ، بِمَا يُدْرِكُونَهُ مِنْ حَقَائِقِ الْعَالَمِ.

249

فَمَنْ عَمَّ إِدْرَاكُهُ كَانَ الْحَقُّ فِيهِ أَظْهَرَ فِي الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ  
الْعُمُومُ.

فَلَا تُحْجَبُ بِالتَّفَاضُلِ. وَتَقُولُ: لَا يَصِحُّ كَلَامُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ  
الْخَلْقَ هُوَ يَهُ الْحَقُّ بَعْدَ مَا أَرَيْتُكَ التَّفَاضُلَ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي لَا  
تَشْكُ أَنْتَ، أَنَّهَا هِيَ الْحَقُّ، وَمَدْلُولُهَا الْمُسَمَّى بِهَا، وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ.  
ثُمَّ إِنَّهُ كَيْفَ يُقَدِّمُ سُلِّي مَا نُسَمِّهِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ، كَمَا زَعَمُوا، وَهُوَ مِنْ  
جُمْلَةٍ مَنْ أَوْجَدَتْهُ الرَّحْمَةُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ لِيَصِحَّ اسْتِنَادُ الْمَرْحُومِ، هَذَا عَكْسُ  
الْحَقَائِقِ، تَقْدِيمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأْخِيرَ، وَتَأْخِيرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيمَ فِي  
الْمَوْضِعِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

250

وَمِنْ حِكْمَةِ بَلْقَيْسَ وَعُلُوِّ عِلْمِهَا، كَوْنُهَا لَمْ تَذْكُرْ مَنْ أُلْقِيَ إِلَيْهَا  
الْكِتَابَ، وَمَا عَمِلَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِتُعْلِمَ أَصْحَابَهَا أَنَّ لَهَا اتِّصَالًا إِلَى أُمُورٍ لَا  
يَعْلَمُونَ طَرِيقَهَا، وَهَذَا مِنَ التَّدْبِيرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمُلْكِ، لِأَنَّهُ إِذَا جُهِلَ طَرِيقُ  
الْإِخْبَارِ، الْوَاصِلِ لِلْمُلْكِ، خَافَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ، فَلَا  
يَتَصَرَّفُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ، إِذَا وَصَلَ إِلَى سُلْطَانِهِمْ عَنْهُمْ، يَأْمَنُونَ غَائِلَةَ ذَلِكَ  
التَّصَرُّفِ، فَلَوْ تَعَيَّنَ لَهُمْ عَلَى يَدَيَّ مَنْ تَصِلُ الْأَخْبَارُ إِلَى مَلِكِهِمْ لِصَانِعُوهُ،

وَأَعْظَمُوا لَهُ الرِّشَا، حَتَّى يَفْعَلُوا مَا يُرِيدُونَ، وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَىٰ مَلِكِهِمْ.

فَكَانَ قَوْلُهَا ﴿الْقِيَّ إِلَىٰ﴾ [سورة النمل : ٢٩] وَلَمْ تُسَمِّ مَنْ أَلْقَاهُ سِيَّاسَةً

مِنْهَا، أَوْرَثَتْ الْحَذَرَ مِنْهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهَا، وَخَوَاصِّ مُدَبَّرِيهَا، وَبِهَذَا

أُسْتَحَقَّتِ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا فَضْلُ الْعَالِمِ مِنَ الصَّنْفِ الْإِنْسَانِيِّ عَلَى الْعَالِمِ مِنَ الْجِنِّ بِأَسْرَارِ

التَّصْرِيفِ، وَخَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ، فَمَعْلُومٌ بِالْقَدْرِ الزَّمَانِيِّ، فَإِنَّ رُجُوعَ الطَّرْفِ

إِلَى النَّاطِرِ بِهِ [٤٧ ظهر] أَسْرَعُ مِنْ قِيَامِ الْقَائِمِ مِنْ مَجْلِسِهِ، لِأَنَّ حَرَكَةَ  
الْبَصَرِ

فِي الْإِدْرَاكِ إِلَى مَا يُدْرِكُهُ أَسْرَعُ مِنْ حَرَكَةِ الْجِسْمِ فِيمَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ، فَإِنَّ

الزَّمَانَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الْبَصَرُ، عَيْنُ الزَّمَانِ الَّتِي تَعْلُقُ بِمُبْصَرِهِ مَعَ بَعْدِ

251

الْمَسَافَةِ بَيْنَ النَّاطِرِ وَالْمَنْظُورِ، فَإِنَّ زَمَانَ فَتْحِ الْبَصَرِ، زَمَانٌ تَعْلُقُهُ بِفَلَكَ

الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ، وَزَمَانٌ رُجُوعِ طَرَفِهِ إِلَيْهِ، عَيْنُ زَمَانٍ عَدَمِ إِدْرَاكِهِ.

وَالْقِيَامُ مِنْ مَقَامِ الْإِنْسَانِ لَيْسَ كَذَلِكَ، أَيْ: لَيْسَ لَهُ هَذِهِ السَّرْعَةُ.

فَكَانَ أَصِفُ بْنُ بَرْخِيَا أَتَمَّ فِي الْعَمَلِ مِنَ الْجِنِّ، فَكَانَ عَيْنُ قَوْلِ

أَصِفُ بْنُ بَرْخِيَا، عَيْنُ الْفِعْلِ فِي الزَّمَنِ الْوَاحِدِ، فَرَأَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بَعَيْنِهِ

252

سُلَيْمٌ أَنَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَّشَ بَلْقَيْسَ مُسْتَقْدِرًا عِنْدَهُ لِبَلَاءٍ يَتَخَيَّلُ أَنَّهُ أَدْرَكَهُ وَهُوَ

فِي مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ.

وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا بِاتِّحَادِ الزَّمَانِ انْتِقَالٌ. وَإِنَّمَا كَانَ إِعْدَامٌ وَإِيجَادٌ، مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ بِذَلِكَ، إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ

مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿سورة ق : ١٥﴾.

وَلَا يَمُضِي عَلَيْهِمْ وَقْتُ لَا يَرُونَ فِيهِ مَا هُمْ رَاوُونَ لَهُ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ، فَكَانَ زَمَانُ عَدَمِهِ؛ أَعْنِي: عَدَمَ الْعَرْشِ مِنْ

مَكَانِهِ، عَيْنَ وُجُودِهِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ، مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ، وَلَا عِلْمَ

لِأَحَدٍ بِهَذَا الْقَدَرِ، بَلِ الْإِنْسَانُ لَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ لَا

يَكُونُ، ثُمَّ يَكُونُ.

وَلَا تَقُلْ: «ثُمَّ» تَقْتَضِي «الْمُهْلَةَ»، فَلَيْ سَ ذَلِكَ بِحِجٍّ . وَإِنَّ أ «ثُمَّ»

تَقْتَضِي تَقْدُّمَ الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ، كَقَوْلِ

الشَّاعِرِ: [الْمُنْقَارِبُ]

253

كَهَزَّ الرُّدَيْنِي ..... ثُمَّ اضْطَرَبَ

وَزَمَانُ الْهَزِّ عَيْنُ زَمَانِ اضْطَرَابِ الْمَهْزُوزِ بِلَا شَكٍّ، وَقَدْ جَاءَ بِ «ثُمَّ»

وَلَا «مُهْلَةً»، كَذَلِكَ تَجْدِيدُ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ، زَمَانُ الْعَدَمِ، زَمَانُ وُجُودِ

الْمِثْلِ، كَتَجْدِيدِ الْأَعْرَاضِ فِي دَلِيلِ الْأَشَاعِرَةِ.

فَإِنَّ مَسْأَلَةَ حُصُولِ عَرْشِ بَلْقِيسَ مِنْ أَشْكَلِ الْمَسَائِلِ، إِلَّا عِنْدَ مَنْ

254

عَرَفَ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً فِي قِصَّتِهِ.

فَلَمْ يَكُنْ لِأَصِفَ مِنَ الْفَضْلِ فِي ذَلِكَ، إِلَّا حُصُّ وَلِ التَّجْدِيدِ فِي مَجْلِسِ

سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٤٨ وجه] فَمَا قَطَعَ الْعَرْشُ مَسَافَةً، وَلَا زُوِيَتْ لَهُ أَرْضٌ، وَلَا خَرَقَهَا، لِمَنْ

فَهُمْ مَا ذَكَّرْنَاهُ.

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدَيَّ بَعْضِ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ، لِيَكُونَ أَكْثَرُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي نَفُوسِ الْحَاضِرِينَ مِنْ بَلْقَيْسَ وَأَصْحَابِهَا.

وَسَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِبَةً لِلَّهِ تَعَالَى لِذَاوُدَ، مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [سورة ص: ٣٠]، وَالْهِبَةُ عَطَاءُ الْوَهِبِ بِطَرِيقِ

الْإِنْعَامِ، لَا بِطَرِيقِ الْجَزَاءِ الْوَفَاقِ، أَوِ السُّتِحْقَاقِ.

فَهُوَ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالضَّرْبَةُ الدَّامِغَةُ.

وَأَمَّا عِلْمُهُ فَقَوْلُهُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩] مَعَ نَقِيضِ

255

الْحُكْمِ، ﴿وَكَلَّا﴾ آتَاهُ ﴿اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]. فَكَانَ عِلْمُ

ذَاوُدَ عِلْمًا مُؤْتَى، آتَاهُ اللَّهُ. وَعِلْمُ سُلَيْمَانَ، عِلْمُ اللَّهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، إِذَا كَانَ

الْحَاكِمُ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ تَرْجُمَانُ حَقٍّ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ. كَمَا أَنَّ

الْمُجْتَهِدَ الْمُصِيبَ، لِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، لَوْ تَوَلَّاهَا

بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمَا يُوحِي بِهِ لِرَسُولِهِ، لَهُ أَجْرَانِ، وَالْمُخْطِئُ — لِهَذَا الْحُكْمِ

الْمُعَيَّنِ — لَهُ أَجْرٌ، مَعَ كَوْنِهِ عِلْمًا وَحُكْمًا.

فَاعْطِيتْ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ رُتْبَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحُكْمِ،

وَرُتْبَةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا أَفْضَلُهَا مِنْ أُمَّةٍ.

وَلَمَّا رَأَتْ بَلْقَيْسُ عَرْشَهَا، مَعَ عِلْمِهَا بِبُعْدِ الْمَسَافَةِ، وَأَسْتَحَالَ أَنْتِقَالَهِ فِي

تِلْكَ الْمُدَّةِ عِنْدَهَا، ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [سورة النمل: ٤٢] وَصَدَّقَتْ بِمَا

ذَكَرْتَاهُ مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ بِأَلَمْتِ آلٍ، وَهُوَ هُوَ، وَصَدَقَ الْأَمْرُ. كَمَا أَنَّكَ  
فِي زَمَانِ التَّجْدِيدِ، عَيْنُ مَا أَنْتَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي.

ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ كَمَالِ عِلْمِ سُلَيْمَانَ، التَّنْبِيهُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الصَّرْحِ: ﴿فَقِيلَ  
لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [سورة النمل ل: ٤٤] وَكَانَ صَرْحًا أَمْلَسَ، لَا أَمْتٌ فِيهِ، مِنْ  
زُجَاجٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسَبَتْهُ مَاءً، ﴿فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ [سورة النمل : ٤٤]  
حَتَّى لَا يُصِيبَ الْمَاءُ ثَوْبَهُ أَوْ فَنَبَّهَهَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ عَرْشَهَا الَّذِي رَأَتْهُ مِنْ هَذَا  
الْقَبْلِ لَ، وَهَذَا غَايَةُ الْإِنْصَافِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمَ بِهَا بِذَلِكَ إِصَابَتُهَا فِي قَوْلِهَا : ﴿كَأَنَّهُ  
هُوَ﴾ [سورة النمل : ٤٢].

فَقَالَتْ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [سورة  
النمل : ٤٤] أَيْ: إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل : ٤٤].  
فَمَا أُنْقَادَتْ لِسُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا أُنْقَادَتْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُلَيْمَانُ مِنَ  
الْعَالَمِينَ، فَمَا تَقَيَّدَتْ فِي أُنْقِيَادِهَا، كَمَا لَا تَتَقَيَّدُ الرُّسُلُ [٤٨ ظهر] فِي  
أَعْتِقَادِهَا فِي اللَّهِ.

بِخِلَافِ فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [سورة الأعراف :  
١٢٢؛ الشعراء : ٤٨]، وَإِنْ كَانَ يَلْحَقُ بِهَذَا الْأُنْقِيَادِ الْبَلْقِيسِيُّ مِنْ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ  
لَا

يَقْوَى قُوَّتُهُ، فَكَانَتْ أَفْقَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِي الْأُنْقِيَادِ لِلَّهِ.

وَكَانَ فِرْعَوْنُ تَحْتَ حُكْمِ الْوَقْتِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَمَنْتُ بِالَّذِي أَمَنْتُ بِهِ

بَنُو إِسْرَئِيلَ﴾، [اقتباس سورة يونس: ٩٠] فَخَصَّصَ، وَإِنَّمَا خَصَّصَ لِمَا رَأَى

السَّحَرَةُ قَالُوا لَوْ افِي إِيْمَانِهِمْ بِاللّٰهِ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٢؛ الشعراء : ٤٨].

فَكَانَ إِسْلَامٌ بِلَقِيْسَ إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ، إِذْ قَالَتْ ﴿مَعَ سُلَيْمٍ مِنْ﴾ [سورة النمل : ٤٤]، فَتَبِعَتْهُ.

فَمَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَقَائِدِ إِلَّا مَرَّتْ بِهِ، مُعْتَقِدَةً ذَلِكَ، كَمَا نَحْنُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي الرَّبُّ عَلَيْهِ، لِكُونِ نَوَاصِينَا فِي يَدِهِ، وَيَسْتَحِيلُ مُفَارَقَتُنَا إِيَّاهُ.

فَنَحْنُ مَعَ هَذِهِ بِالتَّضَمِّينِ، وَهُوَ مَعَنَا بِالتَّصْرِيحِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [سورة الحديد : ٤]، وَنَحْنُ مَعَهُ بِكَوْنِهِ أَخِذًا بِنَوَاصِينَا.

فَهُوَ تَعَالَىٰ مَعَ نَفْسِهِ حَيُّ ثُمَّ أَمْشَىٰ بِنَا مِنْ صِرَاطِهِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ صِرَاطُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ.

وَكَذَا عَلِمْتُ بِلَقِيْسٍ مِنْ سُلَيْمَانَ، فَقَالَتْ: ﴿اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ٤٤]، وَمَا خَصَّصْتُ عَالِمًا مِنْ عَالَمٍ.

وَأَمَّا التَّسْخِيرُ الَّذِي اخْتُصَّ بِهِ سُلَيْمَانُ وَفَضَلَ بِهِ غِي رُؤُوسَهُ وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ، الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَهُوَ كَوْنُهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [سورة ص : ٣٦]، فَمَا هُوَ مِنْ كَوْنِهِ

تَسْخِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي حَقِّ نَا كُلَّنَا مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الحج : ١٣]، وَقَدْ ذَكَرَ تَسْخِيرَ

الرِّيَّاحِ وَالنَّجُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا عَنْ أَمْرِنَا، بَلْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَمَا  
أَخْتُ صَّ سُلَيْمَانُ، إِنَّ عَقْلَ تَ، إِلَّا بِالْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ جَمْعِيَّةٍ وَلَا هِمَّةٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ  
الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ أَجْرَ رَامِ الْعَالَمِ تَنْ فَعِلْ لَهُمْ النَّفْسُ إِذَا  
أُقِيمَتْ فِي مَقَامِ الْجَمْعِيَّةِ، وَقَدْ عَايْنَا ذَلِكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، فَكَانَ مِنْ  
سُلَيْمَانَ مَانَ مُجَرَّدُ التَّ لَفْظِ بِالْأَمْرِ [٤٩ وجه] لِمَنْ أَرَادَ تَسْخِيرَهُ، مِنْ غَيْرِ هِمَّةٍ  
وَلَا جَمْعِيَّةٍ.

وَأَعْلَمُ — أَيْدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِرُوحٍ مِنْهُ — أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَطَاءِ إِذَا حَصَلَ  
لِلْعَبْدِ — أَيْ عَبْدٍ كَانَ — فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ مِنْ مِلْكِهِ أَخِرَتِهِ، وَلَا يُحْسَبُ  
عَلَيْهِ، مَعَ كَوْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَهُ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى، فَيَقْتَضِي ذَوَقَ  
الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَجَلَ لَهُ مَا أَدْخَرَ لِغَيْرِهِ، وَيَحَاسِبُ بِهِ إِذَا أَرَادَهُ فِي  
الْآخِرَةِ.

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ [سورة ص : ٣٩]، وَلَمْ يَقُلْ لَكَ وَلَا لِي يَرِكَ  
﴿فَأَمْنٌ﴾ [سورة ص : ٣٩] أَيْ: أَعْطِ ﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة ص :  
: ٣٩].

فَعَلِمْنَا مِنْ ذَوَقِ الطَّرِيقِ أَنَّ سُؤَالَ ذَلِكَ كَانَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَالطَّلْبُ إِذَا  
وَقَعَ عَنِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، كَانَ الطَّالِبُ لَهُ، الْأَجْرُ التَّامُّ عَلَى طَلَبِهِ، وَالْبَارِي  
تَعَالَى إِنْ شَاءَ قَضَى حَاجَتَهُ فِيمَا طَلَبَ مِنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ  
وَفَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْتِنًا لَهُ أَمْرَهُ، فِيمَا سَأَلَ رَبَّهُ فِيهِ، فَلَوْ سَأَلَ ذَلِكَ

مِنْ نَفْسِهِ، عَنْ غَيْرِ أَمْرِ رَبِّهِ لَهُ بِذَلِكَ، لِحَاسَبِهِ بِهِ.

وَهَذَا سَارٍ فِي جَمِيعِ مَا يَسْأَلُ فِيهِ اللّٰهُ تَعَالَى  
وَكَمَا قَالَ لِنَبِيِّ هِمْ مُحَمِّدٍ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فَأَمْتَتَ لَأَمْرِ رَبِّهِ، فَكَانَ يَطْلُبُ

الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ، حَتَّى كَانَ إِذَا سَيِّقَ لَهُ لَبَنٌ، يَتَأَوَّلُهُ عِلْمًا، كَمَا تَأَوَّلَ رُؤْيَاهُ،

لَمَّا رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ أُوتِيَ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبَهُ، وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرَ بْنَ

الْخَطَّابِ، قَالُوا: فَمَ الْوَلَّتُهُ؟ قَالَ: الْعِلْمُ. وَكَذَلِكَ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ، أَتَاهُ الْمَلَكُ

بِإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ، وَإِنَاءٌ فِيهِ خَمْرٌ، فَشَرِبَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: أَصَبْتَ

الْفِطْرَةَ، أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أُمَّتَكَ. فَالْلَبَنُ مَتَى ظَهَرَ. فَهُوَ صُورَةُ الْعِلْمِ، فَهُوَ وَالْعِلْمُ

تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ، كَجَبْرِئِيلَ تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ لِمَرْيَمَ.

وَلَمَّا قَالَ عَلِيٌّ يَهِيَ السَّلَامُ: «الْأَنَاسُ نِيَامُ فَإِذَا مَاتُوا أَتَنَّبَهُوا». نَبَّاهُ عَلَى

260

أَنَّهُ كُلُّ مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، إِنَّهُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الرُّؤْيَا لِلنَّائِمِ، خَيَالٌ.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ.

[مَجْزُوءُ الرَّمَلِ]

261

وَهُوَ حَقٌّ فِي الْحَقِيقَةِ  
حَازَ أَسْرَارَ الطَّرِيقَةِ

١- إِنَّمَا الْكَوْنُ خَيَالٌ  
٢- وَالَّذِي يَفْهَمُ هَذَا

[٤٩ ظهر]

فَكَانَ صَلَوَى أَلَلِ هَعَلٍ يَهِيَ وَسَلَّمٌ إِذَا قُدِّمَ لَهُ لَبَنٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي هِ



وَزِدْنَا مِنْهُ « لِأَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ صُورَةَ الْعِلْمِ، وَقَدْ أَمَرَ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ،

وَإِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ غَيْرُ اللَّبَنِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ»،

262

فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحَاسِبُهُ بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، فَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ حَاسِبُهُ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُحَاسِبْهُ، وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ خَاصَّةً، أَنَّهُ لَا يُحَاسِبُهُ بِهِ.

فَإِنَّ أَمْرَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ، عَيْنُ أَمْرِهِ لِأُمَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب : ٢١]،

وَأَيُّ أُسْوَةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّأْسِي، لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؟

وَلَوْ نَبَّهْنَا عَلَى الْمَقَامِ السُّلَيْمَانِيِّ عَلَى تَمَامِهِ، لَرَأَيْتُ أَمْرًا يَهُولُكَ

الطَّلَاعُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ عُلَمَاءِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، جَهِلُوا حَالَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ وَمَكَانَتَهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا.

[١٧] ﴿فَصُ حِكْمَةً وَجُودِيَّةً فِي كَلِمَةٍ دَاوُدِيَّةٍ﴾

263

أَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ أَحْتِصَا صَا إِلَهِيًّا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ

الْاِكْتِسَابِ، أَعْنِي: نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ، كَانَتْ عَطَا يَاهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى هِمِّ السَّلَامِ مِنْ

هَذَا الْقَبِيلِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ جَزَاءً وَلَا يَطْلُبُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ جَزَاءً، فَأَعْطَاوَهُ

إِيَّاهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ.

فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة الأنعام : ٨٤]، يَعْنِي:

لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ. وَقَالَ فِي أَيُّوبَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [سورة ص : ٤٣]، وَقَالَ فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [سورة مريم : ٥٣] إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَالَّذِي تَوَلَّاهُمْ أَوَّلًا هُوَ الَّذِي تَوَلَّاهُمْ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ أَوْ أَكْثَرِهَا، وَلَيْسَ إِلَّا أَسْمُهُ «الْوَهَّابُ».

وَقَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّْا فَضْلًا﴾ [سورة سبأ : ١٠] فَلَمْ يَقْرُنْ بِهِ جَزَاءً يَطْلُبُهُ مِنْهُ، وَلَا أَخْبَرَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ [٥٠ وجه] جَزَاءً، وَلَمَّا طَلَبَ الشُّكْرَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعَمَلِ طَلَبَهُ مِنْ آلِ دَاوُدَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِذِكْرِ دَاوُدَ لِيَشْكُرَهُ إِلَّا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى دَاوُدَ.

264

فَهُوَ فِي حَقِّ دَاوُدَ عَطَاءُ نِعْمَةٍ وَإِفْضَالٍ، وَفِي حَقِّ آلِهِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لِطَلَبِ الْمَعَاوِضَةِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ : ١٣]، وَإِنْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيَّ هُمُ السَّلَامُ قَدْ شَكَرُوا اللَّهَ

تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَوَهَبَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ طَلَبٍ مِنَ اللَّهِ، بَلْ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ مِنْ نَفُوسِهِمْ. كَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّعَتْ قَدَمَاهُ شُكْرًا لِمَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟». وَقَالَ فِي نُوحٍ: ﴿إِنَّهُ كَانَ

عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء : ٣]. فَالشُّكُورُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَلِيلٌ، فَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى دَاوُدَ، أَنْ أَعْطَاهُ أَسْمًا لَيْسَ فِيهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ

الِاتِّصَالِ.

265

فَقَطَعَهُ عَنِ الْعَالَمِ بِذَلِكَ إِخْبَارًا لَنَا عَنْهُ بِمُجَرَّدِ هَذَا الْأُسْمِ، وَهِيَ  
الدَّالُّ وَالْأَلِفُّ وَالْوَاوُ.

وَسَمَّى مُحَمَّدٌ ابْحُرُوفَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِنْفِصَالِ، فَوَصَلَهُ بِهِ، وَفَصَلَهُ عَنِ  
الْعَالَمِ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْحَالَيْنِ فِي أُسْمِهِ، كَمَا جَمَعَ لِدَاوُدَ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مِنْ  
طَرِيقِ الْمَعْنَى، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ فِي أُسْمِهِ. فَكَانَ ذَلِكَ اخْتِصَاصًا لِمُحَمَّدٍ  
عَلَى دَاوُدَ؛ أَعْنِي: التَّنْبِيْهَ عَلَيْهِ بِأُسْمِهِ، فَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جَمِيعِ  
جِهَاتِهِ، وَكَذَلِكَ فِي أُسْمِهِ «أَحْمَدُ»، فَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ فِيمَا أُعْطِيَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ تَرْجِيْعُ الْجِبِّ أَلِ  
مَعَهُ التَّسْبِيْحَ، فَتَسْبَحُ لِتُسَبِّحَهُ، لِيَكُونَ لَهُ عَمَلُهَا، وَكَذَلِكَ  
الطَّيْرَ. وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ وَنَعْتَهُ بِهَا، وَأَعْطَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابَ.  
ثُمَّ الْمِنَّةَ الْكُبْرَى، وَالْمَكَانَةَ الزُّلْفَى، الَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا التَّنْصِيصُ  
عَلَى خِلَافَتِهِ.

وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ [٥٠ ظهر]. وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ خُلَفَاءُ.  
فَقَالَ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَادُّ كُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِأَلْحَقِّ  
وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى﴾ [سورة ص: ٢٦] أَيْ: مَا يَخْطُرُ لَكَ فِي حُكْمِكَ، مِنْ غَيْرِ  
وَحْيٍ مِنِّي، ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦] أَيْ: عَنْ الطَّرِيقِ  
الَّذِي أُوحِيَ بِهَا إِلَى رُسُلِي.

ثُمَّ تَادَبَ سُبْحَانَهُ مَعَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ [سورة ص : ٢٦] وَلَمْ يَقُلْ: «فَإِنْ ضَلَلْتُ عَنْ سَبِيلِي فَلَكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

فَإِنْ قُلْتُ: وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ نَصَّ عَلَى خَلَاْفَتِهِ. قُلْنَا: مَا نَصَّ مِثْلَ التَّنْصِيصِ عَلَى دَاوُدَ. وَإِنَّمَا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة : ٣٠] وَلَمْ يَقُلْ: «إِنِّي جَاعِلٌ آدَمَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ». وَلَوْ قَالَ، لَمْ يَكُنْ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [سورة ص : ٢٦] فِي حَقِّ دَاوُدَ. فَإِنَّ هَذَا مُحَقَّقٌ. وَذَلِكَ لَيْسَ كَذَلِكَ. وَمَا يَدُلُّ ذِكْرُ آدَمَ فِي الْقِصَّةِ — بَعْدَ ذَلِكَ — عَلَى أَنَّهُ عَيْنُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ، الَّذِي نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَاجْعَلْ بِأَلَاكِ لِإِخْبَارَاتِ الْحَقِّ عَنْ عِبَادِهِ إِذَا أَخْبَرَ.

وَكَذَلِكَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة : ١٢٤] وَلَمْ يَقُلْ: «خَلِيفَةً». وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَةَ — هُنَا — خِلَافَةٌ، وَلَكِنْ مَا هِيَ مِثْلُهَا. لَوْ ذَكَرَهَا بِأَخْصِ أَسْمَائِهَا، وَهِيَ الْخِلَافَةُ.

ثُمَّ فِي دَاوُدَ مِنَ الْأَخْتِصَاصِ بِالْخِلَافَةِ، أَنَّ جَعْلَهُ خَلِيفَةً حُكْمٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا عَنِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿فَاخُكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [سورة ص : ٢٦].

وَخِلَافَةُ آدَمَ قَدْ لَا تَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ. فَتَكُونُ خِلَافَتُهُ، أَنَّ يَخْلُفَ مَنْ كَانَ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ نَائِبٌ عَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، بِالْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ فِي هُمْ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُكَذَلِكَ وَقَعَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَلَامُنَا إِلَّا فِي التَّنْصِيصِ عَلَيْهِ، وَالتَّصْرِيحِ بِهِ.

وَلِلَّهِ فِي الْأَرْضِ، خَلَائِفَ عَنْ اللَّهِ. وَهُمْ الرُّسُلُ، وَأَمَّا الْخِلَافَةُ الْيَوْمَ،  
فَعَنِ الرُّسُلِ لَا عَنْ اللَّهِ.

فَإِنَّهُمْ مَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ لَهُمُ الرُّسُولُ، لَا يَخْرُجُونَ عَنْ ذَلِكَ.  
غَيْرَ أَنَّ هُنَا دَقِيقَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَمْثَلُنَا، وَذَلِكَ فِي أَخْذِ  
مَا يَحْكُمُونَ بِهِ، مِمَّا هُوَ شَرَعُ لِلرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

269

[٥١ وجه] فَالْخَلِيفَةُ عَنْ الرَّسُولِ، مَنْ يَأْخُذُ الْحُكْمَ بِالنَّقْلِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ بِاللَّجْتِ هَادٍ، الَّذِي أَصْلُهُ أَيْضًا مَنَقُولٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ.

وَفِينَا مَنْ يَأْخُذُ عَنْ اللَّهِ، فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنْ اللَّهِ، بِعَيْنِ ذَلِكَ الْحُكْمِ، فَيَكُونُ  
الْمَادَّةَ لَهُ، مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الْمَادَّةُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِي  
الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ، لَعَدَمِ مُخَالَفَتِهِ فِي الْحُكْمِ. كَعَيْسَى إِذَا نَزَلَ فَحَكَمَ. وَكَأَنَّ النَّبِيَّ  
مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ  
أَقْتَدِهِ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠].

270

وَهُوَ فِي حَقِّ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ صُورَةِ الْأَخْذِ، مُخْتَصُّ مُوَافِقٌ، هُوَ  
فِيهِ بِمَنْزِلَةِ مَاقَرَرِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَرَعٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ  
الرُّسُلِ، بِكَوْنِهِ قَرَرَهُ، فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ تَقَرَّرَ بِهِ، لَا مِنْ حَيْثُ أَنَّ شَرْعَ لِغَيْرِهِ  
قَبْلَهُ.

وَكَذَلِكَ أَخْذَ الْخَلِيفَةِ عَنِ اللَّهِ، عَيْنَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ الرُّسُولُ، فَنَقُولُ فِيهِ  
بِلِسَانِ الْكَشْفِ: «خَلِيفَةُ اللَّهِ». وَبِلِسَانِ الظَّاهِرِ: «خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ». وَلِهَذَا

مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا نَصَّ بِخِلَافَةٍ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا عَيْنَهُ، لِعَلِّ مِنْهُ أَنْ فِي أُمَّتِهِ مَنْ يَأْخُذُ بِالْخِلَافَةِ عَنْ رَبِّهِ، فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ مَعَ الْمُوَافَقَةِ فِي الْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ. فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُحَجِّرِ الْأَمْرَ.

فَلِلَّهِ خُلَفَاءُ فِي خَلْقِهِ، يَأْخُذُونَ مِنْ مَعَدَنِ الرَّسُولِ وَالرُّسُلِ، مَا أَخَذَتْهُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. 271

وَيَعْرِفُونَ فَضْلَ الْمُتَقَدِّمِ هُنَاكَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِلزِّيَادَةِ، الَّتِي لَوْ كَانَ الرَّسُولُ قَبْلَهَا. فَلَا يُعْطَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ فِيمَا شَرَعَ، إِلَّا مَا شَرَعَ لِلرَّسُولِ خَاصَّةً. فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ، غَيْرُ مُخَالِفٍ. بِخِلَافِ الرُّسُلِ.

أَلَا تَرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَخَيَّلَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى مُوسَى — مِثْلَ مَا قُلْنَا — فِي الْخِلَافَةِ الْيَوْمَ مَعَ الرَّسُولِ، آمَنُوا بِهِ وَأَقْرَؤُهُ. فَلَمَّا زَادَ حُكْمًا، أَوْ نَسَخَ حُكْمًا، كَانَ قَدْ قَرَّرَهُ مُوسَى — لِكُونِ عِيسَى رَسُولًا — لَمْ يَحْتَمِلُوا [ ٥١ ظهر ] ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ فِيهِ، وَجَهِلَتْ الْيَهُودُ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَطَلَبَتْ قَتْلَهُ، فَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ. فَلَمَّا كَانَ رَسُولًا قَبْلَ الزِّيَادَةِ، إِمَّا بِنَقْصِ حُكْمٍ قَدْ تَقَرَّرَ، أَوْ زِيَادَةِ حُكْمٍ. عَلَى أَنَّ النِّقْصَ زِيَادَةُ حُكْمٍ بِلَا شَكٍّ.

وَالْخِلَافَةُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا هَذَا الْمَنْصِبُ. وَإِنَّمَا تَنْقُصُ أَوْ تَزِيدُ عَلَى

الشَّرْعِ، الَّذِي قَدْ تَقَرَّرَ بِالْأَجْتِهَادِ؛ لَا عَلَى الشَّرْعِ الَّذِي شَوَّفَهُ بِهِ مُحَمَّدٌ

272

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَدْ يَظْهَرُ مِنَ الْخَلْفَةِ مَا يُخَالِفُ مَا فِي الْحُكْمِ، فِي تَخْيِيلِ أَنَّهُ  
أَلِفٌ مِنْ

الْأَجْتِهَادِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَإِنَّمَا هَذَا الْإِمَامُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ — مِنْ جِهَةِ

الْكَشْفِ — ذَلِكَ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ. وَلَوْ ثَبَتَ لِحُكْمِهِ. وَإِنْ كَانَ الطَّرِيقُ

فِيهِ الْعَدْلُ عَنِ الْعَدْلِ، فَمَا هُوَ مَعْصُومٌ مِنَ الْوَهْمِ، وَلَا مِنَ النَّقْلِ، عَلَى

الْمَعْنَى، فَمِثْلُ هَذَا يَقَعُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْيَوْمَ، وَكَذَلِكَ يَقَعُ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ

السَّلَامُ، فَإِنَّهُ إِذَا نَزَلَ، يَرْفَعُ كَثِيرًا مِنْ شَرْعِ الْأَجْتِهَادِ الْمَقْرَّرِ، فَيُبَيِّنُ

بِرَفْعِهِ صُورَةَ الْحَقِّ الْمَشْرُوعِ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَا سِيَمًا إِذَا تَعَا رَضَتْ أَحْكَامُ الْأُيُومِ فِي النَّازِلَةِ الْوَاحِدَةِ، فَتَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ

لَوْ نَزَلَ وَحْيٌ، لَنَزَلَ بِأَحَدِ الْوُجُوهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ الْإِلَهِيُّ، وَمَا عَدَاهُ،

وَإِنْ قَرَّرَهُ الْحَقُّ فَهُوَ شَرْعٌ تَقْرِيرٌ. لِرَفْعِ الْحَرَجِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاتِّسَاعِ

الْحُكْمِ فِيهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيَّ السَّلَامُ «إِذَا بُوِيَ عَ الْخَلِيفَةِ تَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا».

هَذَا فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَهَا السَّيْفُ. وَإِنْ اتَّفَقَا فَلَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ

273

أَحَدِهِمَا. بِخِلَافِ الْخِلَافَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا قَتْلَ فِيهَا.

وَإِنَّمَا جَاءَ الْقَتْلُ فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِدِكِ الْخَلِيفَةِ هَذَا

المَقَام، وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ عَدَلَ.

فَمِنْ حُكْمِ الْأَصْلِ الَّذِي بِهِ تَخَيَّلُ وُجُودَ إِلَهَيْنِ.

﴿وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء : ٢٢].

وَأِنْ أُتَّفَقَا: فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَوْ اخْتَلَفَا تَقْدِيرًا، لَنَفَذَ حُكْمُ [٥٢]

وجه]. أَحَدُهُمَا فَالْناذِرُ الْحُكْمُ هُوَ الْإِلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَالَّذِي لَمْ يَنْفُذْ

حُكْمُهُ لَيْسَ بِإِلَهِ.

وَمِنْ هُنَا، تَعَلَّمَ أَنَّ كُلَّ حُكْمٍ يَنْفُذُ إِلَيْهِ وَمِنْ فِي الْعَالَمِ، أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ،

وَأِنْ خَالَفَ الْحُكْمَ الْمُقَرَّرَ فِي الظَّاهِرِ الْمُسَمَّى شَرْعًا، إِذْ لَا يَنْفُذُ حُكْمٌ إِلَّا

لِلَّهِ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ الْوَاقِعَ فِي الْعَالَمِ، إِنَّمَّا هُوَ عَلَى حُكْمِ الْمَشِيئَةِ

الْإِلَهِيَّةِ، لَا عَلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الْمُقَرَّرِ.

274

وَأِنْ كَانَ تَقْدِيرُهُ مِنَ الْمَشِيئَةِ، وَلِذَلِكَ نَفَذَ تَقْدِيرُهُ خَاصَّةً.

فَإِنَّ الْمَشِيئَةَ لَيْسَتْ لَهَا فِيهِ إِلَّا التَّقْدِيرُ، لَا الْعَمَلُ بِمَا جَاءَ بِهِ.

فَالْمَشِيئَةُ سُلْطَانُهَا عَظِيمٌ، وَلِهَذَا جَعَلَهَا أَبْوَطَالِبَ، عَرْشِ الذَّاتِ.

لِأَنَّهُ إِذَا تَقَتَّ ضَمِي الْحُكْمِ، فَلَا يَقَعُ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ وَلَا يَرْتَفِعُ خَارِجًا

عَنِ الْمَشِيئَةِ. فَإِنَّ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ إِذَا خُولِفَ هُنَا بِالْمَسْمَى «مَعَ صِيَّةٍ»، فَلَيْسَ

إِلَّا الْأَمْرُ بِالْوَاسِطَةِ، لَا الْأَمْرُ التَّكْوِينِيُّ.

فَمَا خَالَفَ اللَّهُ أَحَدٌ قَطُّ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ، مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْمَشِيئَةَ،

فَوَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْوَاسِطَةَ. فَافْهَمْ.



وَعَلَى الْحَقِيقَةِ، فَأَمْرُ الْمَشِيئَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى إِيْجَابِ عَيْنِ الْفِعْلِ، لَا عَلَى مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ، فَيَسْتَحِيلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْمَحَلِّ الْخَاصِّ. فَوَقْتًا يُسَمَّى بِهِ مُخَالَفَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَوَقْتًا يُسَمَّى مُوَافَقَةً وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ، وَيَتَّبَعُهُ لِسَانُ الْحَمْدِ وَالذِّمِّ، عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ. وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ، لِذَلِكَ كَانَ مَالُ الْخَلْقِ إِلَى السَّعَادَةِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا. فَعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ، بِأَنَّ الرَّحْمَةَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ أَسْبَقَتْ الْغَضَبَ الْإِلَهِيَّ.

وَالسَّابِقُ مُتَقَدِّمٌ، فَإِذَا لَحِقَهُ هَذَا الَّذِي حَكَمَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ، حَكَمَ عَلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ، فَنَالَتْهُ الرَّحْمَةُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا سَبَقَ. فَهَذَا مَعْنَى: «سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ».

لِتَحْكُمَ عَلَى مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا فِي الْغَايَةِ وَقَفَتْ. وَالْكُلُّ سَالِكٌ إِلَى الْغَايَةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، [٥٢ ظه ر] فَلْأَبْدَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الرَّحْمَةِ، وَمُفَارَقَةِ الْغَضَبِ.

فَيَكُونُ الْحُكْمُ لَهَا فِي كُلِّ وَاصِلٍ إِلَيْهَا، بِحَسَبِ مَا يُعْطِيهِ حَالُ الْوَاصِلِ إِلَيْهَا.

[الطويل]

وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فَهَمْ فَيَأْخُذُهُ عَنَّا  
عَلَيْهِ وَكُنْ بِالْحَالِ فِيهِ كَمَا كُنَّا

١- فَمَنْ كَانَ ذَا فَهَمْ يُشَاهِدُ مَا قُلْنَا  
٢- فَمَا تَمَّ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فَاعْتَمَدَ

٣-فَمِنْهُ إِلَيْنَا مَاتَلَوْنَا عَلَيْكُمْ وَمِنَّا إِلَيْكُمْ مَاوَهَبْنَاكُمْ مِنَّا

وَأَمَّا تَلِينَ الْحَدِيدِ، فَقُلُوبٌ قَاسِيَةٌ، يُلَيِّنُهَا — الزَّجْرُ وَالْوَعِيدُ —

تَلِينَ النَّارِ الْحَدِيدِ.

وَأِنَّمَا الصَّعْبُ قُلُوبٌ أَشَدُّ قَسَاوَةً مِنَ الْجَارَةِ، فَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَكْسَرُهَا وَتُكَلِّسُهَا النَّارُ، وَلَا تُلَيِّنُهَا.

وَمَا أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ إِلَّا لِعَمَلِ الدُّرُوعِ الْوَاقِيَةِ، تَنْبِيْهَا مِنَ اللَّهِ؛ أَيُّ:

لَا يُتَّقَى الشَّيْءُ إِلَّا بِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الدَّرْعَ يُتَّقَى بِهِ السِّنَانُ وَالسَّيْفُ وَالسَّكِّينُ وَالنَّصْلُ، فَاتَّقَيْتَ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ.

فَجَاءَ الشَّرْعُ الْمُحَمَّدِيُّ بِـ«أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، فَافْهَمْ.

فَهَذَا رُوحُ تَلِينَ الْحَدِيدِ، فَهُوَ الْمُنتَقِمُ الرَّحِيمُ. وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

[١٨] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ يُونُسِيَّةٍ﴾

أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِكَمَالِهَا رُوحًا وَجِسْمًا وَنَفْسًا، خَلَقَهَا

اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ، فَلَا يَتَوَلَّى حَلَّ نِظَامِهَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهَا، إِمَّا بِيَدِهِ — وَلَيْسَ

إِلَّا ذَلِكَ — أَوْ بِأَمْرِهِ. وَمَنْ تَوَلَّى لَهَا بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَتَعَدَّى

حَدَّ اللَّهِ فِيهَا وَسَعَى فِي خَرَابٍ مِنْ أَمْرِهِ اللَّهُ بِعِمَارَتِهِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّفَقَةَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَحَقُّ بِالرَّعَايَةِ مِنَ الْغَيْرَةِ فِي اللَّهِ.

أَرَادَ دَاوُدُ بُنْيَانَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَبَنَاهُ مَرَارًا، فَكُلَّمَا فَرَعَ مِنْهُ تَهَدَّمْ،

فَشَكَكَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ بَيْتِي هَذَا لَا يَقُومُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ

سَفَكَ الدَّمَاءَ، فَقَالَ دَاوُدُ: يَا رَبِّ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ؟ قَالَ: بَلَى،

وَلَكِنَّهُمْ أَلَيْسُوا عِبَادِي؟ [٥٣ وجه] قَالَ: يَارَبِّ فَاجْعَلْ بُنْيَانَهُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ

هُوَ مِنِّي، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ أَبْنَكَ سُلَيْمَانَ يَبْنِيهِ.

فَالْغَرَضُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مُرَاعَاةُ هَذِهِ النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّ إِقَامَتَهَا

أَوَّلَى مِنْ هَدْمِهَا أَلَّا تَرَى عَدُوَّ الدِّينِ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمُ الْجَزِيَّةَ

وَالصُّلْحَ إِبْقَاءً عَلَى هِمٍّ؟ وَقَالَ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهُ أَوْ تَوَكَّلْ﴾

[سورة الأنفال : ٦١].

أَلَّا تَرَى مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، كَيْفَ شُرِعَ لِوَلِيِّ الدَّمِّ اخْذُ

الْفِدْيَةِ أَوْ الْعَفْوُ؟ فَإِنْ أَبَى فَحِينَئِذٍ يُقْتَلُ.

أَلَّا تَرَاهُ سُبْحَانَهُ إِذَا كَانَ أَوْلِيَاءُ الدَّمِّ جَمَاعَةً فَرَضِي وَاحِدٌ بِالدِّيَّةِ

أَوْ عَفَا، وَبَاقِي الْأَوْلِيَاءِ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْقَتْلَ، كَيْفَ يُرَاعِي مَنْ عَفَا وَيَرْجَحُ

عَلَى مَنْ لَمْ يَعْفُ، فَلَا يُقْتَلُ قِصَاصًا؟

أَلَّا تَرَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي صَاحِبِ النَّسْعَةِ: «إِنْ قَتَلَهُ كَانَ

مِثْلَهُ»؟

أَلَّا تَرَاهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى : ٤٠]؟

فَجَعَلَ الْقِصَصَ أَحْصَ سَيِّئَةٍ، أَيْ يَسُوءُ ذَلِكَ الْفِعْلُ مَعَ كَوْنِهِ مَشْرُوعًا: ﴿فَمَنْ

عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى : ٤٠]؛ لِأَنَّهُ عَلَى صُورَتِهِ فَمَنْ

عَفَا عَنْهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ، فَأَجْرُهُ عَلَى مَنْ هُوَ عَلَى صُورَتِهِ؛ لِأَنَّهُ أَحَقُّ بِهِ إِذَا أَنْشَأَهُ

لَهُ.

وَمَا ظَهَرَ بِالإِسْمِ «الظَّاهِرِ» إِلَّا بِوُجُودِهِ، فَمَنْ رَاعَاهُ إِنَّمَا يُرَاعِي الْحَقَّ،  
وَمَا يُذَمُّ الْإِنْسَانُ لِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ الْفَعْلُ مِنْهُ، وَفَعْلُهُ لَيْسَ عَيْنَهُ. وَكَلَامُنَا فِي  
عَيْنِهِ، وَلَا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ. وَمَعَ هَذَا ذَمُّ مِنْهَا مَا ذَمُّ. وَحَمْدَ مَا حُمِدَ.

وَلِسَانُ الذَّمِّ عَلَى جِهَةِ الْغَرَضِ مَذْمُومٌ عِنْدَ اللَّهِ.

فَلَا مَذْمُومَ إِلَّا مَا ذَمَّهُ الشَّرْعُ، فَإِنْ ذَمَّ الشَّرْعُ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، أَوْ  
مَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ.

283

كَمَا شُرِعَ الْقِصَاصُ لِلْمَصْلَحَةِ إِبْقَاءً لِهَذَا النُّوعِ، وَإِرْدَاعًا

لِلْمُتَعَدِّي حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[سورة البقرة : ١٧٩] وَهُمْ أَهْلُ لُبِّ الشَّيْءِ الَّذِينَ عَثَرُوا عَلَى سِرِّ النَّوَامِيسِ

الْإِلَهِيَّةِ وَالْحُكْمِيَّةِ.

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ رَاعَى هَذِهِ النَّشْأَةَ وَإِقَامَتَهَا، فَانْتَ أَوَّلَى بِمَرِّ اعَاتِهَا

إِذْ لَكَ بِذَلِكَ السَّعَادَةُ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ حَيًّا، [٥٣ ظهر] يُرْجَى لَهُ تَحْصِيلُ

صِفَةِ الْكَمَالِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ.

وَمَنْ سَعَى فِي هَدْمِهِ، فَقَدْ سَعَى فِي مَنْعِ وُصُولِهِ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

284

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا

هُوَ خَيْرُ لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ — فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ، وَيَضْرِبُوا

رِقَابَكُمْ — ذِكْرُ اللَّهِ».

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِلَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ الذِّكْرَ

285

الْمَطْلُوبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَهُ، وَالْجَلِيسُ مَشْهُودٌ لِلذَّاكِرِ،

وَمَتَى لَمْ يُشَاهِدِ الذَّاكِرُ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ جَلِيسُهُ، فَلَيْسَ بِذَّاكِرٍ.

فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ سَارٍ فِي جَمِيعِ الْعَبْدِ. لَا مَنْ ذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ خَاصَّةً. فَإِنَّ

الْحَقَّ لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَّا جَلِيسَ اللِّسَانِ خَاصَّةً، فَيَرَاهُ اللِّسَانُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ بِمَا هُوَ رَاءَ.

فَافْهَمْ هَذَا السِّرَّ فِي ذِكْرِ الْغَافِلِينَ.

فَالذَّاكِرُ مِنَ الْغَافِلِ، حَاضِرٌ بِلَا شَكٍّ. وَالْمَذْكُورُ جَلِيسُهُ، فَهُوَ يُشَاهِدُهُ.

وَالْغَافِلُ مِنْ حَيْثُ غَفَلَتْهُ لَيْسَ بِذَّاكِرٍ. فَمَا هُوَ جَلِيسُ الْغَافِلِ.

286

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرٌ، مَا هُوَ أَحَدِي الْعَيْنِ. وَالْحَقُّ أَحَدِي الْعَيْنِ، كَثِيرٌ

بِالْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرٌ بِالْأَجْزَاءِ؛ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِ جُزْءٍ مَا،

ذِكْرُ جُزْءٍ آخَرَ.

فَالْحَقُّ جَلِيسُ الْجُزْءِ الذَّاكِرِ مِنْهُ، وَالْآخِرُ مُتَّصِفٌ بِالْغَفْلَةِ عَنِ الذِّكْرِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْإِنْسَانِ جُزْءٌ يَذْكُرُ بِهِ، يَكُونُ الْحَقُّ جَلِيسَ ذَلِكَ

الْجُزْءِ، فَيَحْفَظُ بَاقِيَ الْأَجْزَاءِ بِالْعِنَايَةِ.

وَمَا يَتَوَلَّى الْحَقُّ هَذِهِ النَّشْأَةَ بِالْمُسَمَّى مَوْتًا، فَلَيْسَ بِإِدَامٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ

تَفْرِيقٌ، فَيَأْخُذُهُ إِلَيْهِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الْحَقُّ إِلَيْهِ، ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ

الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣] فَإِذَا أَخَذَهُ إِلَيْهِ، سَوَّى لَهُ مُرَكَّبًا غَيْرَ هَذَا

الْمُرْكَبِ مِنْ جَنْسِ الدَّارِ الَّتِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا، وَهِيَ دَارُ الْبَقَاءِ لَوْجُودِ الْاِعْتِدَالِ.  
فَلَا يَمُوتُ أَبَدًا؛ أَيْ لَا تَفْتَرِقُ أَجْزَاؤُهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ، فَمَأْلُهُمْ إِلَى النَّارِ عِوَضًا، وَلَكِنْ فِي النَّارِ إِذْ لَا بُدَّ لِصُورَةِ النَّارِ  
بَعْدَ انْتِهَاءِ مُدَّةِ الْعِقَابِ أَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا [اقتباس من سورة الأنبياء : ٦٩]  
عَلَى مَنْ فِيهَا، وَهَذَا نَعِيمُهُمْ.

[٥٣-أ وجه] فَنَعِيمُ أَهْلِ النَّارِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ، نَعِيمٌ خَلِيلُ اللَّهِ  
حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَذَّبَ بِرُؤْيَيْهَا وَبِمَا تَعَوَّدَ فِي عِلْمِهِ،  
وَتَقَرَّرَ مِنْ أَنَّهَا صُورَةٌ تُؤْلَمُ مَنْ جَاوَرَهَا مِنَ الْحَيَوَانِ. وَمَا عِلْمُ مُرَادِ اللَّهِ فِيهَا،  
وَمِنْهَا فِي حَقِّهِ.

287

فَبَعْدَ وُجُودِ هَذِهِ الْأَلَامِ، وَجَدَ بَرْدًا وَسَلَامًا، مَعَ شُهُودِ الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ  
فِي حَقِّهِ، وَهِيَ نَارٌ فِي عُيُونِ النَّاسِ، فَالْشَّيْءُ الْوَاحِدُ يَتَنَوَّعُ فِي عُيُونِ  
الْناظِرِينَ؛ هَكَذَا هُوَ التَّجَلِّيُ الْإِلَهِيُّ.

فَإِنْ شَيْءٌ تَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ. وَإِنْ شَيْءٌ قُلْتُ: إِنَّ الْعَالَمَ  
فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَفِيهِ، مِثْلَ الْحَقِّ فِي التَّجَلِّيِ.

فَيَتَنَوَّعُ فِي عَيْنِ الْناظِرِ، بِحَسَبِ مِزَاجِ الْناظِرِ. أَوْ يَتَنَوَّعُ مِزَاجُ الْناظِرِ  
لِتَنَوُّعِ التَّجَلِّيِ؛ وَكُلُّ هَذَا سَائِعٌ فِي الْحَقَائِقِ.

فَلَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ وَالْمَقْتُولَ — أَيْ مَيِّتٌ كَانَ أَوْ أَيْ مَقْتُولٌ كَانَ — إِذَا

مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ، لَمْ يَقْضِ اللَّهُ بِمَوْتِ أَحَدٍ. وَلَا شَرَعَ قَتْلَهُ.

فَالْكُلُّ فِي قَبْضَتِهِ، فَلَا فُقْدَانٌ فِي حَقِّهِ.

فَشَرَعَ الْقَتْلَ وَحَكَمَ بِالْمَوْتِ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ عَبْدَهُ لَا يَفُوتُهُ، فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ،

عَلَى أَنْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣] أَيُّ فِيهِ يَقَعُ

التَّصَرُّفُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ، فَمَا خَرَجَ عَنْهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ عَيْنُهُ، بَلْ هُوِيَّتُهُ

عَيْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ الْكَشْفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود

: ١٢٣].

[١٩] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ غَيْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ أَيُّوبِيَّةٍ﴾

288

أَعْلَمَ أَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ سَرَى فِي الْمَاءِ، فَهُوَ أَصْلُ الْعُنَاصِرِ وَالْأَرْكَانِ، وَلِذَلِكَ

جَعَلَ اللَّهُ ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٠] وَمَا تَمَّ شَيْءٌ إِلَّا

وَهُوَ حَيٌّ، فَإِنَّهُ مَا تَمَّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ [اقتبأ من سورة  
الأسراء :

٤٤]، وَلَكِنْ لَا يُفْقَهُ تَسْبِيحُهُ إِلَّا بِكَ شَفِ إِلَهِي. وَلَا يُسَبِّحُ إِلَّا حَيٌّ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ

حَيٌّ، فَكُلُّ شَيْءٍ الْمَاءُ أَصْلُهُ.

أَلَا تَرَى الْعَرْشَ كَيْفَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُ تَكُونُ فَطْفًا عَلَيْهِ فَهُوَ

يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ [٥٣-أظهر] خَلَقَهُ اللَّهُ عَبْدًا، فَتَكَبَّرَ

عَلَى رَبِّهِ وَعَلَا عَلَيْهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ — مَعَ هَذَا — يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ، بِالنَّظَرِ

إِلَى عُلوِّ هَذَا الْعَبْدِ الْجَاهِلِ بِنَفْسِهِ.

289

وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ دُلِّيْتُمْ بِحَبْلِ لَهَبٍ عَلَى اللَّهِ» فَإِنَّ شَارَ إِلَى

نِسْبَةِ التَّحْتِ إِلَيْهِ، كَمَا نِسْبَتُهُ الْفَوْقِيَّةُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ

فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النح ل: ٥٠] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام : ١٨ و٦١].

فَلَهُ الْفَوْقُ وَالتَّحْتُ.

وَلِهَذَا مَا ظَهَرَتْ الْجِهَاتُ السَّتُّ إِلَّا بِالْإِنْسَانِ، وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ.

وَلَا مُطْعَمَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة المائدة : ٦٦]، ثُمَّ نَكَرَ وَعَمَّ فَقَالَ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ

مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة المائدة : ٦٦]. فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[سورة المائدة : ٦٦] كُلُّ حُكْمٍ مُنْزَلٍ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ أَوْ مُلْهِمٍ، ﴿لَا كُلُوا مِنْ

290

فَوْقِهِمْ﴾ [سورة المائدة : ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعَمُ مِنَ الْفَوْقِيَّةِ، الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة المائدة : ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعَمُ مِنَ التَّحْتِيَّةِ الَّتِي

نَسَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْمُتَرْجِمِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ مَا أُنْحَفَظَ وَجُودُهُ، فَإِنَّهُ بِالْحَيَاةِ يَنْحَفِظُ

وَجُودُ الْحَيِّ، أَلَّا تَرَى الْحَيَّ إِذَا مَاتَ الْمَوْتُ الْعُرْفِيُّ تَنَحَّلُ أَجْزَاءُ نِظَامِهِ،

وَتَتَعَدَّمُ قُوَاهُ عَنْ ذَلِكَ النَّظْمِ الْخَاصِّ.

قَالَ تَعَالَى لَأَيُّوبَ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ [سورة ص : ٤٢]،

يَعْنِي: مَاءٌ بَارِدٌ، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِفْرَاطِ حَرَارَةِ الْأَلَمِ، فَسَكَّنَهُ اللَّهُ بِبَرْدِ الْمَاءِ.

وَلِهَذَا كَانَ الطَّبُّ النَقْصُ مِنَ الزَّائِدِ، وَالزِّيَادَةُ فِي النَّاقِصِ.

فَالْمَقْصُودُ طَلَبُ التَّعْتِدَالِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ يُقَارِبُهُ.



وَإِنَّمَا قُلْنَا: وَلَا سَبِيلَ إِلَيَّ هـ — أَعْنِي اللَّعْتُ دَالٍ — مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْحَقَائِقَ  
وَالشُّهُودَ تُعْطِي التَّكْوِينَ مَعَ الْأَنْفَاسِ عَلَى الدَّوَامِ، وَلَا يَكُونُ التَّكْوِينُ إِلَّا  
عَنْ مِيلٍ يُسَمَّى فِي الطَّبِيعَةِ، يُسَمَّى انْحِرَافًا أَوْ تَعْفِينًا، وَفِي حَقِّ الْحَقِّ  
إِرَادَةً. وَهِيَ: مِيلٌ إِلَى الْمُرَادِ الْخَاصِّ دُونَ غَيْرِهِ. وَاللَّعْتُ دَالٌ يُؤْذِنُ بِالسَّوَاءِ  
فِي الْجَمِيعِ، وَهَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ؛ فَلِهَذَا مَنَعْنَا مِنْ حُكْمِ اللَّعْتِ دَالٍ.  
وَقَدْ وَرَدَ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ النَّبَوِيِّ، اتَّصَافُ الْحَقِّ بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ،  
وَبِالْصِّفَاتِ.

291

[٥٤ وجه] وَالرِّضَا مُزِيلٌ لِلْغَضَبِ. وَالْغَضَبُ مُزِيلٌ لِلرِّضَا، عَنْ الْمُرْضِيِّ  
عَنْهُ. وَاللَّعْتُ دَالٌ أَنْ يَتَسَاوَى الرِّضَا وَالْغَضَبُ، فَمَا غَضِبَ الْغَاضِبُ عَلَى مَنْ  
غَضِبَ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ. فَقَدْ اتَّصَفَ بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ، وَهُوَ  
مِيلٌ. وَمَا رَضِيَ الرَّاضِي عَمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَهُوَ غَاضِبٌ عَلَيْهِ. فَقَدْ اتَّصَفَ  
بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ، وَهُوَ مِيلٌ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا، مِنْ أَجْلِ مَنْ يَرَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَزَالُ غَضِبُ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ دَائِمًا أَبَدًا — فِي زَعْمِهِ — فَمَا لَهُمْ حُكْمُ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، فَصَحَّ  
الْمَقْصُودُ. فَإِنْ كَانَ كَمَا أَقُلْنَا: مَا لُ أَهْلُ النَّارِ إِلَى إِزَالَةِ الْأَلَمِ، وَإِنْ سَكَنُوا  
النَّارَ، فَذَلِكَ رِضًا. فَزَالَ الْغَضَبُ لِزَوَالِ الْأَلَمِ؛ إِذْ عَيْنُ الْأَلَمِ، عَيْنُ الْغَضَبِ.  
إِنْ فَهَمْتَ.

292

فَمَنْ غَضِبَ، فَقَدْ تَأَذَّى، فَلَا يَسْ عَى فِي أَنْتِقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ بِإِيلَامِهِ،

إِلَّا لِيَجِدَ الْغَاضِبُ الرَّاحَةَ بِذَلِكَ. فَيَنْتَقِلُ الْأَلَمُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ إِلَى  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ. وَالْحَقُّ إِذَا أَفْرَدَتْهُ عَنِ الْعَالَمِ، يَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا عَنْ هَذِهِ  
الصِّفَةِ، عَلَى هَذَا الْحَدِّ. وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوِيَّةَ الْعَالَمِ. فَمَا ظَهَرَتِ الْأَحْكَامُ  
كُلُّهَا إِلَّا فِيهِ وَمِنْهُ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود : ١٢٣]، حَقِيقَةً وَكَشْفًا،  
و﴿أَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣]، حِجَابًا وَسِتْرًا.

فَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ، أَبَدَ عَمِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لِأَنَّهُ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ  
أَوْجَدَهُ اللَّهُ؛ أَيَّ ظَهَرَ وَجُودُهُ تَعَالَى بِظُهُورِ الْعَالَمِ، كَمَا أَظْهَرَ الْإِنْسَانُ بِوُجُودِ  
الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

فَنَحْنُ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ، وَهُوِيَّتُهُ رُوحُ هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُدْبَّرَةِ لَهَا، فَمَا كَانَ  
التَّدْبِيرُ إِلَّا فِيهِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مِنْهُ، فَهُوَ «الْأَوَّلُ» بِالْمَعْنَى وَ«الْآخِرُ»  
بِالصُّورَةِ، وَهُوَ «الظَّاهِرُ» بِتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ وَالْأَحْوَالِ، وَ «الْبَاطِنُ» بِالتَّدْبِيرِ،  
﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [قص دابن الع ربي سورة الحديد : ٣، لكن وردت الآية  
أَيْضاً فِي

293

سورة البقرة : ٢٩، الأنعام : ١٠١]؛ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لِيَعْلَمَ لَمْ عَنْ  
شُهُودٍ، لَا

عَنْ فِكْرٍ.

فَكَذَلِكَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ، لَا عَنْ فِكْرٍ. وَهُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ، وَمَاعِدَاهُ

فَحَدْسٌ وَتَخْمِينٌ، لَيْسَ بِعِلْمٍ أَصْلًا.

ثُمَّ كَانَ [٥٤ ظهر] لِيُؤَبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ شَرَابًا، لِإِزَالَةِ أَلَمِ الْعَطَشِ الَّذِي هُوَ  
 مِنَ النَّصَبِ وَالْعَذَابِ، الَّذِي مَسَّهُ بِهِ الشَّيْطَانُ، أَيْ: الْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ أَتَقَرُّ أَنْ  
 يُدْرِكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

فَيَكُونُ بِإِدْرَاكِهَا فِي مَحَلِّ الْقُرْبِ، فَكُلُّ مَشْهُودٍ قَرِيبٌ مِنَ الْعَيْنِ، وَلَوْ  
 كَانَ بَعِيدًا بِالسَّافَةِ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حَيْثُ شُهِدَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ  
 يَشْهَدَهُ، أَوْ يَتَّصِلُ الْمَشْهُودُ بِالْبَصَرِ كَيْفَ كَانَ، وَهُوَ قُرْبٌ بَيْنَ الْبَصَرِ وَالْمُبْصَرِ.  
 وَلِهَذَا اكْتَنَى أَيُّوبُ فِي [إشارة إلى سورة الأَنْبِيَاءِ: ٨٣-٨٤]، فَأَضَافَهُ  
 الْمَسَّ إِلَى

الشَّيْطَانِ مَعَ قُرْبِ الْمَسِّ فَقَالَ: الْبَعِيدُ مِنِّي، قَرِيبٌ، لِحُكْمِهِ فِيَّ.  
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْبُعْدَ وَالْقُرْبَ أَمْرَانِ إِضَافِيَّانِ، فَهُمَا نِسْبَتَانِ لَا وُجُودَ  
 لَهُمَا فِي الْعَيْنِ، مَعَ ثُبُوتِ أَحْكَامِهِمَا فِي الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ.  
 وَأَعْلَمَ أَنَّ سِرَّ اللَّهِ فِي أَيُّوبَ، الَّذِي جَعَلَهُ عِبْرَةً لَنَا، وَكِتَابًا مَسْطُورًا،  
 حَاكِيًا تَقْرَأُهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، لِتَعْلَمَ مَا فِيهِ، فَيَلْحَقُ بِصَاحِبِهِ تَشْرِيفًا لَهَا.  
 فَأَتْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ — أَعْنِي: عَلَى أَيُّوبَ — بِالصَّبْرِ، مَعَ دُعَائِهِ فِي رَفْعِ  
 الضُّرِّ عَنْهُ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا اللَّهَ فِي كَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ، لَا يَقْدَحُ فِي  
 صَبْرِهِ.

وَأَنَّهُ صَابِرٌ، وَأَنَّهُ نِعَمَ الْعَبْدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧، ٣٠،  
 ٤٤] أَيْ: رَجَّأُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى الْأَسْبَابِ. وَالْحَقُّ يَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالسَّابِّ؛  
 لِأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ، إِذَا الْأَسْبَابُ الْمُزِيلَةُ لِأَمْرِ مَا كَثِيرَةٌ، وَالْمُسَبَّبُ وَاحِدٌ

العين. فَرَجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى الْوَاحِدِ الْعَيْنِ، الْمُزِيلُ بِالسَّبَبِ، ذَلِكَ الْأَلَمُ، أَوَّلَى  
مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، رُبَّمَا لَا يُوَافِقُ عِلْمَ اللَّهِ فِيهِ.

فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي، وَهُوَ مَادَعَاهُ، وَإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى سَبَبٍ  
خَاصٍّ، لَمْ يَقْتَضِهِ الزَّمَانُ وَلَا الْوَقْتُ.  
فَعَمِلَ أَيُّوبُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ، إِذْ كَانَ نَبِيًّا.

لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الصَّبْرَ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى — عِنْدَ  
الطَّائِفَةِ — وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَدِّ الصَّبْرِ عِنْدَنَا؛ وَإِنَّمَا حَدُّهُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ  
الشَّكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ، لَا إِلَى اللَّهِ.

فَحَاجِبُ الطَّائِفَةِ [٥٥ وجه] نَظَرُهُمْ، فِي أَنَّ الشَّأْنَ أَكْبَرُ يَفْدَحُ بِالشَّكْوَى فِي  
الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَا تَقْدَحُ فِيهِ الشَّكْوَى  
إِلَى اللَّهِ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ. وَإِنَّمَا يَقْدَحُ فِي الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ، وَنَحْنُ مَا خُوطِبْنَا  
بِالرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ. وَالضَّرُّ هُوَ الْمَقْضِيُّ، مَا هُوَ عَيْنُ الْقَضَاءِ.

وَعَلِمَ أَيُّوبُ أَنَّ فِي حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ، فِي رَفْعِ الضَّرِّ،  
مُقَاوَمَةَ الْقَهْرِ الْإِلَهِيِّ؛ وَهُوَ جَهْلٌ بِالشَّخْصِ، إِذْ أَبْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا تَتَأَلَّمُ مِنْهُ  
نَفْسُهُ، فَلَا يَدْعُو اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُؤَلَّمِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ — عِنْدَ

الْمُحَقِّقِ — أَنْ يَتَضَرَّعَ، وَيَسْأَلَ اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ، إِزَالَةُ عَنْ  
جَنَابِ اللَّهِ، عِنْدَ الْعَارِفِ صَاحِبِ الْكَشْفِ.

فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُؤَذَى. فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ ﴿[سورة الأحز اب : ٥٧]. وَآيُّ أَدْنَى أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيكَ بِبَلَاءٍ عِنْدَ

غَفْلَتِكَ عَنْهُ، أَوْ عَنْ مَقَامٍ إِلَهِيٍّ لَا تَعْلَمُهُ، لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ بِالشُّكُوى، فَيَرْفَعَهُ

عَنْكَ. فَيَصِحُّ الْاِفْتِقَارُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَتُكَ، فَيَرْتَفِعُ عَنِ الْحَقِّ الْأَدْنَى،

بِسُؤَالِكَ إِيَّاهُ فِي رَفْعِهِ عَنْكَ. إِذْ أَنْتَ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ.

كَمَا جَاعَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فَبَكَى. فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ — مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ

فِي هَذَا الْفَنِّ — مُعَاتِبًا لَهُ. فَقَالَ الْعَارِفُ: «إِنَّمَا جَوَّعَنِي لِابْكِي». يَقُولُ:

«إِنَّمَا أَبْتَلَانِي بِالضَّرِّ، لِأَسْأَلَهُ فِي رَفْعِهِ عَنِّي، وَذَلِكَ لِأَيْقَدَحُ فِي كَوْنِي

صَابِرًا».

فَعَلِمْنَا أَنَّ الصَّبْرَ، إِنَّمَا هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّدِّ كَوْنِي لِغَيْرِ اللَّهِ. وَأَعْنِي

بِالْغَيْرِ: وَجْهًا خَاصًّا مِنْ وَجْهِهِ اللَّهِ، وَقَدْ عَيَّنَ الْحَقُّ وَجْهًا خَاصًّا مِنْ وَجْهِهِ

اللَّهِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى: «وَجْهَ الْهُويَّةِ»، فَيَدْعُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ فِي رَفْعِ الضَّرِّ،

لَا مِنْ الْوُجُوهِ الْأُخْرَى، الْمُسَمَّاةِ أَسْبَابًا؛ وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ تَفْصِيلُ

الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ.

فَالْعَارِفُ لَا يَحْجُبُ هَذَا سُؤَالَهُ هُوِيَّةَ الْحَقِّ فِي رَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُ، عَنْ أَنْ تَكُونَ

جَمِيعُ الْأَسْبَابِ عَيْنُهُ، مِنْ حَيْثِيَّةٍ خَاصَّةٍ، [٥٥ ظهر] وَهَذَا لَا يَلْزِمُ طَرِيقَتَهُ إِلَّا

الْأُدْبَاءُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، الْأُمْنَاءُ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ. فَإِنَّ لِلَّهِ أُمْنَاءً، لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا

اللَّهُ، وَيَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَقَدْ نَصَحْنَاكَ فاعْمَلْ. وَإِيَّاهُ — سُبْحَانَهُ — فَاسْأَلْ.

[٢٠] ﴿فَصْ حِكْمَةً جَلَالِيَّةً فِي كَلِمَةٍ يَحْيَوِيَّةٍ﴾

هَذِهِ حِكْمَةُ الْأَوَّلِيَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ: «يَحْيَى» أَي: يَحْيَا بِهِ

ذِكْرُ زَكْرِيَّا وَ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم : ٧].

فَجَمَعَ بَيْنَ حُصُولِ الصِّفَةِ الَّتِي فِيْمَنْ غَبَرَ مِنْ تَرَكَ وَلَدًا يَحْيَا بِهِ

ذِكْرُهُ، وَبَيَّنَ اسْمَهُ بِذَلِكَ، فَسَمَّاهُ: «يَحْيَى»، فَكَانَ اسْمُهُ يُحْيِي كَالْعِلْمِ

الذَّوْقِي.

فَإِنَّ آدَمَ حَيَّيَ ذِكْرُهُ بِشَيْئٍ، وَنُوحًا حَيَّيَ ذِكْرُهُ بِسَامٍ، وَكَذَلِكَ

الْأَنْبِيَاءُ. وَلَكِنْ مَا جَمَعَ اللَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ يَحْيَى بَيْنَ الْأَسْمِ الْعِلْمِ مِنْهُ وَبَيْنَ

الصِّفَةِ، إِلَّا لِزَكْرِيَّا عِنَايَةً مِنْهُ.

إِذْ قَالَ: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم : ٥]، فَقَدْ دَمَّ الْحَقُّ عَلَى

ذِكْرٍ وَلَدِهِ كَمَا قَدِّمْتَ أَسِيَّةَ ذِكْرِ الْجَارِ عَلَى الدَّارِ فِي قَوْلِهِ أ: ﴿عِنْدَكَ بَيِّتًا

فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم : ١١].

فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِأَنْ قَضَى حَاجَتَهُ، وَسَمَّاهُ بِصِفَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ اسْمُهُ هُتَدًى  
كَارًا

لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ نَبِيُّهُ زَكْرِيَّا، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرُ بَقَاءِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي عَقْبِهِ، إِذْ

الْوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ، فَقَالَ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم : ٦]

وَلَيْسَ ثُمَّ مَوْرُوثٌ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَقَامَ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ بَشَّرَهُ بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ سَلَامِهِ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ

حَيًّا. فَجَاءَ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ اسْمُهُ، وَأَعْلَمَ بِسَلَامِهِ عَلَيْهِ، وَكَلَّامُهُ صِدْقٌ،

فَهُوَ مَقْطُوعٌ بِهِ.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُ الرُّوحِ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم : ٣٣] أَكْمَلَ فِي التَّحَادِ، فَهَذَا أَكْمَلُ فِي التَّحَادِ  
وَالْاعْتِقَادِ، وَأَرْفَعُ لِلتَّأْوِيلَاتِ.

فَإِنَّ الَّذِي أَنْخَرَقَتْ فِيهِ الْعَادَةُ فِي حَقِّ عِيسَى إِنَّمَا هُوَ النُّطْقُ، فَقَدْ  
تَمَكَّنَ عَقْلُهُ وَتَكَمَّلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي أَنْطَقَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَلْزَمُ  
لِلْمَتَمَكِّنِ مِنَ النُّطْقِ — عَلَى أَيِّ حَالَةٍ، كَانَ — الصَّدْقُ فِيمَا بِهِ يَنْطِقُ،  
بِخِلَافِ الْمَشْهُودِ لَهُ كَيَحْيَى.

300

فَسَلَامُ الْحَقِّ عَلَى يَحْيَى — مِنْ هَذَا الْوَجْهِ — أَرْفَعُ لِلْإِلْتِزَامِ بِأَسِ الْوَاقِعِ  
فِي الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ [٥٦ وجه] بِهِ مِنْ سَلَامِ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَتْ  
قَرَأْنُ الْأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَصِدْقِهِ، إِذْ نَطَقَ فِي  
مَعْرِضِ الدَّلَالَةِ عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ فِي الْمَهْدِ، فَهُوَ أَحَدُ الشَّاهِدِينَ، وَالشَّاهِدُ  
الْآخِرُ: هَزُّ الْجَذْعِ الْيَابِسِ، فَسَقَطَ رُطْبًا جَنِيًّا، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ  
وَلَا تَذْكِيرٍ، كَمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ عِيسَى مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، وَلَا ذَكَرٍ، وَلَا جَمَاعٍ  
عُرْفِيٍّ مُعْتَادٍ.

لَوْ قَالَ نَبِيٌّ: «أَيَّتِي وَمُعْجِزَتِي أَنْ يَنْطِقَ هَذَا الْحَايُّ»، فَنَطَقَ الْحَايُّ،  
وَقَالَ فِي نُطْقِهِ: «تَكْذِيبُ، مَا أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ». لَصَحَّتِ الْآيَةُ وَثَبَّتَ بِهِ أَنَّهُ  
رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يُلْتَفَتْ إِلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْحَايُّ. فَلَمَّا دَخَلَ هَذَا اللَّحْتَ مَالُ فِي

301

كَلَامُ عِيسَى بِإِشَارَةِ أُمِّهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، كَأَنَّهُ يَنْصُ: «كَانَ سَلَامٌ  
يَحْيَى أَرْفَعَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

فَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ «أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ»، مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِيهِ: «إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ»،  
وَفَرَّغَتْ الدَّلَالَةُ بِمَجَرَّدِ النَّطْقِ، وَ«أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ» عِنْدَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى،  
الْقَائِلَةُ بِالنُّبُوَّةِ، وَبَقِيَ مَا زَادَ فِي حُكْمِ الْإِحْتِمَالِ فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، حَتَّى  
ظَهَرَ رَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ صِدْقُهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْمَهْدِ . فَتَحَقَّقَ مَا أَشَدَّ  
رُتَابًا  
إِلَيْهِ.

[٢١] ﴿فَصُ حِكْمَةً مَالِكِيَّةً فِي كَلِمَةٍ زَكْرِيَّاوِيَّةً﴾

302

أَعْلَمَ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَجُودًا وَحُكْمًا. وَأَنَّ وَجُودَ  
الْغَضَبِ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ بِأَلْغَضَبِ، فَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ؛ أَي: سَبَقَتْ نِسْبَةُ  
الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ، نِسْبَةُ الْغَضَبِ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ عَيْنٍ وَجُودٌ، يَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ، لِذَلِكَ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ  
عَيْنٍ.

303

فَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي رَحِمَهُ بِهَا، قَبْلَ رَغْبَتِهِ فِي وَجُودِ عَيْنِهِ،  
فَأَوْجَدَهَا. فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَجُودًا  
وَحُكْمًا.

وَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ تَرْجِعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. فَأَوَّلُ  
مَا وَسِعَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ، شَيْئِيَّةُ تِلْكَ الْعَيْنِ، الْمُوْجِدَةُ لِلرَّحْمَةِ بِالرَّحْمَةِ.



فَأَوَّلُ شَيْءٍ وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ نَفْسَهَا، ثُمَّ الشَّيْئَةُ الْمُشَارَ إِلَيْهَا، ثُمَّ شَيْئَةُ  
كُلِّ مَوْجُودٍ [ظهر] يُوجَدُ إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي، دُنْيَا وَآخِرَةً، وَعَرَضًا وَجَوْهَرًا،  
وَمُرَكَّبًا وَبَسِيطًا.

وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهَا حُصُولُ غَرَضٍ وَلَا مُلَاءَمَةٌ طَبَعٍ؛ بَلْ — الْمَلَأِيمُ وَغَيْرُ  
الْمَلَأِيمِ — كُلُّهُ وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَجُودًا.

وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي الْفُتُوحَاتِ أَنَّ الْأَثَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْدُومِ لَا لِلْمَوْجُودِ.  
وَإِنْ كَانَ لِلْمَوْجُودِ فَيَحْكُمُ الْمَعْدُومُ: وَهُوَ عِلْمٌ غَرِيبٌ، وَمَسْأَلَةٌ نَائِرَةٌ،  
وَلَا يَعْلَمُ تَحْقِيقَهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْأَوْهَامِ، فَذَلِكَ بِالدَّوْقِ عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا مَنْ  
لَا يُؤَثِّرُ الْوَهْمُ فِيهِ، فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. [البسيط]

١- فَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ سَارِيَّةٌ

وَفِي الذَّوَاتِ وَفِي الْأَعْيَانِ جَارِيَّةٌ

٢- مَكَانَةُ الرَّحْمَةِ الْمُتَلَّى إِذَا عُلِمَتْ

مِنَ الشُّهُودِ مَعَ الْأَفْكَارِ عَالِيَّةٌ

فَكُلُّ مَنْ ذَكَرْتُهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ سَعِدَ، وَمَا ثُمَّ إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُهُ الرَّحْمَةُ. وَذِكْرُ

الرَّحْمَةِ الْأَشْيَاءِ عَيْنُ إِيجَادِهَا إِيَّاهَا، فَكُلُّ مَوْجُودٍ مَرْحُومٌ. وَلَا تُخَجَبُ —

يَا وَلِيُّ — عَنْ إِدْرَاكِ مَا قُلْنَا هُ، بِمَا تَرَاهُ مِنْ أَصْحَابِ الْبَلَاءِ، وَمَا تُؤْمِنُ بِهِ مِنْ

الْأَمِ الْآخِرَةِ، الَّتِي لَا تَفْتُرُ عَمَّنْ قَامَتْ بِهِ.

وَأَعْلَمُ أَوَّلًا أَنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْإِيجَادِ عَامَّةٌ. فَبِالرَّحْمَةِ بِالْأَلَامِ،

أَوْجَدَ الْآلَامَ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ لَهَا الْأَثَرُ بِوَجْهَيْنِ: أَثَرٌ بِالذَّاتِ؛ وَهُوَ إِيجَادُهَا كُلَّ عَيْنٍ  
مَوْجُودَةٍ. وَلَا تَنْظُرُ إِلَى غَرَضٍ وَلَا إِلَى عَدَمٍ غَرَضٍ، وَلَا إِلَى مُلَائِمٍ وَلَا إِلَى  
غَيْرِ مُلَائِمٍ: فَإِنَّهَا نَاطِرَةٌ فِي عَيْنِ كُلِّ مَوْجُودٍ، قَبْلَ وُجُودِهِ؛ بَلْ تَنْظُرُهُ فِي  
عَيْنِ ثُبُوتِهِ.

وَلِهَذَا رَأَتْ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ فِي الْأَعْتِقَاتِ عَيْنًا ثَابِتَةً فِي الْعُيُونِ الثَّابِتَةِ،

فَرَحِمَتْهُ بِنَفْسِهَا بِالْإِيجَادِ.

وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ فِي الْأَعْتِقَاتِ، أَوَّلُ شَيْءٍ مَرْحُومٍ،

307

بَعْدَ رَحْمَتِهَا بِنَفْسِهَا، فِي تَعَلُّقِهَا بِالْإِيجَادِ الْمَرْحُومِينَ.

وَلَهَا أَثَرٌ آخَرٌ بِالسُّؤَالِ، فَيَسْأَلُ الْمَحْجُوبُونَ الْحَقَّ أَنْ يَرْحَمَهُمْ فِي

أَعْتِقَادِهِمْ.

وَأَهْلُ الْكَشْفِ يَسْأَلُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ أَنْ تَقُومَ بِهِمْ، فَيَسْأَلُونَهَا بِاسْمِ اللَّهِ

فَيَقُولُونَ: [٥٧ وجه] «يَا اللَّهُ أَرْحَمْنَا». وَلَا يَرْحَمُهُمْ إِلَّا قِيَامُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

فَلَهَا الْحُكْمُ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ، لِلْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالْمَحَلِّ،

فَهُوَ الرَّاحِمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُعْتَنَى بِهِمْ إِلَّا بِالرَّحْمَةِ.

فَإِذَا قَامَتْ بِهِمُ الرَّحْمَةُ، وَجَدُوا حُكْمَهَا ذَوْقًا.

فَمَنْ ذَكَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ رُحِمَ. وَاسْمُ الْفَاعِلِ هُوَ: «الرَّحِيمُ»

و«الرَّاحِمُ».

وَالْحُكْمُ لَا يَتَّصِفُ بِالْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ تُوجِبُهُ الْمَعَانِي لِذَوَاتِهَا.

فَالْأَحْوَالُ لَمْ تَوْجِدْ وَلَا مَعْدُومَةٌ. أَيْ: لَا عَيْنَ لَهَا فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّهَا

نِسْبَةٌ. وَلَا مَعْدُومَةٌ فِي الْحُكْمِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَامَ بِهِ الْعِلْمُ، يُسَمَّى عَالِمًا، وَهُوَ

الْحَالُ.

فَعَالِمُ ذَاتٍ مَوْصُوفَةٌ بِالْعِلْمِ، مَا هُوَ عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَا عَيْنُ الْعِلْمِ. وَمَا تَمَّ إِلَّا

عِلْمٌ وَذَاتٌ، قَامَ بِهَا هَذَا الْعِلْمُ، وَكَوْنُهُ عَالِمًا، حَالٌ لِهَذِهِ الذَّاتِ، بِاتِّصَافِهَا

بِهَذَا الْمَعْنَى، فَحَدَّثَتْ نِسْبَةُ الْعِلْمِ إِلَيْهِ، فَهُوَ الْمُسَمَّى عَالِمًا.

وَالرَّحْمَةُ — عَلَى الْحَقِّ يَقَعُ — نِسْبَةٌ مِنَ الرَّاحِمِ، وَهِيَ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُكْمِ،

فَهِيَ الرَّاحِمَةُ. وَالَّذِي أَوْجَدَهَا فِي الْمَرْحُومِ، مَا أَوْجَدَهَا لِرَّحْمَتِهَا بِهَا، وَإِنَّمَا

أَوْجَدَهَا لِرَّحْمَتِهَا بِهَا مَنْ قَامَتْ بِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ، لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَوَادِثِ، فَلَيْسَ بِمَحَلٍّ لِإِيجَادِ الرَّحْمَةِ فِيهِ،

وَهُوَ الرَّاحِمُ. فَلَا يَكُونُ الرَّاحِمُ رَاحِمًا إِلَّا بِقِيَامِ الرَّحْمَةِ بِهِ، فَتَبَتِ أَنَّ عَيْنَ

الرَّحْمَةِ.

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَا كَانَ لَهُ فِيهِ قَدَمٌ، مَا أَجْتَرَأَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ عَيْنُ

الرَّحْمَةِ أَوْ عَيْنُ الصِّفَةِ. فَقَالَ: مَا هُوَ عَيْنُ الصِّفَةِ وَلَا غَيْرُهَا، فَصِفَاتُ الْحَقِّ

عِنْدَهُ لَا هِيَ هُوَ، وَلَا هِيَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْيِهَا، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ

يَجْعَلَهَا عَيْنَهُ. فَعَدَلَ إِلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَهِيَ عِبَارَةُ حَسَنَةٍ، وَغَيْرُهَا أَحَقُّ بِالْأَمْرِ

مِنْهَا، وَأَرْفَعُ لِلْإِشْكَالِ.

وَهُوَ الْقَوْلُ بِنَفْيِ أَعْيَانِ الصِّفَاتِ، وَجُودًا قَائِمًا بِذَاتِ الْمُوصُوفِ.

309

وَإِنَّمَا هِيَ نِسْبٌ وَإِضَافَاتٌ، بَيْنَ الْمُوصُوفِ بِهَا وَبَيْنَ أَعْيَانِهَا الْمَعْقُولَةِ.

وَإِنْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ جَامِعَةً، فَإِنَّهََا بِالنِّسْبَةِ إِلَى [٥٧ ظهر] كُلِّ أَسْمٍ إِلَهِيٍّ

مُخْتَلَفَةٍ، فَلِهَذَا يُسْأَلُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْحَمَ بِكُلِّ أَسْمٍ إِلَهِيٍّ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَالْكِنَايَةُ هِيَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

ثُمَّ لَهَا شُعَبٌ كَثِيرَةٌ، تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، فَمَا تَعُمُّ بِالنِّسْبَةِ

إِلَى ذَلِكَ الْأَسْمِ الْخَاصِّ الْإِلَهِيِّ، فِي قَوْلِ السَّائِلِ: «يَا رَبَّ ارْحَمِ». وَغَيْرِ

ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ، حَتَّى الْمُنْتَقِمِ، لَهُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُنْتَقِمُ ارْحَمْنِي».

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ، وَتَدُلُّ بِحَقَائِقِهَا

310

عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَيَدْعُو بِهَا فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ حَيْثُ دَلَّلتْهَا عَلَى الذَّاتِ،

الْمُسَمَّاةِ بِذَلِكَ الْأَسْمِ لِأُغْيَرٍ.

لَا بِمَا يُعْطِيهِ مَدُّ لَوْلٍ ذَلِكَ الْأَسْمِ، الَّذِي يَنْفَصِلُ بِهِ عَنْ غِيَرِهِ وَيَتِمِّي زُ، فَإِنَّهُ

لَا يَتِمِّي زُ عَنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ دَلِيلُ الذَّاتِ، وَإِنَّمَا يَتِمِّي زُ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ

لِذَاتِهِ، إِذَا الْمُصْطَلَحُ عَلَيْهِ — بِأَيِّ لَفْظٍ كَانَ — حَقِيقَةُ مُتَمَيِّزَةٍ بِذَاتِهِ أَوْ عَنْ

غَيْرِهَا.

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ قَدْ سَبَقَ لِيَدُلُّ عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مُسَمَّاةٍ، فَلَا خِلَافَ فِي

أَنَّهُ لِكُلِّ أَسْمٍ حُكْمٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ، فَذَلِكَ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَبَرَ كَمَا يُعْتَبَرُ

دَلَّلتْهَا عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ.

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ قَسِيٍّ فِي الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ : إِنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ  
عَلَى أَنْفَرِ إِدِهِ، مُسَمًّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ كُلِّهَا، إِذَا قَدَّمْتَهُ فِي الذِّكْرِ، نَعْتُهُ

بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، وَذَلِكَ لِذِلَالَتِهَا عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ تَكَثَّرَتِ الْأَسْمَاءُ  
عَلَيْهَا، وَاخْتَلَفَتْ حَقَائِقُهَا، أَيْ: حَقَائِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ تُنَالُ عَلَى طَرِيقَيْنِ: طَرِيقُ الْوُجُوبِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَاكُنْ بِهَا

311

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦]. وَمَاقِيْدَهُمْ بِهِ مِنْ  
الْصِّفَاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ.

وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ هَذِهِ الرَّحْمَةُ، طَرِيقُ الْأَمْتِنَانِ الْإِلَهِيِّ،  
الَّذِي لَا يَبْقَى تَرْنٌ بِهِ عَمَلٌ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَرَحِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف  
١٥٦]، وَمِنْهُ قِيلَ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح  
٢٠] وَمِنْهَا قَوْلُهُ: «أَعْمَلُ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

[٥٨ وجه]

312

[٢٢] ﴿فَصُ حِكْمَةً إِيْنَاسِيَّةً فِي كَلِمَةِ إِيْنَاسِيَّةٍ﴾

إِلْيَاسُ — وَهُوَ إِدْرِيسُ — كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ، وَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا،

فَهُوَ فِي قَلْبِ الْأَفْلَاقِ سَاكِنٌ وَهُوَ فَلَكَ الشَّمْسُ. ثُمَّ بُعِثَ إِلَى قَرْيَةٍ

بَعْلَبَكَّ، وَ «بَعْلُ» اسْمُ صَنْمٍ، وَ «بَكَّ» هُوَ سُلْطَانُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ؛ وَكَانَ

هَذَا الصَّنَمُ الْمُسَمًّى بَعْلًا، مَخْصُوصًا بِأَمْلِكٍ. وَكَانَ إِيْلَاسُ — الَّذِي هُوَ

313

إِدْرِيسُ — قَدْ مُثِّلَ لَهُ أَنْفِلَاقُ الْجَبَلِ الْمُسَمَّى لُبْنَانَ — مِنَ اللَّبَانَةِ وَهِيَ  
الْحَاجَةُ — عَنْ فَرَسٍ مِنْ نَارٍ، وَجَمِيعُ آلَاتِهِ مِنْ نَارٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَكِبَ عَلَيْهِ،  
فَسَقَطَتْ عَنْهُ الشَّهْوَةُ، فَكَانَ عَقْلًا بِلاَ شَهْوَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ  
الْأَغْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ.

فَكَانَ الْحَقُّ فِيهِ مُنَزَّهًا، وَكَانَ عَلَى النِّصْفِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، فَإِنَّ  
الْعَقْلَ إِذَا تَجَرَّدَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ أَخَذَهُ الْعُلُومَ عَنْ نَظَرِهِ، كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ  
بِاللَّهِ

عَلَى التَّنْزِيهِ لَا عَلَى التَّشْبِيهِ.

وَإِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْمَعْرِفَةَ بِالتَّجَلِّيِّ، كَمْ لَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ، فَنَزَّهَ فِي مَوْضِعٍ،  
وَشَبَّهَ فِي مَوْضِعٍ.

وَرَأَى سَرِيانَ الْحَقِّ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيِّ وَالْعُنْصُرِيَّةِ، وَمَابَقِيَتْ لَهُ صُورَةٌ  
إِلَّا وَيرَى عَيْنَ الْحَقِّ عَيْنَهَا.

وهذه المعرفة التامة التي جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله،  
وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها.

ولذلك كانت الأوهام أقوى سلطاناً في هذه النشأة من العقول؛ لأنَّ  
العَاقِلَ وَلَوْ بَلَغَ مَا بَلَغَ — فِي عَقْلِهِ — لَمْ يَخُلْ عَنْ حُكْمِ الْوَهْمِ عَلَيْهِ،  
وَالْتَّصُورِ فِيمَا عَقِلَ.

فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية، وبِهِ  
جَاءَتِ الشَّرَائِعُ الْمُنْزَلَةُ، فَشَبَّهَتْ وَنَزَّهَتْ، شَبَّهَتْ فِي التَّنْزِيهِ بِالْوَهْمِ،

وَنَزَّهَتْ فِي التَّشْبِيهِ بِالْعَقْلِ، فَأَرْتَبَتْ الْكُلَّ بِالْكُلِّ، فَلَمْ يَتِمَّ أَنْ يَخْلُو  
تَنْزِيَهُ عَنْ تَشْبِيهِهِ، وَلَا تَشْبِيَهُ عَنْ تَنْزِيهِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] [٥٨ ظهر]

فَنَزَّهَ وَشَبَّهَ. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، فَشَبَّهَ.

وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ تَنْزِيهِ نَزَلَتْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَخُلْ عَنْ تَشْبِيهِ بِالْكَافِ، فَهُوَ  
أَعْلَمُ الْعُلَمَاءِ بِنَفْسِهِ، وَمَا عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ  
رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠].

وَمَا يَصِفُونَهُ إِلَّا بِمَا أُتُغِيهِ عَقْلُهُمْ، فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ تَنْزِيهِهِمْ، إِذْ حَدَّوهُ

315

بِذَلِكَ التَّنْزِيهِ، وَذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُقُولِ عَنْ إدْرَاكِ مِثْلِ هَذَا.

ثُمَّ جَاءَتْ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ الْأَوْهَامُ، فَلَمْ تُخْلِ الْحَقَّ عَنْ

صِفَةٍ يَظْهَرُ فِيهَا، كَذَا قَالَتْ، وَبِذَا جَاءَتْ، فَعَمِلَتْ الْأُمَمُ عَلَى ذَلِكَ،

فَاعْطَاهَا الْحَقُّ التَّجَلِّيَ، فَلَحِقَتْ بِالرُّسُلِ وَرِاثَةً، فَنَطَقَتْ بِمَا نَطَقَتْ بِهِ

رُسُلُ اللَّهِ. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، مُوجَّهٌ لَهُ: وَجْهٌ بِالْخَبَرِيَّةِ إِلَى رُسُلِ اللَّهِ. وَلَهُ وَجْهٌ بِالْأَيْدِاءِ

إِلَى ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤]؛ وَكِلاَ الْوَجْهَيْنِ  
حَقِيقَةُ

فِيهِ؛ لِذَلِكَ قُلْنَا بِالتَّشْبِيهِ فِي التَّنْزِيهِ، وَبِالتَّنْزِيهِ فِي التَّشْبِيهِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ هَذَا أَفْذَرْخِي السُّتُورَ، وَنَسْدِلُ الْحُجُبَ، عَلَى عَيْنِ الْمُنْتَقِدِ

وَالْمُعْتَقِدِ؛ وَإِنْ كَانَا مِنْ بَعْضِ صُورِ مَا تَجَلَّى فِيهَا الْحَقُّ.

وَلَكِنْ قَدْ أَمَرَ، بِالسَّتْرِ، لِيُظْهَرَ تَفَاضُلُ اسْتِعْدَادِ الصُّورِ، وَإِنَّ الْمُتَجَلِّيَ فِي صُورِهِ بِحُكْمِ اسْتِعْدَادِ تِلْكَ الصُّورَةِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ مَا تُعْطِيهِ حَقِيقَتُهَا وَلَوَازِمُهَا، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

مِثْلُ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي النَّوْمِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا؛ وَإِنَّهُ لَا شَكَّ الْحَقُّ عَيْنُهُ، فَتَتَبَعُهُ لَوَازِمُ تِلْكَ الصُّورَةِ وَحَقَائِقُهَا؛ الَّتِي تَجَلَّى فِيهَا فِي النَّوْمِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُعَبِّرُ، أَيْ: يُجَازُ عَنْهَا إِلَى أَمْرٍ آخَرَ، يَقْتَضِي التَّنْزِيهِ عَقْلًا. فَإِنْ كَانَ الَّذِي يُعَبِّرُهَا ذَا كَشْفٍ أَوْ إِيْمَانٍ، فَلَا يَجُوزُ عَنْهَا إِلَى تَنْزِيهِ فَقَط. بَلْ يُعْطِيهَا حَقَّهَا مِنَ التَّنْزِيهِ، وَمِمَّا ظَهَرَتْ فِيهِ. وَاللَّهُ عَلَى التَّحْقِيقِ عِبَارَةٌ، لِمَنْ فَهَمَ الْإِشَارَةَ.

وَرُوحُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ وَفَصُّهَا، أَنَّ الْأَمْرَ يَنْقَسِمُ إِلَى مُؤَثِّرٍ وَمُؤَثَّرٍ فِيهِ؛ وَلَهُمَا عِبَارَتَانِ: فَاَلْمُؤَثِّرُ بِكُلِّ وَجْهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، [٥٩ وجه] وَفِي كُلِّ حَضَرَةٍ هُوَ اللَّهُ. وَالْمُؤَثَّرُ فِيهِ بِكُلِّ وَجْهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ حَضَرَةٍ، هُوَ الْعَالَمُ.

فَإِذَا وَرَدَ فَالْحَقَّ كُلُّ شَيْءٍ بِأَصْلِهِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ، فَإِنَّ الْوَارِدَ أَبَدًا، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فَرَعًا عَنْ أَصْلٍ.

كَانَتْ الْمَحَبَّةُ الْإِلَهِيَّةُ عَنِ النَّوَافِلِ مِنَ الْعَبْدِ.

فَهَذَا أَثَرُ بَيْنَ مُؤَثِّرٍ وَمُؤَثَّرٍ فِيهِ، كَانَ الْحَقُّ سَمِعَ الْعَبْدِ وَبَصَرَهُ وَقُوَاهُ عَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ. فَهَذَا أَثَرُ مُقَرَّرٍ لَا مُقَدَّرٌ عَلَى إِنْكَارِهِ، لِثُبُوتِهِ شَرْعًا، إِنَّ



كُنْتُ مُؤْمِنًا.

وَأَمَّا الْعَقْلُ السَّلِيمُ فَهُوَ: إِمَّا صَاحِبُ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ، فِي مَجَلَى طَبِيعِيٍّ،  
فَيَعْرِفُ مَا قُلْنَاهُ. وَإِمَّا مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ، يُؤْمِنُ بِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ.  
وَلَا بُدَّ مِنْ سُلْطَانِ الْوَهْمِ، أَنْ يَحْكُمَ عَلَى الْعَاقِلِ الْبَاحِثِ، فِيمَا جَاءَ بِهِ  
الْحَقُّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ؛ لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهَا.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَيَحْكُمُ عَلَى الْوَهْمِ بِالْوَهْمِ، فَتَبْتَ خَيْلٌ بِنَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ،  
أَنَّهُ قَدْ أَحَالَ عَلَى اللَّهِ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ التَّجَلِّيُّ فِي الرُّؤْيَا وَالْوَهْمُ فِي ذَلِكَ،  
لَا يُفَارِقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، لِغَفْلَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر : ٦٠]، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[سورة البقرة : ١٨٦] إِذْ لَا يَكُونُ مُجِيبًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَنْ يَدْعُوهُ غَيْرُهُ — وَإِنْ

كَانَ عَيْنُ الدَّاعِي عَيْنَ الْمُجِيبِ — فَلَا خِلَافَ فِي اخْتِلَافِ الصُّوَرِ، فَهُمَا  
صُورَتَانِ بِلَا شَكٍّ.

وَتِلْكَ الصُّورُ كُلُّهَا كَالْأَعْضَاءِ لِزَيْدٍ. فَمَعْلُومٌ أَنَّ زَيْدًا حَقِيقَةً وَاحِدَةً

318

شَخْصِيَّةً، وَأَنَّ يَدَهُ لَيْسَتْ صُورَةَ رِجْلِهِ، وَلَا رَأْسُهُ، وَلَا عَيْنُهُ، وَلَا حَاجِبُهُ، فَهُوَ

الكَثِيرُ الْوَاحِدُ، الْكَثِيرُ بِالصُّورِ، الْوَاحِدُ بِالْعَيْنِ.

وَكَالْإِنْسَانِ بِالْعَيْنِ وَاحِدٌ، بِلَا شَكٍّ. وَلَا شَكَّ أَنَّ عَمْرًا هُوَ زَيْدٌ، وَلَا

خَالِدٌ وَلَا جَعْفَرٌ، وَأَنَّ أَشْخَاصَ هَذِهِ الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ، لَا تَتَنَاهَى وَجُودًا، فَهُوَ

وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا بِالْعَيْنِ، فَهُوَ كَثِيرٌ بِالصُّورِ وَالْأَشْخَاصِ.

وَقَدْ عَلِمْتَ قَطْعًا إِنَّ كُنْتَ مُؤْمِنًا [٥٩ ظهر] أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُهُ يَتَجَلَّى يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِي صُورَةٍ فَيُعْرِفُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فِي صُورَةٍ فَيُنْكَرُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ عَنْ هَا

فِي صُورَةٍ فَيُعْرِفُ، وَهُوَ هُوَ، الْمُتَجَلِّي — لَيْسَ غَيْرُهُ — فِي كُلِّ صُورَةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ، مَا هِيَ تِلْكَ الصُّورَةُ الْآخَرَى، وَكَأَنَّ الْعَيْنَ

الْوَحِيدَةَ قَامَتْ مَقَامَ الْمِرَاةِ، فَإِذَا نَظَرَ النَّاطِرُ فِيهَا إِلَى صُورَةٍ مُعْتَقَدِهِ فِي

اللَّهِ، عَرَفَهُ فَأَقْرَبَ بِهِ . وَإِذَا أَتَفَقَّ أَنْ يَرَى فِي هَا مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ أَنْ كَرَهُ، كَمَا  
اَيَّرَى

319

فِي الْمِرَاةِ صُورَتَهُ وَصُورَةَ غَيْرِهِ. فَالْمِرَاةُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، وَالصُّورُ كَثِيرَةٌ فِي عَيْنِ

الرَّائِي، وَلَيْسَ فِي الْمِرَاةِ صُورَةٌ مِنْهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً.

مَعَ كَوْنِ الْمِرَاةِ لَهَا أَثَرٌ فِي الصُّورِ بِوَجْهِهِ، وَمَا لَهَا أَثَرٌ بِوَجْهِهِ. فَالْأَثَرُ الَّذِي

لَهَا كَوْنُهَا، تَرْدُ الصُّورَةِ مُتَغَيِّرَةَ الشَّكْلِ مِنَ الصَّغَرِ وَالْكِبَرِ، وَالطُّولِ

وَالْعَرْضِ، فَلَهَا أَثَرٌ فِي الْمَقَادِيرِ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَيْهَا.

وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتُ مِنْهَا، لِاخْتِلَافِ مَقَادِيرِ الْمَرَائِي.

فَانْظُرْ فِي الْمِثَالِ: مِرَاةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْمَرَائِي، لَا تَنْظُرُ الْجَمَاعَةَ؛ وَهُوَ

نَظْرُكَ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ ذَاتًا، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وَمِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءُ

الْإِلَهِيَّةُ فَذَلِكَ الْوَقْتُ يَكُونُ كَالْمَرَائِي.

فَأَيُّ أَسْمٍ إِلَهِيٍّ، نَظَرْتُ فِيهِ نَفْسَكَ — أَوْ مَنْ نَظَرَ — فَإِنَّهُ أَيْظَهُ رُ فِي

النَّاطِرِ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْأَسْمِ.

فَهَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ، إِنْ فَهَمْتَ.

فَلَا تَجْزَعْ وَلَا تَخَفْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ.

وَلَيْسَتْ الْحَيَّةُ سِوَى نَفْسِكَ، وَالْحَيَّةُ، حَيَّةٌ لِنَفْسِهَا بِالصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ.

وَالشَّيْءُ لَا يُقْتَلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ أُفْسِدَتِ الصُّورَةُ فِي الْحِسِّ، فَإِنَّ الْحَدَّ

يَضْبِطُهَا، وَالْخَيَالُ لَا يُزِيلُهَا.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا، فَهَذَا هُوَ الْأَمَانُ عَلَى الذَّوَاتِ، وَالْعِزَّةِ

وَالْمَنْعَةِ. فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى فَسَادِ الْحُدُودِ، وَأَيُّ عِزَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِزَّةِ؟

فَتَتَخَيَّلُ بِالْوَهْمِ أَنَّكَ قَتَلْتَ، وَبِالْعَقْلِ وَالْوَهْمِ لَمْ تَزَلِ الصُّورَةُ [٦٠ وجه]

مَوْجُودَةً فِي الْحَدِّ.

وَالدَّ لَيْلٌ عَلَى ذَلِكَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأنفال

: ١٧]، وَالْعَيْنُ مَا أَدْرَكَتْ إِلَّا الصُّورَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، الَّتِي ثَبَتَ لَهَا الرَّمْيُ فِي

الْحِسِّ، وَهِيَ الَّتِي نَفَى اللَّهُ الرَّمْيَ عَنْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ أَثْبَتَهُ لَهَا وَسَطًا، ثُمَّ عَادَ

بِالْإِسْتِدْرَاكِ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّامِي فِي صُورَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ

بِهَذَا.

فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْمُؤَثِّرِ، حَتَّى أَنْزَلَ الْحَقُّ فِي صُورَةِ مُحَمَّدِيَّةٍ. وَأَخْبَرَ

الْحَقُّ نَفْسَهُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ، فَمَا قَالَ أَحَدٌ مِنَّا ذَلِكَ، بَلْ هُوَ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ،

وَخَبَرَهُ صِدْقٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، سِوَاءِ أَدْرَكَتَ عِلْمَ مَا قَالِ أَوْ لَمْ تُدْرِكْهُ.

فَإِمَّا عَالِمٌ، وَإِمَّا مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ.

وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلَىٰ ضَعْفِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، مِنْ حَيْثُ فِكْرُهُ، كَوْنُ الْعَقْلِ  
يَحْكُمُ عَلَى الْعِلَّةِ، أَنَّهَا لَا تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَنْ هِيَ عِلَّةٌ لَهُ . هَذَا احْكُمُ الْعَقْلُ،  
لَا خَفَاءَ بِهِ. وَمَا فِي عِلْمِ التَّجَلِّي إِلَّا هَذَا، وَهُوَ أَنَّ الْعِلَّةَ تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَنْ  
هِيَ عِلَّةٌ لَهُ.

وَالَّذِي حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ صَحِيحٌ، مَعَ التَّحْرِيرِ فِي النَّظَرِ، وَغَايَتُهُ فِي ذَلِكَ  
أَنْ يَقُولَ: إِذَا رَأَى الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا أُعْطَاهُ الدَّلِيلُ النَّظَرِيُّ، أَنَّ الْعَيْنَ بَعْدَ  
أَنْ ثَبَتَ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي هَذَا الْكَثِيرِ، فَمِنْ حَيْثُ هِيَ عِلَّةٌ فِي صُورَةٍ مِنْ  
هَذِهِ الصُّوَرِ لِمَعْلُومَةٍ مَا، فَلَا تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَعْلُولِهَا، فِي حَالِ كَوْنِهَا عِلَّةً؛ بَلْ  
يَنْتَقِلُ الْحُكْمُ بِأَنْتِقَ إِلَيْهَا فِي الصُّورِ، فَتَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَعْلُولِهَا، فَيَصِي رُ مَعْلُ  
وَلَهَا  
عِلَّةً لَهَا. هَذَا غَايَتُهُ، إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ  
نَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْعِلَّةِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَنَّ عِلْمَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ،  
فِي غَيْرِ هَذَا الْمَضِيقِ؟

فَلَا أَعْقَلَ مِنَ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ جَاءُوا بِمَا جَاءُوا بِهِ، فِي  
الْخَبَرِ عَنِ الْجَنَابِ الْإِلَهِِيِّ، فَأَثْبَتُوا مَا أَثْبَتَهُ الْعَقْلُ، وَزَادُوا مَا لَا يَسْتَقِلُّ  
الْعَقْلُ بِإِدْرَاكِهِ، وَمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ رَأْسًا، وَيَقْرُ بِهِ فِي التَّجَلِّي الْإِلَهِِيِّ.  
فَإِذَا خَلَا بَعْدَ التَّجَلِّي بِنَفْسِهِ، حَارَ فِي مَا رَأَاهُ [٦٠ ظهر] فَإِنْ كَانَ عَبْدَ رَبٍّ،  
رَدَّ الْعَقْلَ إِلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ عَبْدَ نَظَرٍ، رَدَّ الْحَقَّ إِلَى حُكْمِهِ.

وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَا دَامَ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ الدُّنْيَا وَبَيَّةً، مَحْجُوبًا عَنْ نَشْأَتِهِ  
 الْأُخْرَاوِيَّةِ فِي الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْعَارِفِينَ يَظْهَرُونَ هُنَا كَأَنَّهُمْ فِي الصُّورَةِ  
 الدُّنْيَاوِيَّةِ، لَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَوَّلَهُمْ فِي  
 بَوَاطِنِهِمْ فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَاوِيَّةِ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَهُمْ بِالصُّورَةِ مَجْهُولُونَ، إِلَّا  
 لِمَنْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصِيرَتِهِ فَأَدْرَكَ.

فَمَا مِنْ عَارِفٍ بِاللَّهِ، مِنْ حَيْثُ التَّجَلَّى الإِلَهِيُّ إِلَّا وَهُوَ عَلَى النَّشْأَةِ  
 الْأُخْرَاوِيَّةِ، قَدْ حُشِرَ فِي دُنْيَاهُ، وَنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ، فَهُوَ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ،  
 وَيَشْهَدُ مَا لَا تَشْهَدُونَ، عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ بِبَعْضِ عِبَادِهِ فِي ذَلِكَ.  
 فَمَنْ أَرَادَ الْعُتُورَ عَلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْإِلْيَاسِيَّةِ الْإِدْرِيسِيَّةِ الَّتِي أَنْشَأَهُ  
 اللَّهُ نَشْأَتَيْنِ، فَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ، ثُمَّ رُفِعَ وَنَزَلَ رَسُولًا بَعْدَ ذَلِكَ، فَجَمَعَ لَهُ  
 اللَّهُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَلَيْذَ زِلْ عَنْ حُكْمِ عَقْلِهِ إِلَى شَهْوَتِهِ، وَيَكُونُ حَيَوَانًا مُطْلَقًا،  
 حَتَّى يَكْشِفَ مَا تَكْشِفُهُ كُلُّ دَابَّةٍ، مَا عَدَّ الثَّقَلَيْنِ، فَحِينِيذٍ يَكُونُ أَنَّهُ قَدْ  
 تَحَقَّقَ بِحَيَوَانِيَّتِهِ.

وَعَلَّامَتُهُ عِلَامَتَانِ: الْوَاحِدَةُ، هَذَا الْكَشْفُ، فَيَرَى مَنْ يُعَذِّبُ فِي قَبْرِهِ،  
 وَمَنْ يُنْعَمُ، وَيَرَى الْمَيِّتَ حَيًّا، وَالصَّامِتَ مُتَكَلِّمًا، وَالْقَاعِدَ مَاشِيًّا.  
 وَالْعِلَامَةُ الثَّانِيَّةُ: الْخَرَسُ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا رَأَى، لَمْ  
 يَقْدِرْ. فَحِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ بِحَيَوَانِيَّتِهِ. وَكَانَ لَنَا تِلْكَ الْمِيزَةُ قَدْ حَصَلَ لَهُ هَذَا  
 الْكَشْفُ،

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهِ الْخَرَسُ. فَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِحَيَوَانِيَّتِهِ.

وَلَمَّا أَقَامَنِي اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، تَحَقَّقْتُ بِحَيَوَانِيَّتِي تَحَقُّقًا كَلِيًّا.

فَكُنْتُ أَرَى، وَأُرِيدُ النُّطْقَ بِمَا أَشَاهِدُهُ، فَلَا أَسْتَطِيعُ. فَكُنْتُ لَا أَفَرِّقُ بَيْنِي  
وَبَيْنَ الْخُرْسِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ.

فَإِذَا تَحَقَّقْتُ بِمَا ذَكَرْنَا هُ، أَنْتَ قُلْ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَقْلًا مُجَرَّدًا، فِي غَيْرِ مَادَّةٍ  
طَبِيعِيَّةٍ، فَيَشْهَدُ أُمُورًا هِيَ أُصُولٌ لِمَا يَظْهَرُ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَيَعْلَمُ مِنْ  
أَيْنَ ظَهَرَ [٦١ وجه] هَذَا الْحُكْمُ فِي صُورِ الطَّبِيعِيَّةِ عِلْمًا ذَوْقِيًّا.

فَإِنْ كُوشِفَ — عَلَى أَنْ الطَّبِيعَةَ عَيْنُ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، — فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا [إِقْتِبَاسٌ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ : ٢٦٩].

وَإِنْ أَقْتَصَرَ مَعَ هُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا هُ، فَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِي هُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، الْحَا  
كِمَةِ

عَلَى عَقْلِهِ، فَ يَلْحَقُ بِالْعَا رِفِينَ، وَيَعْرِفُ عِنْدَ ذَلِكَ ذَوْقًا، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ

اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ : ١٧].

وَمَا قَتَلَهُمْ إِلَّا الْحَدِيدُ، وَالضَّارِبُ، وَالَّذِي خَلَفَ هَذِهِ الصُّورَ.

فَبِالْمَجْمُوعِ وَقَعَ الْقَتْلُ وَالرَّمْيُ. فَيُشَاهِدُ الْأُمُورَ بِأُصُولِهَا وَصُورِهَا. فَيَكُونُ

تَامًا. فَإِنْ شَهِدَ النَّفْسَ، كَانَ مَعَ التَّمَامِ كَامِلًا. فَلَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ عَيْنَ

مَا يَرَى، فَيَرَى الرَّائِي عَيْنَ الْمَرِي. وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ.

وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ الْهَادِي.

[٢٣] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ إِحْسَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ لُفْمَانِيَّةٍ﴾

[الْوَافِرُ]

- ١- إِذَا شَاءَ إِلَٰهُ يُرِيدُ رِزْقًا
- ٢- وَإِنْ شَاءَ إِلَٰهُ يُرِيدُ رِزْقًا
- ٣- مَشِيئَتُهُ إِرَادَتُهُ فَقُولُوا
- ٤- يُرِيدُ زِيَادَةً وَ يُرِيدُ نَقْصًا
- ٥- فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَحَقِّقْ
- لَهُ فَالْكَوْنُ أَجْمَعُهُ غِذَاءٌ
- لَنَا فَهُوَ الْغِذَاءُ كَمَا يَشَاءُ
- بِهَا قَدْ شَاءَهَا فَهِيَ الْمُشَاءُ
- وَلَيْسَ مُشَاوَهُ إِلَّا الْمُشَاءُ
- وَمِنْ وَجْهِ فَعَيْنُهُمَا سَوَاءٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان : ١٢]. وَمَنْ أُوتِيَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [اقتب اس من سورة البقرة : ٢٦٩]. فَلُقْمَانُ  
بِالنِّصِّ

هُوَ ذُو الْخَيْرِ الْكَثِيرِ بِشَهِادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ، وَالْحِكْمَةُ قَدْ تَكُونُ مُتَلَفَظًا  
بِهَا، وَمَسْكُوتًا عَنْهَا.

مِثْلَ قَوْلِ لُقْمَانَ لِأَبْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ

فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان : ١٦].

فَهَذِهِ حِكْمَةٌ مَنْطُوقٌ بِهَا، وَهِيَ أَنَّ جَعَلَ اللَّهُ هُوَ الْآتِي بِهَا، وَقَرَّرَ ذَلِكَ اللَّهُ

فِي كِتَابِهِ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى قَائِلِهِ.

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَسْكُوتُ عَنْهَا، وَعُلِمَتْ بِقَرِينَةِ الْحَالِ، فَكَوْنُهُ سَكَتَ

عَنِ الْمُؤْتَى إِلَيْهِ بِتِلْكَ الْحَبَّةِ، [٦١ ظهر] فَمَا ذَكَرَهُ، وَمَا قَالَ لِأَبْنِهِ : «يَأْتِ بِهِ أَلِلَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا إِلَى غَيْرِكَ». فَأَرْسَلَ الْإِتْيَانَ عَامًّا وَجَعَلَ الْمُؤْتَى بِهِ فِي

السَّمَاوَاتِ — إِنْ كَانَ أَوْ فِي الْأَرْضِ — تَنْبِيْهَا لِيَنْظُرَ النَّاطِرُ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام : ٣].

فَنَبَّهَ لُقْمَانُ بِمِثْلِ تِلْكَ لَمْ يَبْهَ، وَبِمَا سَكَتَ عَنْهُ أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُ كُلِّ مَعْلُومٍ، لِأَنَّ

المَعْلُومَ أَعَمَّ مِنَ الشَّيْءِ، فَهُوَ أَنْكَرُ النِّكَرَاتِ.

ثُمَّ تَمَّ الْحِكْمَةَ وَأَسْتَوْفَاهَا، لِتَكُونَ النَّشْأَةُ كَامِلَةً فِيهِ أ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ [سورة لقمان : ١٦]. فَمِنْ لَطَافَتِهِ وَلَطْفِهِ، أَنَّهُ فِي الشَّيْءِ الْمُسَمَّى كَذَا،

الْمَحْدُودِ بِكَذَا، عَيْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ، حَتَّى لَا يُقَالَ فِيهِ إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ

أَسْمُهُ بِالتَّوَاتُؤِ وَالْإِصْطِلَاحِ، فَيُقَالُ: «هَذَا سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَصَخْرَةٌ وَشَجَرٌ

وَحَيَوَانٌ وَمَلَكٌ وَرِزْقٌ وَطَعَامٌ»، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ.

كَمَا تَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ: إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُتَمَاثِلٌ بِالْجَوْهَرِ. فَهُوَ جَوْهَرٌ

وَاحِدٌ. فَهُوَ عَيْنُ قَوْلِنَا الْعَيْنُ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ قَالَتْ: وَيَخْتَلِفُ بِالْأَعْرَاضِ، وَهُوَ

328

قَوْلُنَا. وَيَخْتَلِفُ وَيَتَكَثَّرُ بِالْأَلْوَانِ وَالنَّسَبِ، حَتَّى يَتَمَيَّزَ. فَيُقَالُ: هَذَا لَيْسَ

هَذَا، مِنْ حَيْثُ صُورَتُهُ أَوْ عَرَضُهُ أَوْ مِزَاجُهُ، كَيْفَ شِئْتَ فَقُلْ: وَهَذَا عَيْنُ هَذَا،

مِنْ حَيْثُ جَوْهَرُهُ.

وَلِهَذَا يُؤْخَذُ عَيْنُ الْجَوْهَرِ فِي حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ وَمِزَاجٍ.

فَنَقُولُ نَحْنُ: إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى الْحَقِّ، وَيُظَنُّ الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ مُسَمَّى الْجَوْهَرِ،

وَإِنْ كَانَ حَقًّا، مَا هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يُطْلَقُ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالتَّجَلِّي، فَهَذَا

حِكْمَةُ كَوْنِهِ لَطِيفًا.

ثُمَّ نَعَتْ فَقَالَ: ﴿خَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب : ٣٤]. (أي: عَالِمٌ عَنْ أَخْتِبَارٍ،

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد : ٣١]. وَهَذَا هُوَ عِلْمٌ

الْأَذْوَاقِ. فَجَعَلَ الْحَقُّ نَفْسَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ، عَلَيْهِ مُسْتَفِيدٌ فِي دَا عِلْمًا. وَلَا



نَقْدِرُ عَلَىٰ إِنكَارِ مَا نَصَّ الْحَقُّ عَلَیْهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ. فَفَرَّقَ تَعَالَىٰ مَا بَيْنَ عِلْمِ  
الذَّوْقِ وَالْعِلْمِ الْمُطْلَقِ.

329

فَعِلْمُ الذَّوْقِ مُقَيَّدٌ بِالْقُوَى. وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ عَيْنُ قُوَى عَبْدِهِ فِي  
قَوْلِهِ: «كُنْتُ سَمْعَهُ» وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، [٦٢ وجه] «وَبَصَرَهُ»  
وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، «وَلِسَانَهُ» وَهُوَ عَضُوٌّ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ، «وَرِجْلَهُ  
وَيَدَهُ» فَمَا أَقْتَصَرَ فِي التَّعْرِيفِ عَلَى الْقُوَى فَحَسَبُ، حَتَّى ذَكَرَ الْأَعْضَاءَ،  
وَلَيْسَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ لِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى.

فَعَيْنُ مُسَمًّى الْعَبْدِ هُوَ الْحَقُّ. لَا عَيْنُ الْعَبْدِ هُوَ السَّيِّدُ.  
فَإِنَّ النَّسَبَ مُتَمَيِّزَةٌ لِدَاثَتِهَا، وَلَيْسَ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ مُتَمَيِّزًا. فَإِنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ  
سِوَى عَيْنِهِ، فِي جَمِيعِ النَّسَبِ. فَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، ذَاتُ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ  
وَصِفَاتٍ.

فَمِنْ تَمَامِ حِكْمَةِ لُقْمَانَ فِي تَعْلِيمِهِ ابْنَهُ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مِنْ  
هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ الْإِلَهِيَّيْنِ ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾. سُمِّيَ بِهِمَا اللَّهُ تَعَالَى، فَلَوْ جَعَلَ  
ذَلِكَ فِي الْكَوْنِ — وَهُوَ الْوُجُودُ — فَقَالَ «كَانَ»، لَكَ أَنْ أَتَمَّ فِي الْحِكْمَةِ  
وَأَبْلَغَ. فَحَكَى اللَّهُ قَوْلَ لُقْمَانَ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا قَالَ. لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ١٦]، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ،  
فَلِمَا عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لُقْمَانَ، لَوْ نَطَقَ مُتَمَمًّا لَتَمَّ بِهَذَا.

330

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [سورة لقمان: ١٦]، لِمَنْ

هِيَ لَهُ غِذَاءٌ، وَلَيْسَ إِلَّا الذَّرَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلز ال : ٧-٨]. فَهِيَ أَصْغَرُ

مُتَغَذٍّ، وَالْحَبَّةُ مِنَ الْخَرْدَلِ أَصْغَرُ غِذَاءً.

وَلَوْ كَانَ ثُمَّ أَصْغَرَ لَجَاءَ بِهِ، كَمَا جَاءَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ

يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾ [سورة البقرة: ٢٦]. ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ثُمَّ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْ

الْبَعُوضَةِ، قَالَ: ﴿فَمَ افُوقَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، يَعْنِي: فِي الصَّغَرِ، وَهَذَا قَوْلُ

اللَّهِ — وَالَّتِي فِي الزَّلْزَلَةِ قَوْلُ اللَّهِ أَيْضًا — فَأَعْلَمَ ذَلِكَ . فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى مَا اقْتَصَرَ عَلَى وَزْنِ الذَّرَّةِ، وَثُمَّ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ جَاءَ بِذَلِكَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا تَصْغِيرُهُ أَسْمَ ابْنِهِ، فَتَصْغِيرُ رَحْمَةٍ. وَلِهَذَا أَوْصَاهُ بِمَا فِيهِ سَعَادَتُهُ، إِذَا عَمِلَ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا حِكْمُهُ وَصِيَّتِهِ فِي نَهْيِهِ إِيَّاهُ، أَلَّا يُشْرِكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ

[اقتباس من سورة لقمان : ١٣].

وَالْمَظْلُومُ الْمَقَامُ، حَيْثُ نَعْتُهُ بِالْإِنْقِسَامِ.

وَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، [٦٢ ظهر] فَإِنَّهُ لَا يُشْرِكُ مَعَهُ إِلَّا عَيْنُهُ. وَهَذَا غَايَةُ

الْجَهْلِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ

عَلَيْهِ، وَلَا بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصُّورُ فِي الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ، وَهُوَ

لَا يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ التَّخْتَلَفَ فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، جَعَلَ الصُّورَةَ مُشَارِكَةً  
لِلْأُخْرَى فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ. فَجَعَلَ لِكُلِّ صُورَةٍ جِزْءًا مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ.  
وَمَعْلُومٌ فِي الشَّرِيكِ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَخُصُّهُ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْمُشَارَكَةُ،  
لَيْسَ عَيْنَ الْآخَرِ، الَّذِي شَارَكَهُ، أَوْ هُوَ لِلْآخَرِ. فَإِذَنْ مَا تَمَّ شَرِيكَ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَظِّهِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ، أَنَّ بَيْنَهُمَا مُشَارَكَةٌ فِيهِ.  
وَسَبَبُ ذَلِكَ، الشَّرِكَةُ الْمُشَاعَةُ، وَإِنْ كَانَتْ مُشَاعَةً، فَإِنَّ التَّصْرِيفَ مِنْ  
أَحَدِهِمَا يُزِيلُ الْإِشَاعَةَ.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [سورة الإسراء : ١١٠] هَذَا رُوحُ

الْمَسْأَلَةِ.

[٢٤] ﴿فَصْ حِكْمَةَ إِمَامِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هَارُونِيَّةٍ﴾

332

أَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ هَارُونَ عَلَى هِ السَّلَامِ كَانَ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمُوتِ، بِقَوْلِهِ:  
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [سورة مريم : ٥٣]، يَعْنِي: لِمُوسَى ﴿أَخَاهُ هَارُونَ  
نَبِيًّا﴾ [سورة مريم : ٥٣]، فَكَانَتْ نُبُوَّتُهُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمُوتِ.  
فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مُوسَى سِنًّا، وَكَانَ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْهُ نُبُوَّةً، وَلَمَّا كَانَتْ نُبُوَّةُ  
هَارُونَ مِنْ حَضْرَةِ الرَّحْمَةِ، لِذَلِكَ قَالَ لِأَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:  
﴿يَبْنُومُ﴾ [سورة طه : ٩٤]، فَنَادَاهُ بِأَمِّهِ لَا بِأَبِيهِ، إِذْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْأُمِّ دُونَ  
الْأَبِ أَوْفَرَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَوْلَا تِلْكَ الرَّحْمَةُ مَا صَبَرْتُ عَلَى مُبَاشَرَةِ التَّرْبِيَةِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحِ يَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [سورة طه: ٩٤]، وَ ﴿لَا تُشْمِتْ  
بِي الْأَعْدَاءَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠].

فَهَذَا كُلُّهُ نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِ الرَّحْمَةِ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ عَدَمُ التَّثَبُّتِ فِي  
النَّظَرِ فِيمَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَا حِ الَّتِي أَلْفَاها مِنْ يَدَيْهِ. 333  
فَلَوْ نَظَرَ فِيهَا، نَظَرَ تَثَبُّتًا، لَوَجَدَ فِيهَا الْهُدَى وَالرَّحْمَةَ، فَالْهُدَى بَيَانُ  
مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ، الَّذِي أَغْضَبَهُ — مِمَّا هُوَ هَارُونُ [٦٣ وجهه] بَرِيءٌ  
مِنْهُ — وَالرَّحْمَةُ بِأَخِيهِ. فَكَانَ لَا يَأْخُذُ بِلِحِيَّتِهِ، بِمِ رَأْيٍ مِنْ قَوْمِهِ، مَعَ كِبَرِهِ،  
وَأَنَّهُ أَسَنُّ مِنْهُ. وَ كَانَ ذَلِكَ مِنْ هَارُونِ، شَفَقَةً عَلَى مُوسَى؛ لِأَنَّ نُبُوَّةَ هَارُونِ  
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ هَذَا.

ثُمَّ قَالَ هَارُونُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ  
بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة طه: ٩٤]، فَتَجْعَلَنِي سَبَبًا فِي تَفْرِيقِهِمْ. فَإِنَّ عِبَادَةَ  
الْعِجْلِ فَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ؛ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ عَبْدَهُ اتِّبَاعًا لِلْسَّامِرِيِّ وَتَقْلِيدًا لَهُ.  
وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ عَنْ عِبَادَتِهِ، حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى إِلَيْهِمْ، فَيَسْأَلُونَهُ فِي ذَلِكَ،  
فَخَشِيَ هَارُونُ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ الْفُرْقَانُ — بَيْنَهُمْ — إِلَيْهِ.  
وَ كَانَ مُوسَى أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ مِنْ هَارُونِ، لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا عَبْدَهُ أَصْحَابُ  
الْعِجْلِ، لِعِلْمِهِ بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَمَا حَكَمَ اللَّهُ بِشَيْءٍ إِلَّا  
وَقَعَ.

فَكَانَ عَتَبُ مُوسَى أَخَاهُ هَارُونِ، لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ فِي انْكَارِهِ، وَعَدَمِ

أَتَسَاعِه. فَإِنَّ الْعَارِفَ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ يَرَاهُ عَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ.  
فَكَانَ مُوسَى يُرَبِّي هَارُونَ تَرْبِيَةً عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْهُ فِي السِّنِّ،  
وَلِذَلِكَ لَمَّا قَالَ لَهُ هَارُونَ مَا قَالَ، رَجَعَ إِلَى السَّامِرِيِّ، فَقَالَ لَهُ: ﴿مَا  
خَطْبُكَ يَا مِرْيُ﴾ [سورة طه: ٩٥]؟ يَعْنِي: فِيمَا صَنَعْتَ مِنْ عُدُوكَ إِلَى صُورَةَ  
الْعِجْلِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ، وَصُنْعِكَ هَذَا الشَّبَحَ مِنْ حُلِيِّ الْقَوْمِ حَتَّى  
أَخَذْتَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَمْوَالِهِمْ.

فَإِنَّ عِي سَى يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَلْبُ كُلِّ إِنْسٍ أَنْ حَيْثُ  
مَالُهُ، فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ فِي السَّمَاءِ، تَكُنْ قُلُوبُكُمْ فِي السَّمَاءِ».

وَمَا سُمِّيَ الْمَالُ مَالًا، إِلَّا لِكَوْنِهِ بِالذَّاتِ تَمِيلُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ. فَهُوَ  
الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ الْمُعْظَمُ فِي الْقُلُوبِ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ.  
وَلَيْسَ لِلصُّورِ بَقَاءٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَهَابِ صُورَةِ الْعِجْلِ، لَوْ لَمْ يَسْتَعْجَلْ  
مُوسَى بِحَرْقِهِ فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَيْرَةُ فَحَرَّقَهُ، ثُمَّ نَسَفَ رَمَادَ تِلْكَ الصُّورَةِ فِي  
الْيَمِّ نَسْفًا. وَقَالَ لَهُ: ﴿أَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ فَسَمَّاهُ إِلَهًا بِطَرِيقِ التَّنْبِيهِ لِلتَّعْلِيمِ،  
لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ بَعْضُ الْمَجَالِي الْإِلَهِيَّةِ.

﴿لَا حَرَقَنَّهُ﴾ [٦٣ ظهر] فَإِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ لَهَا التَّصَرُّفُ فِي حَيَوَانِيَّةِ  
الْحَيَوَانِ، لِكَوْنِ اللَّهِ سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ، وَلَا سِيَّمَا وَأَصْلُهُ لَيْسَ مِنْ حَيَوَانٍ،  
فَكَانَ أَعْظَمَ فِي التَّسْخِيرِ، لِأَنَّ غِيَرَةَ الْحَيَوَانِ مَالُهُ إِرَادَةٌ، بَلْ هُوَ بِحُكْمِ مَنْ  
يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِبَاءَةٍ.

وَأَمَّا الْحَيَوَانُ، فَهُوَ ذُو إِرَادَةٍ وَغَرَضٍ فَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ الْإِبَاءَةُ فِي بَعْضِ  
التَّصْرِيفِ. فَإِنْ كَانَ فِيهِ قُوَّةٌ إِظْهَارِ ذَلِكَ، ظَهَرَ مِنْهُ الْجُمُوحُ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُ  
الْإِنْسَانُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْقُوَّةُ، أَوْ يُصَادِفُ غَرَضَ الْحَيَوَانِ، أَنْقَادَ  
مُذَلَّلًا لِمَا يُرِيدُهُ مِنْهُ، كَمَا يَنْقَادُ مِثْلُهُ لِأَمْرِ فِيمَا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ — مِنْ أَجْلِ  
الْمَالِ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْهُ — الْمُعْبَرُ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِالْأُجْرَةِ، فِي  
قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾  
[اقتباس من سورة الزخرف : ٣٢].

فَمَا تَسَخَّرَ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ إِلَّا مِنْ حَيٍّ وَأَنْبِيَّهِ، لَا مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ، فَإِنَّ الْمِثْلَيْنِ  
ضِدَّانِ. فَيُسَخَّرُ هُ الْأَرْفَعُ فِي الْمَنْزِلَةِ، بِالْمَالِ أَوْ بِالْجَاهِ، بِإِنْسَانِيَّتِهِ. وَيَتَسَخَّرُ لَهُ  
ذَلِكَ الْآخَرُ — إِمَّا خَوْفًا أَوْ طَمَعًا — مِنْ حَيَوَانِيَّتِهِ، لَا مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ.  
فَمَا يُسَخَّرُ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ. أَلَا تَرَى مَا بَيْنَ الْبَهَائِمِ مِنَ التَّحْرِيشِ، لِأَنَّهَا  
أَمْثَالُ؟ فَامِثْلَانِ ضِدَّانِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾  
[اقتباس من سورة الزخرف : ٣٢].

فَمَا هُوَ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ، فَوْقَ التَّسْخِيرِ مِنْ أَجْلِ الدَّرَجَاتِ، وَالتَّسْخِيرُ  
عَلَى قِسْمَيْنِ: تَسْخِيرٌ مُرَادٌ لِلْمُسَخَّرِ — أَسْمُ فَا عِلِّ — قَاهِرٌ فِي تَسْخِي رِهِ  
لَهُ ذَا

الشَّخْصِ الْمُسَخَّرِ، كَتَسْخِيرِ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ، وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ،  
وَكَتَسْخِيرِ السُّلْطَانِ لِرَعَايَاهُ، وَإِنْ كَانُوا أَمْثَالًا لَهُ، فَسَخَّرَهُمْ بِالدَّرَجَةِ.  
وَالْقِسْمُ الْآخَرُ: تَسْخِيرٌ بِالْحَالِ. كَتَسْخِيرِ الرَّعَايَا لِلْمَلِكِ الْقَائِمِ بِأَمْرِهِمْ،

فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَحِمَايَتِهِمْ، وَقِتَالِ مَنْ عَادَاهُمْ، وَحِفْظِهِ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا كُلُّهُ تَسْخِيرٌ بِالْحَالِ مِنَ الرِّعَايَا يُسَخَّرُونَ بِذَلِكَ مَلِيكَهُمْ، وَيُسَمَّى - عَلَى الْحَقِيقَةِ - تَسْخِيرَ الْمَرْتَبَةِ. فَالْمَرْتَبَةُ حَكَمَتْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ. فَمِنْ الْمُلُوكِ مَنْ سَعَى لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَ الْأَمْرَ، فَعَلِمَ أَنَّهُ بِالْمَرْتَبَةِ فِي تَسْخِيرِ رِعَايَاهُ، فَعَلِمَ [٦٤ وجه] قَدْرَهُمْ وَحَقَّهُمْ، فَاجَرَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، أَجْرَةَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَأَجْرٌ مِثْلُ هَذَا يَكُونُ عَلَى اللَّهِ، فِي كَوْنِ اللَّهِ فِي شُؤْنِ عِبَادِهِ.

فَالْعَالَمُ كُلُّهُ يُسَخَّرُ بِالْحَالِ مَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسَخَّرٌ، قَالَ تَعَالَى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن : ٢٩]. فَكَانَ عَدَمُ قُوَّةِ إِرْدَاعِ هَارُونَ بِالْفِعْلِ. أَنْ تَنْفُذَ فِي أَصْحَابِ الْعِجْلِ بِالتَّسْلِيطِ عَلَى الْعِجْلِ، كَمَا سَلَّطَ مُوسَى عَلَيْهِ حِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ ظَاهِرَةً فِي الْوُجُودِ، لِيُعْبَدَ فِي كُلِّ صُورَةٍ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَا ذَهَبَتْ إِلَّا بَعْدَ مَا تَلَبَّسَتْ عِنْدَ عَابِدِهَا بِالْأُلُوهِيَّةِ.

وَلِهَذَا مَا بَقِيَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ إِلَّا وَعُبدَ، إِمَّا عِبَادَةً تَأَلُّهُ، وَإِمَّا عِبَادَةً 338 تَسْخِيرٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَ.

وَمَا عُبِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ، إِلَّا بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِالرَّفْعَةِ عِنْدَ الْعَالِمِ، وَالظُّهُورِ بِالدَّرَجَةِ فِي قَلْبِهِ. وَلِذَلِكَ تَسَمَّى الْحَقُّ لَنَا بِ«رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ»، وَلَمْ يَقُلْ: «رَفِيعُ الدَّرَجَةِ»، فَكَثُرَ الدَّرَجَاتِ فِي عَيْنِ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يُعْبَدَ

إِلَّا إِيَّاهُ فِي دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَعْطَتْ كُلَّ دَرَجَةٍ مَجْلَىٰ إِلَهِيًّا، عَبْدٌ فِيهَا.

وَأَعْظَمُ مَجْلَىٰ عَبْدٌ فِيهِ وَأَعْلَاهُ: الْهَوَىٰ. كَمَا قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ

إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [سورة الجاثي ة: ٢٣]، فَهُوَ أَعْظَمُ مَعَ بُوْدٍ، فَإِنَّهُ لَا يُعْبَدُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ،

وَلَا يُعْبَدُ هُوَ إِلَّا بِذَاتِهِ.

وَفِيهِ أَقُولُ:

[الطَّوِيلُ]

وَحَقُّ الْهَوَىٰ إِنَّ الْهَوَىٰ سَبَبُ الْهَوَىٰ

وَلَوْلَا الْهَوَىٰ فِي الْقَلْبِ مَا عَبْدَ الْهَوَىٰ

أَلَا تَرَىٰ عِلْمَ اللَّهِ بِالشَّيْءِ مَا أَكْمَلَهُ، كَيْفَ تَمَّ فِي حَقِّ مَنْ عَبْدَ هَوَاهُ،

339

وَاتَّخَذَهُ إِلَهًا، فَقَالَ: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣]، وَالضَّلَالَةُ

الْحَيْرَةُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَىٰ هَذَا الْعَابِدُ، مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ، بِأَنْقِيَادِهِ لِطَاعَتِهِ،

فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ مَنْ عَبْدَهُ، مِنْ الْأَشْخَاصِ.

حَتَّىٰ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ، كَانَتْ عَنْ هَوَىٰ أَيْضًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقَعْ لَهُ فِي ذَلِكَ

الْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ هَوَىٰ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ بِمَحَبَّةٍ مَا — [٦٤ ظهر] عَبْدَ اللَّهِ

وَلَا أَثَرُهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عَبْدَ صُورَةً مَا، مِنْ صُورِ الْعَالَمِ وَاتَّخَذَهَا إِلَهًا،

مَا اتَّخَذَهَا إِلَّا بِالْهَوَىٰ، فَالْعَابِدُ لَا يَزَالُ تَحْتَ سُلْطَانِ هَوَاهُ.

ثُمَّ رَأَىٰ الْمَعْبُودَاتِ تَتَنَوَّعُ فِي الْعَابِدِينَ، وَكُلُّ عَابِدٍ أَمْرًا مَا، يُكْفِّرُ



مَنْ يَعْبُدُ سِوَاهُ. وَالَّذِي عِنْدَهُ أَدْنَىٰ تَنْبِهِ، يَحَارُ لِاتِّحَادِ الْهَوَىٰ، بَلْ لِأَحَدِيَّةِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ عَابِدٍ.

ف﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] أَي: حَيْرَهُ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣]، بَأَنَّ كُلَّ عَابِدٍ مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ، وَلَا أُسْتَعْبَدَهُ إِلَّا هَوَاهُ، سَوَاءٌ صَادَفَ الْأَمْرَ الْمَشْرُوعَ، أَوْ لَمْ يُصَادِفْ. وَالْعَارِفُ الْمُكْمَلُ مَنْ رَأَىٰ كُلَّ مَعْبُودٍ مَجْلَىٰ لِلْحَقِّ يُعْبَدُ فِيهِ.

340

وَلِذَلِكَ سَمَّوْهُ كُلُّهُمْ: «إِلَهًا»، مَعَ أَسْمِهِ الْخَاصِّ: بِحَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ حَيَوَانٍ، أَوْ إِنْسَانٍ، أَوْ كَوَكَبٍ، أَوْ مَلَكٍ، هَذَا أَسْمُ الشَّخْصِيَّةِ فِيهِ. وَالْأُلُوهِيَّةُ مَرْتَبَةٌ تَخِيلُ الْعَابِدَ لَهُ، أَنَّهَا مَرْتَبَةٌ مَعْبُودَةٍ. وَهِيَ — عَلَىٰ

الْحَقِيقَةِ — مَجْلَىٰ الْحَقِّ. الْمَجْلَىٰ الْمُخْتَصُّ لِبَصَرِ هَذَا الْعَابِدِ الْخَاصِّ،

الْمُعْتَكِفِ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْبُودِ، فِي هَذَا الْمَجْلَىٰ الْمُخْتَصِّ. وَلِهَذَا أَقَالَ بَعْضُ

مَنْ عَرَفَ، مَقَالَةً جَاهِلَةٍ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر

: ٣] مَعَ تَسْمِيَّتِهِمْ إِيَّاهُمْ آلِهَةً.

حَتَّىٰ قَالُوا: ﴿أَجْعَلِ آلِهَةً إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [سورة ص

: ٥]. فَمَا أَنْكَرُوهُ، بَلْ تَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ وَقَفُوا مَعَ كَثَرَةِ الصُّورِ،

وَنِسْبَةِ الْأُلُوهِيَّةِ لَهَا.

فَجَاءَ الرَّسُولُ وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ إِلَهِ وَاحِدٍ يُعْرَفُ وَلَا يُشْهَدُ بِشَهَادَتِهِمْ،

أَنَّهُمْ أَتَّبَعُوهُ عِنْدَهُمْ، وَاعْتَقَدُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ آلِلِهِ

زُلْفَى ﴿ [سورة الزمر : ٣].

لِعَلِّمِهِمْ بَأَنَّ تِلْكَ الصُّورَ حِجَارَةٌ، وَلِذَلِكَ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، بِقَوْلِهِ:

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [سورة الرعد : ٣٣] فَمَا يُسَمُّوهُمْ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ

341

الْأَسْمَاءَ لَهُمْ حَقِيقَةٌ.

وَأَمَّا الْعَارِفُونَ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَيُظْهِرُونَ بِصُورَةِ الْإِنْكَارِ لِمَا عَبْدُ

مِنَ الصُّورِ لِأَنَّ مَرْتَبَتَهُمْ فِي الْعِلْمِ تُعْطِيهِمْ أَنْ يَكُونُوا بِحُكْمِ الْوَقْتِ لِحُكْمِ

الرَّسُولِ — الَّذِي آمَنُوا بِهِ — عَلَيْهِمْ، الَّذِي بِهِ سُمُّوا مُؤْمِنِينَ.

فَهُمْ عِبَادُ الْوَقْتِ، مَعَ عِلْمِهِمْ [٦٥ وجه] بِأَنَّهُمْ مَا عَبْدُوا مِنْ تِلْكَ الصُّورِ

أَعْيَانَهَا، وَإِنَّمَا عَبْدُوا اللَّهَ، فِيهَا لِحُكْمِ سُلْطَانِ التَّجَلِّي الَّذِي عَرَفُوهُ مِنْهُمْ،

وَجَهْلُهُ الْمُنْكَرُ، الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا تَجَلَّى.

أَوْ يَسْتَرْهُ الْعَارِفُ الْمُكْمَلُ مِنْ نَبِيِّ وَرَسُولٍ وَوَارِثٍ عَنْهُمْ.

فَأَمَرَهُمْ بِالْإِنْتِزَاحِ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ، لَمَّا أُنْتَزَحَ عَنْهَا رَسُولُ الْوَقْتِ،

أَتَّبَاعًا عَنِ الرَّسُولِ، طَمَعًا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، بِقَوْلِهِ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران : ٣١].

فَدَعَا إِلَى إِلَهِ يُصَمِّدُ إِلَيْهِ. وَيَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ، وَلَا يُشْهَدُ

وَلَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ ﴿ [سورة الأنعام : ١٠٣] بَلْ ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ﴾ [سورة

342

الأنعام : ١٠٣] لِلطُّفَةِ، وَسَرَيَانِهِ فِي أَعْيَانِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ،

كَمَا أَنَّهَا لَا تُدْرِكُ أَرْوَاحَهَا الْمُدْبِرَةُ أَشْبَاحَهَا، وَصُورَهَا الظَّاهِرَةَ.

﴿هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣].

وَالْخَبْرَةُ ذَوْقٌ. وَالذَّوْقُ تَجَلُّ. وَالتَّجَلُّي فِي الصُّورِ. فَلْ أَبْدٌ مِنْهَا، وَلَا بُدَّ مِنْهُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْبُدَهُ مَنْ رَأَاهُ بِهَوَاهُ. إِنْ فَهَمْتَ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [سورة النحل: ٩].

[٢٥] ﴿فَصْ حِكْمَةً عُلُوبِيَّةً فِي كَلِمَةٍ مُوسَوِيَّةٍ﴾

343

حِكْمَةُ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ مِنْ أَجْلِ مُوسَى لِيَعُودَ إِلَيْهِ بِالْإِمْدَادِ حَيَاةَ كُلِّ مَنْ

قُتِلَ مِنْ أَجْلِهِ لِأَنَّهُ قُتِلَ عَلَى أَنَّهُ مُوسَى، وَمَا تَمَّ جَهْلٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ

حَيَاتُهُ عَلَى مُوسَى، أَعْنِي: حَيَاةَ الْمَقْتُولِ مِنْ أَجْلِهِ، وَهِيَ حَيَاةٌ طَاهِرَةٌ عَلَى

الْفِطْرَةِ، لَمْ تُدْنَسْ هَا الْأَغْرَاضُ الْفَسِيَّةُ، بَلْ هِيَ عَلَى فِطْرَةٍ ﴿بَلَى﴾، فَكَانَ

مُوسَى مَجْمُوعٌ حَيَاةٍ مَنْ قُتِلَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مُهَيَّئًا لِدَلِكِ الْمَقْتُولِ

مِمَّا كَانَ أَسْتِعْدَادُ رُوحِهِ لَهُ، كَانَ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهَذَا اخْتِصَاصٌ إِلَهِيٌّ بِمُوسَى، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ.

فَإِنَّ حِكْمَ مُوسَى كَثِيرَةٌ، وَأَنَا — إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى — أَسْرَدُ مِنْهَا فِي

هَذَا الْبَابِ عَلَى قَدْرِ مَا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ فِي خَاطِرِي.

فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا شُوفِهْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

344

فَمَا وَلَدَ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ مَجْمُوعٌ أَرْوَاحٍ كَثِيرَةٍ، جُمَعَ قُوَى فَعَالَةٌ [٦٥]

ظهر] لَأَنَّ الصَّغِيرَ يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ.

أَلَا تَرَى الطِّفْلَ يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ بِالْخَاصِّيَّةِ، فَيَنْزِلُ الْكَبِيرُ مِنْ رِيَاسَتِهِ  
إِلَيْهِ فَيُلَاعِبُهُ وَيُزَقِّقُ لَهُ، وَيُظَهِّرُ لَهُ بِعَقْلِهِ.

فَهُوَ تَحْتَ تَسْخِيرِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، ثُمَّ شَغَلَهُ بِتَرْبِيَّتِهِ وَحِمَايَتِهِ وَتَفَقَّدَ  
مَصَالِحَهُ وَتَأَنِّيَسِهِ حَتَّى لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ. هَذَا كُلُّهُ مِنْ فِعْلِ الصَّغِيرِ بِالْكَبِيرِ.  
وَذَلِكَ لِقُوَّةِ الْمَقَامِ. فَإِنَّ الصَّغِيرَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ، لِأَنَّهُ حَدِيثُ التَّكْوِينِ،  
وَالْكَبِيرُ أَبْعَدُ، فَمَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَقْرَبَ، سَخَّرَ مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَبْعَدَ.  
كَخَوَاصِّ الْمَلِكِ — لِلْقُرْبِ مِنْهُ — يُسَخِّرُونَ الْأَبْعَدِينَ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُزُ بِنَفْسِهِ لِلْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ،

345

وَيَكْشِفُ رَأْسَهُ لَهُ، حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُ، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ».

فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، مِنْ هَذَا النَّبِيِّ، مَا أَجَلَّهَا وَمَا أَعْلَاهَا وَأَوْضَحَهَا.

فَقَدْ سَخَّرَ الْمَطَرُ أَفْضَلَ الْبَشَرِ لِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، فَكَانَ مِثْلَ الرَّسُولِ الَّذِي

يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ فِدْعَاهُ بِالْحَالِ بِذَاتِهِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ، لِيُصِيبَ مِنْهُ مَا

أَتَاهُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

فَلَوْلَا مَا حَصَلَتْ لَهُ مِنْهُ الْفَائِدَةُ الْإِلَهِيَّةُ، بِمَا أَصَابَ مِنْهُ، مَا بَرَزَ بِنَفْسِهِ

346

إِلَيْهِ.

فَهَذِهِ رِسَالَةُ مَاءٍ، ﴿جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [اقتباس من سورة الأنبياء

: ٣٠]، فَافْهَمُ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ إِقَائِهِ فِي التَّابُوتِ وَرَمِيهِ فِي الْيَمِّ: فَالتَّابُوتُ نَاسُوتُهُ. وَالْيَمُّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ، بِوَاسِطَةِ هَذَا الْجِسْمِ، مِمَّا أَعْطَتْهُ الْقُوَّةُ النَّظَرِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ، وَالْقُوَى الْحِسِّيَّةُ، وَالْخَيَالِيَّةُ، الَّتِي لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا مِنْ أَمْثَالِهَا، لِهَذِهِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِلَّا بِوُجُودِ هَذَا الْجِسْمِ الْعُنْصُرِيِّ. فَلَمَّا حَصَلَتِ النَّفْسُ فِي هَذَا الْجِسْمِ، وَأُمِرَتْ بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ وَتَدْبِيرِهِ، جَعَلَ اللَّهُ لَهَا هَذِهِ الْقُوَى آلَاتٍ تَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا فِي تَدْبِيرِ هَذَا التَّابُوتِ، الَّذِي فِيهِ سَكِينَةُ الرَّبِّ.

فَرُمِيَ بِهِ فِي الْيَمِّ [٦٦ وجه] لِيَحْصَلَ بِهِذِهِ الْقُوَى عَلَى فُنُونِ الْعِلْمِ. فَأَنَّ عِلْمَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الرُّوحُ الْمُدَبِّرُ لَهُ هُوَ الْمَلَكُ، فَإِنَّهُ لَا يُدَبِّرُهُ إِلَّا بِهِ، فَأَصْحَبَهُ هَذِهِ الْقُوَى الْكَائِنَةُ فِي هَذَا النَّاسُوتِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّابُوتِ، فِي بَابِ الْإِشَارَاتِ وَالْحِكَمِ.

347

كَذَلِكَ تَدْبِيرُ الْحَقِّ الْعَالَمِ، مَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ أَوْ بِصُورَتِهِ. فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ، كَتَوَقُّفِ الْوَلَدِ عَلَى إِيجَادِ الْوَالِدِ، وَالْمُسَبِّبَاتِ عَلَى أَسْبَابِهَا، وَالْمَشْرُوطَاتِ عَلَى شُرُوطِهَا، وَالْمَعْلُومَاتِ عَلَى عِلَلِهَا، وَالْمَدْلُولَاتِ عَلَى أدِلَّتِهَا، وَالْمُحَقَّقَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَالَمِ. وَهُوَ تَدْبِيرُ الْحَقِّ فِيهِ، فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُنَا: «أَوْ بِصُورَتِهِ» — أَعْنِي: صُورَةَ الْعَالَمِ — فَأَعْنِي بِهِ: الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ، الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، الَّتِي تَسَمَّى الْحَقُّ

بِهَا وَاتَّصَفَ بِهَا.

348

فَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَسْمٍ تَسْمَى بِهِ، إِلَّا وَجَدْنَا مَعْنَى ذَلِكَ الْأَسْمِ

رُوحَهُ فِي الْعَالَمِ، فَمَا دَبَّرَ الْعَالَمَ أَيْضًا إِلَّا بِصُورَةِ الْعَالَمِ.

وَلِذَلِكَ قَالَ: فِي خَلْقِ آدَمَ الَّذِي هُوَ الْبَرُّ نَا مِجُ الْجِ أَمِيعُ لِنُعُوتِ الْحَضَرَةِ

الْإِلَهِيةِ، الَّتِي هِيَ الذَّاتُ، وَالصِّفَاتُ، وَالْأَفْعَالُ، «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى

صُورَتِهِ»، وَلَيْسَتْ صُورَتُهُ سِوَى الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيةِ، فَأَوْجَدَ فِي هَذَا

349

الْمُخْتَصِرِ الشَّرِيفِ — الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ — جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيةِ،

وَحَقَائِقَ مَا خَرَجَ عَنْهُ، فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ الْمُنْفَصِلِ، وَجَعَلَهُ رُوحًا لِلْعَالَمِ،

فَسَخَّرَ لَهُ الْعُلُوَّ وَالسُّفْلَ، لِكَمَالِ الصُّورَةِ.

فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِحَمْدِهِ، كَذَلِكَ لَيْسَ

شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ مُسَخَّرٌ لِهَذَا الْإِنْسَانِ، لِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ صُورَتِهِ.

فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْ هُنَا﴾ [سورة

الْجَاثِيَةِ : ١٣]، فَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ تَحْتَ تَسْخِيرِ الْإِنْسَانِ، عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ

عَلِمَهُ — وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ — وَجَهِلَ ذَلِكَ مَنْ جَهِلَهُ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ

الْحَيَوَانُ.

فَكَانَتْ صُورَةُ إِقَاءِ مُوسَى فِي التَّابُوتِ، وَإِقَاءِ التَّابُوتِ فِي الْيَمِّ صُورَةُ

هَلَاكِ، وَفِي الْبَاطِنِ كَانَتْ نَجَاةً لَهُ مِنَ الْقَتْلِ، [٦٦ ظه ر] فَحْيَايَا كَمَا تَحْيَا

النُّفُوسُ بِالْعِلْمِ، مِنْ مَوْتِ الْجَهْلِ.

كَمَا قَالَ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] يَعْني: بِالْجَهْلِ،

﴿فَأَحْيَا يَنْ هُ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] يَعْني: بِاِلْعَلْمِ. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢]، وَهُوَ الْهُدَى. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة

الأنعام : ١٢٢] وَهِيَ الضَّلَالُ. ﴿لِيَسْ خَارِجٍ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] أَيْ: لَا

يَهْتَدِي أَبَدًا، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي نَفْسِهِ لَا غَايَةَ لَهُ، يُوقَفُ عِنْدَهَا.

فَالْهُدَى هُوَ أَنْ يَهْتَدِيَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَيَرَةِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَيْرَةً،

وَالْحَيْرَةُ قَلْقُ وَحَرَكَةٌ، وَالْحَرَكََةُ حَيَاةٌ، وَلَا سُكُونٌ، وَلَا مَوْتٌ؛ وَوُجُودٌ، وَلَا عَدَمٌ.

وَكَذَلِكَ فِي الْمَاءِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَحَرَكَتُهَا، قَوْلُهُ: ﴿أَهْتَزَّتْ﴾

[سورة الحج : ٥]، وَحَمَلُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَرَبَّتْ﴾ [سورة الحج : ٥] وَوِلَادَتُهَا قَوْلُهُ:

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج : ٥]. أَيْ: أَنَّهَا مَاوَلَدَتْ إِلَّا مَنْ

يُشِّ بِهَ هَا، أَيْ: طَبِيعِيًّا مِثْلَهَا، فَكَانَتْ الزَّوْجِيَّةُ الَّتِي هِيَ الشَّفْعِيَّةُ لَهُ أ، بِمِثْلِهَا تَوْلَدُ

مِنْهَا، وَظَهَرَ عَنْهَا.

كَذَلِكَ وَجُودُ الْحَقِّ، كَانَتْ الْكَثْرَةُ لَهُ، وَتَعْدَادُ الْأَسْمَاءِ، أَنَّهُ كَذَا وَكَذَا،

بِمَا ظَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يَطْلُبُ بِنَشْأَتِهِ حَقَائِقَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَنَبَتَ بِهِ وَبِخَالِقِهِ، أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ.

وَقَدْ كَانَ أَحَدِي الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، كَالجِ وَهَرِ الْهَيُولَانِيِّ، أَحَدِي الْعَيْنِ،

مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، كَثِيرٌ بِالصُّورِ الظَّاهِرَةِ فِيهِ، الَّتِي هُوَ حَامِلٌ لَهَا بِذَاتِهِ.  
كَذَلِكَ الْحَقُّ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ صُورِ التَّجَلِّي، فَكَانَ مَجْلَى صُورِ الْعَالَمِ  
مَعَ الْأَحَدِيَّةِ الْمَعْقُولَةِ.

فَأَنْظُرْ مَا أَحْسَنَ هَذَا التَّعْلِيمَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي يَخْصُّ اللَّهُ بِاِ لْطَّلَاعِ عَلَِيهِ مَنْ  
شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَلَمَّا وَجَدَهُ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْيَمِّ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، سَمَّاهُ فِرْعَوْنُ: «مُوسَى»؛ 351

وَالِ«مُو» هُوَ الْمَاءُ بِالْقَبْطِيَّةِ، وَ الِ«سَا» هُوَ الشَّجَرُ، فَسَمَّاهُ بِمَا وَجَدَهُ  
عِنْدَهُ، فَإِنَّ التَّابُوتَ وَقَفَ عِنْدَ الشَّجَرَةِ فِي الْيَمِّ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَقَالَتْ

أُمُّرَأَتُهُ — وَ كَانَتْ مُنْطَقَةً بِالنُّطْقِ الْإِلَهِيِّ — فِيمَا قَالَتْ لِفِرْعَوْنَ، إِذْ كَانَ 352

اللَّهُ خَلَقَهَا لِلْكَمَالِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا، حَيْثُ شَهِدَ لَهُ الْوَلَدُ بِنْتِ 353

عِمْرَانَ بِالْكَمَالِ، الَّذِي هُوَ لِلذُّكْرَانِ، فَقَالَتْ لِفِرْعَوْنَ فِي حَقِّ مُوسَى [٦٧]

وَجْهِ [إِنَّهُ: ﴿قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [سورة القصص : ٩].

فَبِهِ قَرَّتْ عَيْنُهَا بِالْكَمَالِ، الَّذِي حَصَلَ لَهَا — كَمَا قُلْنَا — وَ كَانَ قُرَّةً

عَيْنِ لِفِرْعَوْنَ بِالْإِيمَانِ، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِنْدَ الْغَرَقِ.

فَقَبَضَهُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَبَثِ، لِأَنَّهُ قَبَضَهُ عِنْدَ

إِيمَانِهِ، قَبْلَ أَنْ يَكْتَسِبَ شَيْئًا مِنَ الْآثَامِ، وَالْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، وَجَعَلَهُ آيَةً

عَلَى عِبَادِهِ — سُبْحَانَهُ — بِمَنْ شَاءَ، حَتَّى لَا يَيَاسَ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

﴿فَإِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [اقتباس سورة يوسف



[٨٧] فَلَوْ كَانَ فِرْعَوْنُ مِمَّنْ يَبْئَسُ، مَا بَادَرَ إِلَى الْإِيمَانِ.

فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَتْ أَمْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ فِيهِ: إِنَّهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي  
وَلَكِ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا، وَكَذَلِكَ وَقَعَ، فَإِنَّ اللَّهَ نَفَعَهُمَا بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ  
كَانَ مَا شَعَرَ، بَأَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكُ مُلْكِ فِرْعَوْنَ، وَهَلَاكُ  
آلِهِ. وَلَمَّا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ، أَصْبَحَ فَوْادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا مِنَ الْهَمِّ، الَّذِي  
كَانَ قَدْ أَصَابَهَا.

354

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى تَدْيِ أُمِّهِ فَأَرْضَعَتْهُ  
لِيُكْمَلَ اللَّهُ لَهَا سُرُورَهَا بِهِ.

كَذَلِكَ عَلِمَ الشَّرَّائِعُ، كَمَا قَالَ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْ هَاجًا﴾ [سورة  
المائدة: ٤٨]، أَي: طَرِيقًا وَمِنْهَا جَاءَ، أَي: مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ جَاءَ، فَكَانَ هَذَا  
الْقَوْلُ إِشَارَةً إِلَى الْأَصْلِ، الَّذِي مِنْهُ جَاءَ.

فَهُوَ غِذَاؤُهُ، كَمَا أَنَّ فَرْعَ الشَّجَرَةِ لَا يَتَغَذَّى إِلَّا مِنْ أَصْلِهِ.  
فَمَا كَانَ حَرَامًا فِي شَرْعٍ، يَكُونُ حَلَالًا فِي شَرْعٍ آخَرَ، يَعْنِي: فِي  
الصُّورَةِ، أَعْنِي: قَوْلِي يَكُونُ حَلَالًا، وَفِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَا هُوَ عَيْنُ مَا مَضَى، لِأَنَّ  
الْأَمْرَ خَلْقَ جَدِيدٍ، وَلَا تَكَرَّارَ. فَلِهَذَا نَبَّهْنَاكَ.

فَكَنَّيْ عَنْ هَذَا فِي حَقِّ مُوسَى بِتَحْرِيمِ الْمَرَاضِعِ.

فَأَمُّهُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — مَنْ أَرْضَعَتْهُ، لَا مَنْ وَلَدَتْهُ. فَإِنَّ أُمَّ الْوِلَادَةِ،

حَمَلَتْهُ عَلَى جِهَةِ الْأَمَانَةِ فَتَكُونُ فِيهَا، وَتَعْدَى بِدَمِ طَمَثِهَا مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهَا

فِي ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهَا عَلَيْهِ أُمْتَانٌ، فَإِنَّهُ مَا تَغْذَى إِلَّا بِمَا لَوْ لَمْ  
يَتَغَذَّ بِهِ — وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا ذَلِكَ الدَّمُّ — لِأَهْلِكَهَا وَأَمْرَضَهَا، فَلِلْجَنِينِ  
الْمِنَّةُ عَلَى أُمِّهِ [٦٧ ظهر] بِكَوْنِهِ تَغْذَى بِذَلِكَ فَوْقَهَا بِنَفْسِهِ مِنَ الضَّرَرِ الَّذِي  
كَانَتْ تَجِدُهُ لَوْ أُمْتَسَكَ ذَلِكَ الدَّمُّ عِنْدَهَا وَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَتَغَذَّى بِهِ جَنِينُهَا.  
وَالْمُزْجَعَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا قَصَدَتْ بِرِضَاعَتِهِ حَيَاتَهُ وَإِيقَانَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ  
ذَلِكَ لِمُوسَى فِي أُمِّ وَلَدَتِهِ، فَلَمْ تَكُنْ لِمَرْأَةٍ عَلَيْهِ فَضْلٌ إِلَّا لِأُمِّ وَلَدَتِهِ،  
لِيَقَرَّ عَيْنُهَا أَيْضًا بِتَرْبِيَّتِهِ وَتُشَاهِدُ أَنْتِشَاءَهُ فِي حَجْرِهَا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾  
[سورة طه: ٤٠].

وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ غَمِّ التَّابُوتِ، فَخَرَقَ ظُلْمَةَ الطَّبِيعَةِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ  
الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا.  
وَقَتْنَهُ فَتُونًا، أَيُّ: أَخْتَبَرَهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، لِيَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِ صَبْرُهُ عَلَى  
مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ.

فَأَوَّلُ مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ قَتْلُهُ الْقِبْطِيِّ، بِمَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ لَهُ فِي سِرِّهِ وَإِنْ  
لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَاتًا بِقَتْلِهِ، مَعَ كَوْنِهِ مَا تَوَقَّفَ  
حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُ رَبِّهِ بِذَلِكَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومُ الْبَاطِنِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ،  
حَتَّى يُنَبِّأَ أَيُّ: يُخْبِرَ بِذَلِكَ.

وَلِهَذَا أَرَاهُ الْخَضِرُ قَتَلَ الْغُلَامَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ قَتْلَهُ، وَلَمْ يَتَذَكَّرْ قَتْلَهُ  
الْقِبْطِيِّ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [سورة الكهف: ٨٢]، يُنَبِّهُهُ

عَلَىٰ مَرْتَبَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُدَبَّأَ، أَنَّهُ كَانَ مَعْصُومَ الْحَرَكَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ  
يَشْعُرْ بِذَلِكَ، وَأَرَاهُ أَيْضًا خَرَقَ السِّفِينَةَ الَّتِي ظَاهِرُهَا هُلُوكٌ، وَبَاطِنُهَا نَجَاةٌ  
أَتَى مِنْ

يَدِ الْغَاصِبِ، جَعَلَ لَهُ ذَلِكَ فِي مَقَامِ بَلَاءِ التَّابُوتِ لَهُ، الَّذِي كَانَ فِي الْيَمِّ مُطَبَّقًا  
عَلَيْهِ، فَظَاهِرُهُ هَلَاكٌ، وَبَاطِنُهُ نَجَاةٌ.

وَإِنَّمَا أَفَعَلْتُ بِهِ أُمُّهُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ فِرْعَوْنَ، أَنْ يَذْبَحَهُ صَبْرًا،  
وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مَعَ الْوَحْيِ الَّذِي أَلْهَمَهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ، فَوَجَدَتْ  
فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا تُرْضِعُهُ.

فَإِذَا خَافَتْ عَلَيْهِ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، لِأَنَّ فِي الْمَثَلِ: «عَيْنٌ لَا تَرَى، قَلْبٌ لَا  
يَتَّجِعُ» فَلَمْ تَخَفْ عَلَيْهِ خَوْفَ مُشَاهَدَةِ عَيْنٍ، وَلَا حَزَنْتَ عَلَيْهِ حُزْنَ رُؤْيَا  
بَصَرٍ، وَغَلَبَ عَلَى ظَنِّهَا أَنَّ اللَّهَ رُبَّمَا رَدَّهُ إِلَيْهِ لِحُسْنِ ظَنِّهَا بِهِ، فَعَاشَتْ بِهَذَا  
الظَّنِّ [٦٨ وجه] فِي نَفْسِهَا، وَالرَّجَاءِ يُقَابِلُ الْخَوْفَ وَالْيَأْسَ، وَقَالَتْ حِينَ  
أُلْهِمَتْ لِدَلِيلِكَ: «لَعَلَّ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي يُهْلِكُ فِرْعَوْنَ وَالْقِبْطَ عَلَى يَدَيْهِ».

فَعَاشَتْ وَسُرَتْ بِهَذَا التَّوَهُّمِ وَالظَّنِّ، بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، وَهُوَ عِلْمٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ، خَرَجَ فَارًّا خَوْفًا فِي الظَّاهِرِ، وَكَانَ فِي

الْمَعْنَى حُبًّا فِي النِّجَاةِ، فَإِنَّ الْحَرَكَةَ أَبَدًا إِنَّمَا هِيَ حَيِّةٌ، وَيُحْجَبُ

النَّاظِرُ فِيهَا بِأَسْبَابٍ أُخْرَى، وَلَيْسَتْ تِلْكَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ حَرَكََةُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَدَمِ، الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِيهِ إِلَى

الْوُجُودِ، وَلِذَلِكَ يَقَالُ: إِنَّ الْأَمْرَ حَرَكَةٌ عَنْ سُكُونٍ، وَكَأَنَّ الْحَرَكَةَ — الَّتِي

هِيَ وَجُودُ الْعَالَمِ — حَرَكَةُ حُبٍّ . وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرِفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ».

فَلَوْلَا هَذِهِ الْمَحَبَّةُ مَا ظَهَرَ الْعَالَمُ فِي عَيْنِهِ. فَحَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، حَرَكَةُ حُبِّ الْمَوْجِدِ لِذَلِكَ، وَلِأَنَّ الْعَالَمَ أَيْضًا يُحِبُّ شُهُودَ نَفْسِهِ وَجُودًا، كَمَا أَشْهَدَهَا ثُبُوتًا، فَكَانَتْ بِكُلِّ وَجْهِ حَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ الثُّبُوتِيَّ إِلَى الْوُجُودِ، حَرَكَةُ حُبٍّ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ وَجَانِبِهِ، فَإِنَّ الْكَمَالَ مَحْبُوبٌ لِذَاتِهِ. وَعِلْمُهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، هُوَ لَهُ وَمَا بَقِيَ إِلَّا تَمَامٌ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ بِأَعْلَى الْحَادِثِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ، أَعْيَانُ الْعَالَمِ إِذَا وَجِدَتْ. فَتَظْهَرُ صُورَةُ الْكَمَالِ بِالْعِلْمِ الْمُحْدَثِ وَالْقَدِيمِ فَتَكْمُلُ مَرْتَبَتُهُ الْعِلْمُ بِالْوَجْهَيْنِ.

وَكَذَلِكَ تَكْمُلُ مَرَاتِبُ الْوُجُودِ، فَإِنَّ الْوُجُودَ مِنْهُ أَرْكَبِيٌّ وَغَيْرُ أَرْكَبِيٍّ، وَهُوَ الْحَادِثُ. فَالْأَرْكَبِيُّ وَجُودُ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ، وَغَيْرُ الْأَرْكَبِيِّ وَجُودُ الْحَقِّ بِصُورِ الْعَالَمِ الثَّابِتِ. فَيَسْمَى حُدُوثًا، لِأَنَّهُ ظَهَرَ بَعْضُهُ لِبَعْضِهِ، وَظَهَرَ [٦٨ ظهر] لِنَفْسِهِ بِصُورِ الْعَالَمِ، فَكَمُلَ الْوُجُودُ، فَكَانَتْ حَرَكَةُ الْعَالَمِ حُبِّيَّةً لِلْكَمَالِ، فَافْتَقَهُم.

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ نَفَسَ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، مَا كَانَتْ تَجِدُهُ مِنْ عَدَمِ ظُهُورِ أَثَارِهَا فِي عَيْنِ مُسَمَّى الْعَالَمِ، فَكَانَتْ الرَّاحَةُ مَحْبُوبَةً لَهُ. وَلَمْ يُوَصَّلْ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْوُجُودِ الصُّورِيِّ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ، فَثَبَّتَ أَنَّ

الْحَرَكَةُ كَانَتْ لِلْحُبِّ، فَمَا تَمَّ حَرَكَةٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَهِيَ حُبِّيَّةٌ.

فَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْجُبُ بِهِ السَّبَبَ الْأَقْرَبَ لِلْحُكْمِ فِي الْحَالِ، وَأَسْتَيْلَايِهِ عَلَى النَّفْسِ.

فَكَانَ الْخَوْفُ لِمُوسَى مَشْهُودًا لَهُ، بِمَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ الْقِبْطِيِّ، وَتَضَمَّنَ الْخَوْفُ حُبَّ النِّجَاةِ مِنَ الْقَتْلِ. فَفَرَّ لَمَّا خَافَ، وَفِي الْمَعْنَى، فَفَرَّ لَمَّا أَحَبَّ النِّجَاةَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ بِهِ. فَذَكَرَ السَّبَبَ الْأَقْرَبَ الْمَشْهُودَ لَهُ فِي الْوَقْتِ، الَّذِي هُوَ كَصُورَةِ الْحِسِّ لِلْبَشَرِ. وَحُبُّ النِّجَاةِ مُضْمَنٌ فِيهِ، تَضَمَّنَ الْجَسَدَ لِلرُّوحِ الْمُدَبِّرِ لَهُ.

359

وَالْأَنْبِيَاءُ لَهُمْ لِسَانُ الظَّاهِرِ، بِهِ يَتَكَلَّمُونَ لِعُمُومِ الْخِطَابِ، وَأَعْتَمَادِهِمْ عَلَى فَهْمِ الْعَالِمِ السَّامِعِ، فَلَا تَعْتَبِرُ الرُّسُلُ إِلَّا الْعَامَّةَ، لِعِلْمِهِمْ بِمَرْتَبَةِ أَهْلِ الْفَهْمِ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ فِي الْعَطَايَا فَقَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ يُكَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ».

فَاعْتَبَرَ الضَّعِيفَ الْعَقْلَ وَالنَّظَرَ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الطَّمَعُ وَالطَّبْعُ.

فَكَذَا مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْعُلُومِ، جَاؤُوا بِهِ، وَعَلَيْهِ خِلْعَةُ أَدْنَى الْفُهْمِ،

لِيَقِفَ مَنْ لَا غَوْصَ لَهُ عِنْدَ الْخِلْعَةِ، فَيَقُولُ: «مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْخِلْعَةَ!»

360

وَيَرَاهَا غَايَةَ الدَّرَجَةِ. وَيَقُولُ صَاحِبُ الْفَهْمِ الدَّقِيقِ، الْغَائِصُ عَلَى دُرِّ

الْحِكْمِ — بِمَا أَسْتَوْجَبَ هَذَا — «هَذِهِ الْخِلْعَةُ مِنَ الْمَلِكِ»، فَيَنْظُرُ فِي

قَدْرِ الْخِلْعَةِ وَصِنْفِهَا مِنَ الثِّيَابِ، فَيَعْلَمُ مِنْهَا قَدْرَ مَنْ خُلِعَتْ عَلَيْهِ فَيَعْتَرُ

عَلَىٰ عِلْمٍ لَّمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا.

وَلَمَّا عَلِمَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ، أَنَّ فِي الْعَالَمِ [٦٩ وجه] وَأُمَّتِهِمْ

مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، عَمَدُوا فِي الْعِبَارَةِ إِلَى اللَّسَانِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَقَعُ فِي هـ

أَشْتَرَاكَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَيَفْهَمُ مِنْهُ الْخَاصَّ مَا فَهَمَ الْعَامَّةُ مِنْهُ وَزِيَادَةً مِمَّا

صَحَّ لَهُ بِهِ أَسْمٌ، أَنَّهُ خَاصٌّ فَيَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْعَامِّيِّ، فَأَكْتَفَى الْمُبْلَغُ وَنَ الْعُلُومَ

بِهَذَا.

فَهَذَا حِكْمَةُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [سورة

الشعراء : ٢١] وَلَمْ يَقُلْ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ حُبًّا فِي السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ.

فَجَاءَ إِلَى مَدْيَنَ فَوَجَدَ الْجَارِيَتَيْنِ، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [سورة القصص : ٢٤]

مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [سورة القصص : ٢٤] الْإِلَهِيِّ، فَقَالَ:

﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص : ٢٤] فَجَعَلَ عَيْنَ

عَمَلِهِ السَّقْيِ، عَيْنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ إِلَى

اللَّهِ، فِي الْخَيْرِ الَّذِي عِنْدَهُ.

361

فَأَرَاهُ الْخَضِرُ إِقَامَةَ الْجِدَارِ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، فَعَتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ

بِسَبْقِ آيَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ، حَتَّى تَمَنَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ، أَنَّ يَسْكُتَ مُوسَى عَلَى يَدِ السَّلَامِ وَلَا يَعْتَرِضَ، حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ

أَمْرِهِمَا، فَيُعْلَمَ بِذَلِكَ مَا وَفَّقَ إِلَيْهِ مُوسَى، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ.

إِذْ لَوْ كَانَ عَنْ عَلَمٍ، مَا أَنْكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى الْخَضِرِ، الَّذِي قَدْ شَهِدَ اللَّهُ

لَهُ عِنْدَ مُوسَى، وَزَكَاهُ وَعَدَلَهُ، وَمَعَ هَذَا غَفَلَ مُوسَى عَنْ تَرْكِ كَيْدِ اللَّهِ، وَعَمَّا شَرَطَهُ عَلَيْهِ فِي اتِّبَاعِهِ، رَحْمَةً بِنَا إِذَا نَسِينَا أَمَرَ اللَّهِ.

وَلَوْ كَانَ مُوسَى عَالِمًا بِذَلِكَ، لَمَا قَالَ لَهُ الْخِضْرُ: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف : ٦٨]، أَي: إِنِّي عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَحْصُلْ لَكَ عَنْ ذَوْقٍ، كَمَا أَنَّكَ عَلَى عِلْمٍ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا. فَأَنْصَفَ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ فِرَاقِهِ، فَلِإِنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَى كُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُ وَأَنَّ﴾ [سورة الح شر: ٧]، فَوَقَفَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الرِّسَالَةِ وَالرَّسُولِ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ. وَقَدْ عَلِمَ الْخِضْرُ أَنَّ مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخَذَ يَرْقُبُ مَا يَكُونُ مِنْهُ، لِيُوفِّيَ الْأَدَبَ حَقَّهُ مَعَ الرَّسُولِ.

فَقَالَ لَهُ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾ [سورة الك هف :

٧٦]، فَنَهَاهُ عَنْ صُحْبَتِهِ. فَلَمَّا وَقَعَتْ مِنْهُ الثَّالِثَةُ، [٦٩ ظهر] قَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [سورة الك هف: ٧٨]، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ مُوسَى: «لَا تَفْ عُلٌّ» وَلَا طَلَبَ صُحْبَتَهُ لِعِلْمِهِ بِقَدْرِ الرُّبُوبَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، الَّتِي أَنْطَقَتْهُ بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يَصْحَبَهُ.

فَسَكَتَ مُوسَى. وَوَقَعَ الْفِرَاقُ. فَانْظُرْ إِلَى كَمَا لِهَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي الْعِلْمِ، وَتَوْفِيَةِ الْأَدَبِ الْإِلَهِيِّ حَقَّهُ.

وَأِنْصَافُ الْخِضْرِ فِيمَا اعْتَرَفَ بِهِ عَنْ دَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ لَهُ:

«أَنَا عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ. وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ، لَا

أَعْلَمُهُ أَنَا». فَكَانَ هَذَا الْإِعْلَامُ مِنَ الْخِضْرِ لِمُوسَى دَوَاءً لِمَا جَرَّحَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة الكهف : ٦٨]، مَعَ عِلْمِهِ بِعُلُوقِ رُتْبَتِهِ بِالرِّسَالَةِ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ الرُّتْبَةُ لِلْخِضْرِ. وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي حَدِيثِ إِبَارِ النَّخْلِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْلِ بِهِ، وَلِهَذَا مَدَحَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فَقَدْ أَعْتَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ بِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الدُّنْيَا مِنْهُ، لِكُونِهِ لَا خَبْرَةَ لَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ عِلْمٌ نَوَاقِظٌ وَتَجَرِبَةٌ، وَلَمْ يَتَفَرَّغْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِلْمِ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ شُغْلُهُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ.

فَقَدْ نَبَّهْتُكَ عَلَىٰ أَدَبٍ عَظِيمٍ، تَنْتَفِعُ بِهِ، إِنْ أَسْتَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [سورة الشعراء : ٢١]، يُرِيدُ: الْخِلاَفَةَ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ [سورة الشعراء : ٢١]، يُرِيدُ: الرِّسَالَةَ، فَمَا كُلُّ رَسُولٍ خَلِيفَةٌ، فَالْخَلِيفَةُ صَاحِبُ السَّيْفِ، وَالْعَزْلُ وَالْوَلَايَةُ، وَالرَّسُولُ لَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْهِ بَلَاغٌ مَا أُرْسِلَ بِهِ. فَإِنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَحَمَاهُ بِالسَّيْفِ فَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الرَّسُولُ. فَكَمَا أَنَّهُ مَا كُلُّ نَبِيِّ رَسُولًا، كَذَلِكَ مَا كُلُّ رَسُولٍ خَلِيفَةً. أَيُّ: مَا أُعْطِيَ الْمَلِكُ وَلَا التَّحْكُمُ فِيهِ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ سُؤَالِ فِرْعَوْنَ عَنِ الْمَاهِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلٍ، وَإِنَّمَا كَانَ عَنِ اخْتِبَارٍ، حَتَّى يَرَى جَوَابَهُ مَعَ دَعْوَاهُ الرَّسَالََةَ عَنْ رَبِّهِ. وَقَدْ عِلِمَ



فَرَعُونَ مَرْتَبَةَ الْمُرْسَلِينَ فِي الْعِلْمِ، فَيَسْتَدِلُّ بِجَوَابِهِ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ.

364

وَسَأَلَ سُؤَالَ إِيَّاهُمْ مِنْ أَجْلِ الْحَاضِرِينَ، حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ [٧٠ وجه] بِمَا شَعَرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ فِي سُؤَالِهِ.

فَإِذَا أَجَابَهُ جَوَابَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ، أَظْهَرَ فِرْعَوْنُ — إِبْقَاءَ الْمُنْصِبِ —

أَنَّ مُوسَى مَا أَجَابَهُ عَلَى سُؤَالِهِ.

فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَ الْحَاضِرِينَ — لِقُصُورِ فَهْمِهِمْ — أَنَّ فِرْعَوْنَ أَعْلَمُ مِنْ

مُوسَى، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ لَهُ فِي الْجَوَابِ مَا يَنْبَغِي. وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ غَيْرُ

جَوَابٍ عَلَى مَا سُئِلَ عَنْهُ.

وَقَدْ عَلِمَ فِرْعَوْنُ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَّا بِذَلِكَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ

الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمْ جُنُونٌ﴾ [سورة الشعراء : ٢٧] أَيْ مَسْتُ وَرُ عَنْهُ عِلْمٌ مَا سَأَلْتَهُ

عَنْهُ، إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَعْلَمَ أَصْلًا.

فَالسُّؤَالُ صَحِيحٌ. فَإِنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَاهِيَّةِ، سُؤَالٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَطْلُوبِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ جَعَلُوا الْحُدُودَ مَرَكَّزَةً

مِنْ جِنْسٍ وَفَصْلٍ، فَذَلِكَ فِي كُلِّ مَا يَقَعُ فِيهِ التَّشْتِرَاكُ. وَمَنْ لَا جِنْسَ لَهُ، لَا

يَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ، لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ. فَالسُّؤَالُ صَحِيحٌ

365

عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَقْلِ السَّلِيمِ. وَالْجَوَابُ عَنْهُ لَا

يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَجَابَ بِهِ مُوسَى.

وَهُنَا سِرٌّ كَبِيرٌ، فَإِنَّهُ أَجَابَ بِالْفِعْلِ لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الْحَدِّ الذَّاتِيِّ، فَجَعَلَ

الْحَدَّ الذَّاتِيَّ عَيْنَ إِضَافَتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ بِهِ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ، أَوْ مَا ظَهَرَ فِيهِ  
 مِنْ صُورِ الْعَالَمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُ فِي جَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ [سورة  
 الشعراء : ٢٣] قَالَ: «الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ صُورُ الْعَالَمِينَ مِنْ عُلُوِّ وَهُوَ السَّمَاءُ.  
 وَسُفْلُ وَهُوَ الْأَرْضُ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [سورة الشعراء : ٢٤]. أَوْ يَظْهَرُ هُوَ  
 بِهَا.

فَلَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لِأَصْحَابِهِ: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة القلم : ٥١]، كَمَا قُلْنَا  
 فِي مَعْنَى كَوْنِهِ مَجْنُونًا.

زَادَ مُوسَى فِي الْبَيَانِ، لِيَعْلَمَ فِرْعَوْنُ رُتْبَتَهُ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ  
 فِرْعَوْنَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة الشعراء : ٢٨]،  
 فَجَاءَ بِمَا يَظْهَرُ وَيَسْتَبْرَأُ، وَهُوَ «الظَّاهِرُ» وَ«الْبَاطِنُ» وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُهُ:  
 ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الشعراء : ٢٤]، أَي: إِنْ كُنْ  
 تُمْ

أَصْحَابَ تَقْيِيدٍ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يُقَيَّدُ. 366

فَالْجَوَابُ الْأَوَّلُ، جَوَابُ الْمُوقِنِينَ، وَهُمْ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ، فَقَالَ  
 لَهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [سورة الشعراء : ٢٤] [٧٠ ظهر] أَي: أَهْلُ كَشْفِ  
 وَوُجُودٍ، فَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ بِمَا تَيَقَّنْتُمُوهُ فِي شُهُودِكُمْ وَوُجُودِكُمْ.

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ هَذَا الصَّنَفِ، فَقَدْ أَجَبْتُكُمْ فِي الْجَوَابِ الثَّانِي، إِنْ  
 كُنْتُمْ أَهْلَ عَقْلٍ وَتَقْيِيدٍ، وَحَصَرْتُمْ الْحَقَّ فِيمَا تُعْطِيهِ أَدَلَّةُ عُقُولِكُمْ، فَظَهَرَ

مُوسَى بِأَنَّ لَيْعَ لَمْ فِرْعَوْنَ فَضْلَهُ وَصِدْقَهُ، وَعَلِمَ مُوسَى أَنَّ فِرْعَوْنَ،

لَوْجَهَيْنِ، عِلْمَ

ذَلِكَ، أَوْ يَعْلَمُ ذَلِكَ، لِكَوْنِهِ سَأَلَ عَنِ الْمَاهِيَّةِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ سُؤَالُهُ عَلَى  
أَصْطِلَاحِ الْقَدَمَاءِ فِي السُّؤَالِ بِ«مَا»، فَلِذَلِكَ أَجَابَ، فَلَوْ عَلِمَ مِنْهُ غَيْرَ  
ذَلِكَ لَخَطَأَهُ فِي السُّؤَالِ.

فَلَمَّا جَعَلَ مُوسَى الْمَسْئُولَ عَنْهُ، عَيْنَ الْعَالَمِ، خَاطَبَهُ فِرْعَوْنُ بِهَذَا  
اللِّسَانِ، وَالْقَوْمُ لَا يَشْعُرُونَ. فَقَالَ لَهُ: ﴿لَئِنْ أَتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ  
مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ [سورة الشعراء : ٢٩].

و«السَّيْنُ» فِي السَّجْنِ مِنْ حُرُوفِ الزَّوَائِدِ، أَي: لَأَسْتُرَنَّكَ فَإِنَّكَ  
أَجَبْتَ بِمَا أَيْدَتْنِي بِهِ، أَنْ أَقُولَ لَكَ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ.

367

فَإِنْ قُلْتَ لِي، فَقَدْ جَهَلْتَ يَا فِرْعَوْنُ بَوَعِيدِكَ إِيَّايَ، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ.  
فَكَيْفَ فَرَّقْتَ؟ فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ: «إِنَّمَا فَرَّقْتُ الْمَرَاتِبُ الْعَيْنَ، مَا تَفَرَّقَتْ  
الْعَيْنُ، وَلَا أُنْقَسَمْتُ فِي ذَاتِهَا. وَمَرَّتَبَتِي الْآنَ التَّحَكُّمُ فِيكَ يَا مُوسَى  
بِالْفِعْلِ، وَأَنَا أَنْتَ بِالْعَيْنِ، وَغَيْرِكَ بِالرُّتْبَةِ.

فَلَمَّا فَهِمَ ذَلِكَ مُوسَى مِنْهُ، أَعْطَاهُ حَقَّهُ، فِي كَوْنِهِ يَقُولُ لَهُ: «لَا تَقْدِرُ  
عَلَى ذَلِكَ». وَالرُّتْبَةُ تَشْهَدُ لَهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِ الْأَثَرِ فِيهِ، لِأَنَّ الْحَقَّ فِي  
رُتْبَةِ فِرْعَوْنِ، مِنَ الصَّوَرَةِ الظَّاهِرَةِ، لَهَا التَّحَكُّمُ عَلَى الرُّتْبَةِ، الَّتِي كَانَ فِيهَا  
ظُهُورُ مُوسَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ.

فَقَالَ لَهُ: يُظْهِرُ لَهُ الْمَانِعَ مِنْ تَعْدِيهِ عَلَيْهِ: ﴿أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾

[سورة الشعراء : ٣٠]؟ فَلَمْ يَسْعَ فِرْعَوْنُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ لَهُ : ﴿فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ

أَلْسِدِيقِينَ﴾ [سورة الشعراء : ٣١]، حَتَّى لَا يَظْهَرَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ ضَعْفَاءِ الرَّأْيِ

مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ مِ الْإِنْصَافِ، فَكَانُوا يَرَوْنَ تَابُونَ فِيهِ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي  
﴿أَسْتَخَفَّهَا

فِرْعَوْنُ فَأَطَاعُوهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [اقتبأ من سورة الزخرف : ٥٤] أَيْ:

خَارِجِينَ عَمَّا تُعْطِيهِ الْعُقُولُ وَالصَّحِيحَةُ مِنْ إِنْكَارِ [٧١ وجه] مَا أَدَّعَاهُ  
فِرْعَوْنُ

بِاللِّسَانِ الظَّاهِرِ فِي الْعَقْلِ، فَإِنَّ لَهُ حَدًّا يَقِفُ عِنْدَهُ، إِذَا جَاوَزَهُ صَاحِبُ  
الْكَشْفِ وَالْيَقِينِ.

وَلِهَذَا جَاءَ مُوسَى بِالْجَوَابِ، بِمَا يَقْبَلُهُ الْمُوقِنُ وَالْعَاقِلُ خَاصَّةً،

368

﴿فَأَقْبَىٰ عَصَاهُ﴾ [سورة الشعراء : ٣٢]، وَهِيَ صُورَةُ مَا عَصَىٰ بِهِ فِرْعَوْنُ

مُوسَى فِي إِبَائِهِ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾ [سورة الشعراء :  
٣٢]، أَيْ: حَيَّةٌ ظَاهِرَةٌ.

فَأَنْقَلَبَتِ الْمَعْصِيَةُ، الَّتِي هِيَ السَّيِّئَةُ، طَاعَةً، أَيْ: حَسَنَةً. كَمَا قَالَ

: ﴿يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [سورة الفرقان : ٧٠]، يَعْنِي: فِي الْحُكْمِ.

فَظْهَرَ الْحُكْمُ هُنَا عَيْنًا مُتَمَيِّزَةً فِي جَوْهَرٍ وَاحِدٍ. فَهِيَ الْعَصَا، وَهِيَ

الْحَيَّةُ وَالتُّعْبَانُ الظَّاهِرُ، فَالْتَقَمَ أَمَثَالُهُ مِنَ الْحَيَّاتِ، مِنْ كَوْنِهَا حَيَّةً،

وَالْعَصَى مِنْ كَوْنِهَا عَصًا. فَظَهَرَتْ حُجَّةُ مُوسَى عَلَى حُجَجِ فِرْعَوْنِ، فِي

صُورَةَ عِصَى وَحَيَاتٍ وَحِبَالٍ.

فَكَانَتْ لِلْسَّحَرَةِ الْحِبَالُ، وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى حَبْلٌ. وَالْحَبْلُ، التِّلْ

الصَّغِيرُ أَي: مَقَا دِيرُهُمْ بِا لِنُسْبَةِ إِلَى قَدْرِ مُوسَى بِمَنْزِلَةِ الْحِبَالِ مِنَ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ. 369

فَلَمَّا رَأَتْ السَّحَرَةُ ذَلِكَ، عَلِمُوا رُتْبَةَ مُوسَى فِي الْعِلْمِ، وَأَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ  
لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ لَهُ  
تَمَيِّزٌ فِي الْعِلْمِ الْمُحَقَّقِ عَنِ التَّخِيلِ وَالْإِيْهَامِ، فَاْمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ  
مُوسَى وَهَارُونَ: أَي: الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُوا إِلَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ  
الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا دَعَا لِفِرْعَوْنَ.

وَلَمَّا كَانَ فِرْعَوْنُ فِي مَنْصِبِ التَّحَكُّمِ صَاحِبَ الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ  
بِالسَّيْفِ — وَإِنْ جَارَ فِي الْعُرْفِ النَّامُوسِي — لِذَلِكَ قَالَ: ﴿أَنَا  
رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات : ٢٤] أَي: وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ أَرْبَابًا بِنِسْبَةِ مَا،  
فَأَنَا الْأَعْلَى مِنْهُمْ، بِمَا أُعْطِيَتْهُ فِي الظَّاهِرِ مِنَ التَّحَكُّمِ فِيكُمْ.

وَلَمَّا عَلِمَتِ السَّحَرَةُ صِدْقَهُ فِيمَا قَا لَهُ لَمْ يُنْ كِرُوهُ وَأَقْرَأُوا لَهُ بِذَلِكَ فَقَالُوا  
لَهُ: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة طه : ٧٢] ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ  
قَاضٍ﴾ [سورة طه : ٧٢] فَالِدَوْلَةُ لَكَ. فَصَحَّ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾  
[سورة النازعات : ٢٤]، وَإِنْ كَانَ عَيْنَ الْحَقِّ فَالْصُّورَةُ لِفِرْعَوْنَ، فَقَطَعَ

الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ، وَصَلَبَ بِعَيْنِ حَقٍّ فِي صُورَةِ بَا طِلٍ [٧١ ظهر] لِنَيْلِ مَرَاتِبِ 370

لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَلِكَ الْفِعْلِ. فَإِنَّ الْأَسْبَابَ لَا سَبِيلَ إِلَى تَعْطِيلِهَا، لِأَنَّ  
الْأَعْيَ أَنْ الثَّابِتَةَ أَقْنَضَتْهَا، فَلَا تَظْهَرُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا بِصُورَةِ مَا هِيَ عَلَى هِ  
فِي الثُّبُوتِ، إِذْ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ. وَلَيْسَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ سِوَى أَعْيَانِ  
الْمَوْجُودَاتِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الْقِدَمُ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُهَا، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الْحُدُوثُ  
مِنْ حَيْثُ وُجُودُهَا وَظُهُورُهَا، كَمَا نَقُولُ: حَدَّثَ الْيَوْمَ عَنْ دَنَا إِنْسَ أَنْ أَوْ ضَيْفُ

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حُدُوثِهِ أَنَّهُ مَا كَانَ لَهُ وُجُودٌ قَبْلَ هَذَا الْحُدُوثِ. لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى  
فِي كَلَامِهِ الْعَزِيزِ أَيُّ: فِي إِتْيَانِهِ مَعَ قِدَمِ كَلَامِهِ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ  
مُحَدَّثٍ إِلَّا أَصْتَمَعُوا وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأَنْبِيَاءِ : ٢] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ  
مَنْ أَلَّا حَمْدًا مَحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [سورة الشعراء : ٥]. وَالرَّحْمَنُ  
لَا يَأْتِي إِلَّا بِالرَّحْمَةِ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الرَّحْمَةِ أَسْتَقْبَلَ الْعَذَابَ الَّذِي هُوَ  
عَدَمُ الرَّحْمَةِ.

371

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ  
خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [سورة غافر : ٨٥] ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ﴾ [سورة يونس :  
٩٨]، فَلَمْ

يَدُلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، بِقَوْلِهِ فِي السُّنْتَانِ ﴿إِلَّا قَوْمٌ  
يُونُسَ﴾ [سورة يونس : ٩٨].

فَأَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَرْفَعُ عَنْهُمْ الْأَخْذَ فِي الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ أَخَذَ فِرْعَوْنُ مَعَ  
وُجُودِ الْإِيمَانِ مِنْهُ.

هَذَا إِنْ كَانَ أَمْرُهُ أَمْرٌ مَنْ تَيَقَّنَ بِالنُّتْقَالِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ. وَقَرِينَةُ  
 الْحَالِ تُعْطِي أَنَّهُ مَا كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ النُّتْقَالِ، لِأَنَّهُ عَايَنَ الْمُؤْمِنِينَ  
 يَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ الْيَبَسِ، الَّذِي ظَهَرَ بِضَرْبِ مُوسَى بِعَصَاهُ الْبَحْرَ. فَلَمْ  
 يَتَيَقَّنْ فِرْعَوْنُ بِالْهَلَاكِ إِذَا آمَنَ، بِخِلَافِ الْمُحْتَضِرِ حَتَّى لَا يُلْحَقَ بِهِ.  
 فَاَمَّنَ بِالَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى التَّيَقُّنِ بِالنَّجَاةِ، فَكَانَ كَمَا  
 تَيَقَّنَ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي أَرَادَ، فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فِي  
 نَفْسِهِ، وَنَجَّا بَدَنَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ  
 خَلْفَكَ آيَةً﴾ [سورة يونس : ٩٢].

372

لِأَنَّهُ لَوْ غَابَ بِصُورَتِهِ، رُبَّمَا قَالَ قَوْمُهُ أُحْتَجَبَ. فَظَاهَرَ بِالصُّورَةِ الْمَعْهُودَةِ  
 مَيِّتًا، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ. فَقَدْ عَمَّتْهُ النَّجَاةُ [٧٢ وجه] حِسًّا وَمَعْنَى.  
 وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ الْأَخْرَاوِيِّ لَا يُؤْمِنُ، وَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ  
 ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [سورة يونس : ٩٢]، أَيْ يَذُوقُوا الْعَذَابَ  
 الْأَخْرَاوِيِّ.

فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ.  
 ثُمَّ إِنَّا نَقُولُ — بَعْدَ ذَلِكَ وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ — لِمَا اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِ  
 عَامَّةِ الْخَلْقِ مِنْ شَفَائِهِ، وَمَالَهُمْ نَصٌّ فِي ذَلِكَ يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا آلُهُ فَلَهُمْ  
 حُكْمٌ آخَرُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ لِنَعْلَمَ أَنَّهُ مَا يَقْبِضُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، أَيْ: مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَتْ

بِهِ الْأَخْبَارُ الْإِلَهِيَّةُ: وَأَعْنِي: مِنَ الْمُحْتَضَرِّينَ، وَلِهَذَا يُكْرَهُ مَوْتُ الْفَجَاءَةِ،  
وَقَتْلُ الْغَفْلَةِ.

فَأَمَّا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ، فَحَدُّهُ أَنْ يَخْرُجَ النَّفْسُ الدَّاخِلُ وَلَا يَدْخُلُ النَّفْسُ  
الْخَارِجُ. فَهَذَا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ. وَهَذَا غَيْرُ الْمُحْتَضَرِّ. وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْغَفْلَةِ  
بَضْرِبٍ عَنْ قِهٍ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. فَيقْدُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ  
بَضْ

كُفْرٍ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُحْشَرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ مَاتَ».

كَمَا أَنَّهُ يَقْبَضُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

وَالْمُحْتَضَرُّ مَا يَكُونُ إِلَّا صَاحِبَ شُهُودٍ، فَهُوَ صَاحِبُ إِيْمَانٍ بِمَا تَمَّ،  
فَلَا يَقْبَضُ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ «كَانَ» حَرْفُ وَجُودِيٍّ لَا يَنْجَرُّ  
مَعَهُ الزَّمَانَ إِلَّا بِقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ: فَيَفْ رَقُ بَيْنَ الْكَافِرِ الْمُحْتَضَرِّ فِي الْمَوْتِ،  
وَبَيْنَ الْكَافِرِ الْمَقْتُولِ غَفْلَةً، أَوِ الْمَيِّتِ فَجَاءَةً — كَمَا قُلْنَا — فِي حَدِّ  
الْفَجَاءَةِ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ التَّجَلِّيِّ، وَالْكَلامُ فِي صُورَةِ النَّارِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ بُغْيَةً مُوسَى،  
فَتَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ، لِيُقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِضَ عَنْهُ. فَإِنَّهُ لَوْ تَجَلَّى لَهُ فِي غَيْرِ  
صُورَةِ مَطْلُوبِهِ، أَعْرِضَ عَنْهُ، لَأَجْتَمَعَ هَمُّهُ عَلَى مَطْلُوبٍ خَاصٍّ.  
وَلَوْ أَعْرِضَ، لَعَادَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ، فَأَعْرِضَ عَنْهُ الْحَقُّ، وَهُوَ مُصْطَفَى مُقَرَّبٌ،  
فَمِنْ قُرْبِهِ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

[الْبَسِيطُ]



كَنَّارِ مُوسَى يَرَاهَا عَيْنَ حَاجَتِهِ وَهُوَ إِلَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ يَدْرِيه

[٧٢ ظهر]

374

[٢٦] ﴿فَصْ حِكْمَةً صَمَدِيَّةً فِي كَلِمَةِ خَالِدِيَّةٍ﴾

وَأَمَّا حِكْمَةُ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ فَإِنَّهُ أَظْهَرَ بِدَعْوَاهُ النَّبُوَّةَ الْبَرَزَخِيَّةَ.

فَإِنَّهُ مَا أَدْعَى الْإِخْبَارَ بِمَا هُنَاكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَمَرَ أَنْ يُنْ بَشَ عَلَيْهِ،

وَيُسْأَلُ، فَيُخْبَرُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْبَرَزَخِ عَلَى صُورَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيَعْلَمُ

بِذَلِكَ صِدْقَ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ، فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا.

فَكَانَ غَرَضُ خَالِدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِيمَانُ الْعَالَمِ كُلِّهِ بِمَا جَاءَتْ

بِهِ الرُّسُلُ، لِيَكُونَ رَحْمَةً لِّلْجَمِيعِ . فَإِنَّهُ أَشَدَّ رَفَقًا بِرَبِّ نُبُوَّتِهِ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ خَالِدٌ

بِرَسُولٍ. فَأَرَادَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي الرَّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى حَظٍّ

وَإِفْرِ. وَلَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّبَلُّغِ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْظِيَ بِذَلِكَ فِي الْبَرَزَخِ، لِيَكُونَ أَقْوَى

375

فِي الْعِلْمِ فِي حَقِّ الْخَلْقِ. فَأَضَاعَهُ قَوْمُهُ وَلَمْ يَصِفِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَوْمُهُ، بِأَنَّهُمْ «ضَاعُوا»، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ «أَضَاعُوا» نَبِيِّهِمْ،

حَيْثُ لَمْ يُبْلَغُوهُ مُرَادَهُ.

فَهَلْ بَلَغَهُ اللَّهُ أَجْرَ أَمْنٍ يَتِيهِ؟ فَلَا شَكَّ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ أُمْنِيَّةٍ هـ،

وَإِنَّمَا الشُّكُّ وَالْخِلَافُ فِي أَجْرِ الْمَطْلُوبِ، هَلْ يُسَاوِي تَمَنِّي وَقُوعِهِ عَدَمَ

وُقُوعِهِ بِالْوُجُودِ أَمْ لَا؟

فَإِنَّ فِي الشَّرْعِ مَا يُؤَيِّدُ التَّسَاوِي فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ كَالَّتِي لِلصَّلَاةِ  
فِي الْجَمَاعَةِ، فَتَقُوَّتُهُ الْجَمَاعَةُ، فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ . وَكَالْمُتَمَنِّي  
مَعَ فَقْرِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ فِيهِ، فَلَهُ مِثْلُ  
أُجُورِهِمْ؛ وَلَكِنْ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فِي نِيَّاتِهِمْ أَوْ فِي عَمَلِهِمْ؟ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ  
الْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ. وَلَمْ يَنْصُ النَّبِيُّ وَلَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

376

وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا تُسَاوَى بَيْنَهُمَا. وَلِذَاكَ طَلَبَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ الْإِبْلَغَ،  
حَتَّى يَصِحَّ لَهُ مَقَامُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، فَيَحْصُلَ عَلَى الْأَجْرَيْنِ.  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢٧] ﴿فَصْ حِكْمَةٍ فَرْدِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ﴾

377

إِنَّمَا كَانَتْ حِكْمَتُهُ فَرْدِيَّةً، لِأَنَّهُ أَكْمَلَ مَوْجُودٍ فِي هَذَا النَّوعِ الْإِنْسَانِيَّ،  
[٧٣ وجه] وَلِهَذَا بُدِيَ بِهِ الْأَمْرُ وَخْتِمَ، فَكَانَ نَبِيًّا وَادَمَ بَيْنَ الْمَاءِ

وَالطِّينِ، ثُمَّ كَانَ بِنَشَأَتِهِ الْعُنْصُرِيَّةِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَأَوَّلَ الْأَفْرَادِ:

الثَّلَاثَةِ. وَمَا زَادَ عَلَى هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةِ مِنَ الْأَفْرَادِ فَإِنَّهُ عَيْنُهَا.

378

فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدَلَّ دَلِيلٍ عَلَى رَبِّهِ، فَإِنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ  
الَّتِي هِيَ مُسَمِّيَاتُ أَسْمَاءِ آدَمَ، فَأَشْبَهَ الدَّلِيلَ فِي تَثْلِيثِهِ، وَالدَّلِيلُ دَلِيلٌ لِنَفْسِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ حَقِيقَتُهُ تُعْطِي الْفَرْدِيَّةَ الْأُولَى بِمَا هُوَ مُثَلَّثُ النَّشْأَةِ، لِذَاكَ

قَالَ فِي بَابِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْوُجُودِ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ

ثَلَاثٌ — بِمَا فِيهِ مِنَ التَّثْلِيثِ. ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، وَالطِّيبُ — وَجُعِلَتْ قُرَّةُ

عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ».

379 فَأَبْتَدَأَ بِذِكْرِ النِّسَاءِ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ جُزْءٌ مِنَ الرَّجُلِ

فِي أَصْلِ ظُهُورِ عَيْنِهَا.

وَمَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ مَقْدَمَةٌ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِرَبِّهِ نَتِيجَةٌ

عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ، لِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ

رَبَّهُ».

380 فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: بِمَنْ عَرَفَ الْمَعْرِفَةَ فِي هَذَا الْخَبَرِ، وَالْعَجُزُ عَنِ الْوُصُولِ فَإِنَّهُ

سَائِعٌ فِيهِ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: بِثُبُوتِ الْمَعْرِفَةِ. فَالْأَوَّلُ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ نَفْسَكَ لَا تَعْرِفُهَا

فَلَا تَعْرِفُ رَبَّكَ. وَالثَّانِي: أَنْ تَعْرِفَهَا فَتَعْرِفُ رَبَّكَ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ دُأْوَضَحَ دَلِيلٍ عَلَى رَبِّهِ. فَإِنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ دَلِيلٌ عَلَى

أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ. فَافْهَمْ.

فَإِنَّمَا حُبُّ إِلَيْهِ النِّسَاءِ، فَحَنُّ إِلَيْهِنَّ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ حَنِينِ الْكُلِّ إِلَى

جُزْئِهِ، فَأَبَانَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ، فِي قَوْلِهِ فِي هَذِهِ

النِّسَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعُنْصُرِيَّةِ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجر : ٢٩؛

381 سورة ص: ٧٢].

ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِشِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، فَقَالَ لِلْمُشْتَاكِينَ: «يَا دَاوُدُ إِنِّي

أَشَدُّ شَوْقًا إِلَيْهِمْ»، يَعْنِي: لِلْمُشْتَاكِينَ إِلَيْهِ وَهُوَ لِقَاءٌ خَاصٌّ.

فَإِنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»، فَلَا بُدَّ مِنَ الشُّوقِ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.

فَشَوْقُ الْحَقِّ لِهَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ مَعَ كَوْنِهِ يَرَاهُمْ، [٧٣ ظه ر] فَيُحِبُّ أَنْ يَرَوْهُ وَيَأْبَى الْمَقَامُ ذَلِكَ فَأَشْبَهَ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد : ٣١] مَعَ كَوْنِهِ عَالِمًا، فَهُوَ يَشْتَأِقُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَأَوْجُودَ لَهَا إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ.

382 فَيَبْلُغُ بِهَا شَوْقَهُمْ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَدِيثِ التَّرَدُّدِ الْإِلَهِيِّ، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، «مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي فِي قَبْضِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِي»، فَبَشَّرَهُ. وَمَا قَالَ لَهُ: «لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ»، لَأَنَّ يَغْمَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ. وَلَمَّا كَانَ لَا يَلْقَى الْحَقَّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»، لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِي»، فَاشْتِيَاقُ الْحَقِّ لَوْجُودِ هَذِهِ النُّسْبَةِ.

[الْمُتَقَارِبُ]

١- يَجْنُ الْحَبِيبُ إِلَى رُؤْيَايَ      وَإِنِّي إِلَيْهِ أَشَدُّ حَنِينًا  
٢- وَتَهْفُو النُّفُوسُ وَيَأْبَى الْقَضَا      فَاشْكُوا الْأَيْنِ وَيَشْكُوا الْأَيْنَا

فَلَمَّا أَبَانَ أَنَّهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَمَا اشْتَأَقَ إِلَّا لِنَفْسِهِ، أَلَا تَرَاهُ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ رُوحِهِ؟

وَلَمَّا كَانَتْ نَشَأَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الْمُسَمَّاةِ فِي جَسَدِهِ

أَخْلَاطًا، حَدَّثَ عَنْ نَفْخِهِ أَشْتِعَالَ بِمِ افِي جَسَدِهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، فَكَانَ رُوحُ  
الْإِنْسَانِ نَارًا لِأَجْلِ نَشَاتِهِ، وَلِهَذَا مَاكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى إِلَّا فِي صُورَةِ النَّارِ،  
وَجَعَلَ حَاجَتَهُ فِيهَا، فَلَوْ كَانَتْ نَشَاتُهُ طَبِيعِيَّةً، لَكَانَ رُوحُهُ نُورًا.

وَكُنِيَ عَنْهُ بِالنَّفْخِ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بِهِذَا

النَّفْسِ — الَّذِي هُوَ النَّفْخَةُ — ظَهَرَ عَيْنُهُ، وَبِاسْتِعْدَادِ الْمَنْفُوخِ فِيهِ كَانَ 384

الْأَشْتِعَالَ نَارًا لِأَنُورًا، فَبَطَنَ نَفْسُ الْحَقِّ فِيمَا كَانَ بِهِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا.

ثُمَّ أَشْتَقَّ لَهُ شَخْصًا عَلَى صُورَتِهِ سَمَّاهُ «أُمْرَأَةً»، فَظَهَرَ رَتُّ صُورَتِهِ، فَحَنَّ

إِلَيْهَا حَنِينَ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ، وَحَنَّتْ إِلَيْهِ حَنِينَ الشَّيْءِ إِلَى وَطَنِهِ.

فَحُبَّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ مَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ، وَأَسَجَدَ لَهُ

مَلَائِكَتُهُ النُّورِيِّينَ عَلَى عِظَمِ قَدَرِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَعُلُوِّ نَشَاتِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ [٧٤]

وجه] فَمِنْ هُنَاكَ وَقَعَتِ الْمُنَاسِبَةُ.

وَالصُّورَةُ أَعْظَمُ مُنَاسِبَةٍ وَأَجْلَهَا وَأَكْمَلُهَا، فَإِنَّهَا زَوْجُ أَيِّ: شَفَعَتْ

وُجُودَ الْحَقِّ، كَمَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ شَفَعَتْ بِوُجُودِهَا الرَّجُلَ فَصَيَّرَتْهُ زَوْجًا.

فَظَهَرَ رَتُّ الثَّلَاثَةِ: حَقٌّ، وَرَجُلٌ، وَأُمْرَأَةٌ. فَحَنَّ الرَّجُلُ إِلَى رَبِّهِ — الَّذِي 385

هُوَ أَصْلُهُ — حَنِينَ الْمَرْأَةِ إِلَيْهِ. فَحُبَّبَ إِلَيْهِ رَبُّهُ النِّسَاءَ، كَمَا أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ

هُوَ عَلَى صُورَتِهِ.

فَمَا وَقَعَ الْحَبُّ إِلَّا لِمَنْ تَكَوَّنَ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ لِمَنْ تَكَوَّنَ مِنْهُ. وَهُوَ

الْحَقُّ، فَلِهَذَا قَالَ: «حُبَّبَ» وَلَمْ يَقُلْ: «أَحْبَبْتُ» مِنْ نَفْسِهِ، لِتَعَلُّقِ حُبِّهِ بِرَبِّهِ

الَّذِي هُوَ عَلَى صُورَتِهِ حَتَّى فِي مَحَبَّتِهِ لِمَرْأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَحَبَّهَا بِحُبِّ اللَّهِ إِيَّاهُ  
تَخَلُّقًا إِلَهِيًّا.

وَلَمَّا أَحَبَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، طَلَبَ الْوُصْلَةَ، أَي: غَايَةَ الْوُصْلَةِ الَّتِي تَكُونُ  
فِي الْمَحَبَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي صُورَةِ النَّشَاةِ الْعُنْصُرِيَّةِ أَعْظَمَ وَصْلَةً مِنَ النِّكَاحِ،  
وَلَهُ ذَا تَعُمُّ الشَّهْوَةُ أَجْزَاءَهُ كُلَّهَا، وَلِذَلِكَ أُمِرَ بِالِاغْتِسَالِ مِنْ هُ، فَعَمَّتِ الطَّهَارَةُ،  
كَمَا عَمَّ الْفَنَاءُ فِيهَا عِنْدَ حُصُولِ الشَّهْوَةِ.

فَإِنَّ الْحَقَّ غَيُورٌ عَلَى عَبْدِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَلْتَدُّ بِغَيْرِهِ، فَطَهَّرَهُ بِالْغُسْلِ  
لِيَرْجَعَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَيَمُنَّ فَنِي فِيهِ، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا ذَلِكَ.  
فَإِذَا شَهِدَ الرَّجُلُ الْحَقَّ فِي الْمَرْأَةِ، كَانَ شُهُودًا فِي مَنْ فَعَلَ، وَإِذَا شَهِدَهُ  
فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ ظُهُورُ الْمَرْأَةِ عَنْهُ شَهِدَهُ فِي فَاعِلٍ.

وَإِذَا شَهِدَهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ صُورَةٍ مَا تَكُونُ عَنْهُ، كَانَ  
شُهُودُهُ فِي مَنْفَعِلٍ عَنِ الْحَقِّ بِلاَ وَاسِطَةٍ.

فَشُهُودُهُ لِلْحَقِّ فِي الْمَرْأَةِ، أَتَمُّ وَأَكْمَلُ، لِأَنَّهُ يُشَاهِدُ الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ  
فَاعِلٌ مَنْفَعِلٌ، وَمِنْ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَنْفَعِلٌ خَاصَّةً.

فَلِهَذَا أَحَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّسَاءُ، لِكَمَالِ شُهُودِ الْحَقِّ فِيهِنَّ، إِذْ  
لَا يُشَاهِدُ الْحَقَّ مُجَرَّدًا عَنِ الْمَوَادِّ أَبَدًا، فَإِنَّ اللَّهَ بِالذَّاتِ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.  
فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مُمْتَنِعًا، وَلَمْ تَكُنِ الشَّهَادَةُ إِلَّا فِي مَادَّةٍ،  
فَشُهُودُ الْحَقِّ فِي النَّسَاءِ أَعْظَمُ شُهُودٍ وَأَكْمَلُهُ.

وَأَعْظَمُ الْوُصْلَةِ النِّكَاحُ، وَهُوَ نَظِيرُ التَّوَجُّهِ الْإِلَهِيِّ عَلَى مَنْ خَلَقَهُ

عَلَى صُورَتِهِ، لِي خَلْقُهُ فَيَرَى فِيهِ نَفْسَهُ [٧٤ ظهر] فَسَوَاهُ، وَعَدَّ لَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ

رُوحِهِ الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ، فَظَاهِرُهُ خَلْقٌ وَبَاطِنُهُ حَقٌّ.

387

وَلِهَذَا وَصَفَهُ بِالتَّدْبِيرِ، لِهَذَا الْهَيْكَلِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ

السَّمَاءِ﴾ [سورة السجدة : ٥] وَهُوَ الْعُلُوُّ، ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة السجدة : ٥]، وَهُوَ أَسْفَلُ سَافِلِينَ، لِأَنَّهَا أَسْفَلُ الْأَرْكَانِ كُلِّهَا.

وَسَمَّاهُنَّ بِالنِّسَاءِ — وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ — مِنْ لَفْظِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: النِّسَاءُ...» وَلَمْ يَقُلْ: «الْمَرْأَةُ».

فَرَأَعَى تَأَخَّرَهُنَّ فِي الْوُجُودِ عَنْهُ، فَإِنَّ النِّسَاءَ هِيَ التَّأَخِيرُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [سورة التوبة : ٣٧]، وَالْبَيْعُ بِنَسِيئَةٍ يَقُولُ بِتَأَخِيرٍ، فَلِذَلِكَ ذَكَرَ النِّسَاءَ.

388

فَمَا أَحَبَّهُنَّ إِلَّا بِالْمَرْتَبَةِ، وَأَنَّهُنَّ مَحَلُّ التَّنْفِيعِ، فَهِنَّ لَهُ كَالطَّبِيعَةِ

لِلْحَقِّ الَّتِي فَتَحَ فِيهَا صُورَ الْعَالَمِ بِالتَّوَجُّهِ الْإِرَادِيِّ، وَالْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ، الَّذِي هُوَ

نِكَاحٌ فِي عَالَمِ الصُّورِ الْعُنْصُرِيَّةِ، وَهَمَّةٌ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ النُّورِيَّةِ، وَتَرْتِيبٌ

مُقَدِّمَاتٍ فِي الْمَعَانِي لِلإِنْتِاجِ. وَكُلُّ ذَلِكَ نِكَاحُ الْفَرْدِيَّةِ الْأُولَى فِي كُلِّ وَجْهِ

مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ.

فَمَنْ أَحَبَّ النِّسَاءَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ، فَهُوَ حُبُّ إِلَهِيٍّ، وَمَنْ أَحَبَّهُنَّ عَلَى

جِهَةِ الشَّهْوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ خَاصَّةً نَقَصَهُ عَنْ هَذِهِ الشَّهْوَةِ، وَكَانَ صُورَةً بِلا رُوحٍ

عِنْدَهُ. وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ذَاتَ رُوحٍ، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ  
مَشْهُودَةٍ لِمَنْ جَاءَ لِمَرْأَتِهِ أَوْ لِنَفْسِهِ، حَيْثُ كَانَتْ لِمُجَرِّدِ الْإِلْتِذَاذِ، وَلَكِنْ  
لَا يَدْرِي لِمَنْ، فَجَهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجْهَلُ الْغَيْرُ مِنْهُ، مَا لَمْ يُسَمِّهِ هُوَ بِلِسَانِهِ  
حَتَّى يَعْلَمَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:  
[الرَّمْلُ]

صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ أَنِّي عَاشِقٌ      غَيْرَ أَنْ لَمْ يَعْرِفُوا عِشْقِي لِمَنْ  
كَذَلِكَ، هَذَا أَحَبُّ الْإِلْتِذَاذِ، فَأَحَبُّ الْمَحَلِّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، وَهُوَ  
الْمَرْأَةُ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْهُ رُوحُ الْمَسْأَلَةِ، فَلَوْ عَلِمَهَا، لَعَلِمَ بِمَنْ أَلْتَدَّ، وَمَنْ أَلْتَدَّ،  
وَكَانَ كَامِلًا.

وَكَمَا نَزَلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ دَرَجَةِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾  
[سورة البقرة: ٢٢٨]، نَزَلَ الْمَخْلُوقُ عَلَى الصُّورَةِ عَنْ دَرَجَةٍ مَنْ أَنْشَأَهُ عَلَى  
صُورَتِهِ، مَعَ كَوْنِهِ عَلَى صُورَتِهِ.

فَبِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْهُ، بِهَا كَانَ غَنِيًّا عَنِ الْعَالَمِينَ،  
وَفَاعِلًا أَوَّلًا، [٧٥ وجه] فَإِنَّ الصُّورَةَ فَاعِلٌ ثَانٍ.  
فَمَا لَهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لِلْحَقِّ فَتَمَيَّزَتِ الْأَعْيَانُ بِالْمَرَاتِبِ، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي  
حَقٍّ حَقَّهُ، كُلُّ عَارِفٍ.

فَلِهَذَا كَانَ حُبُّ النِّسَاءِ لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَحَبُّبِ إِلَهِي،  
وَأَنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، وَهُوَ عَيْنُ حَقِّهِ.



فَمَا أَعْطَاهُ إِلَّا بِالسُّتِحْقَاقِ، أَسْتَحَقُّهُ بِمُسَمَّاهُ، أَي: بِذَاتِ ذَلِكَ  
الْمُسْتَحَقِّ.

وَأِنَّمَا قَدَّمَ النِّسَاءَ لِأَنَّهُنَّ مَحَلُّ النَّفْعَالِ، كَمَا تَقَدَّمَتِ الطَّبِيعَةُ عَلَى مَنْ  
وُجِدَ مِنْهَا بِالصُّورَةِ.

وَلَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — إِلَّا النَّفْسُ الرَّحْمَانِيَّةُ. فَإِنَّهُ فِي هِ  
أَنْفَتَحَتْ صُورُ الْعَالَمِ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ، لِسَرَيَانِ النَّفْخَةِ فِي الْجَوْهَرِ  
الْهَيُولَانِيِّ فِي عَالَمِ الْأَجْرَامِ خَاصَّةً.

وَأَمَّا سَرَيَانُهَا لِوُجُودِ الْأَرْوَاحِ النُّورِيَّةِ وَالْأَعْرَاضِ، فَذَلِكَ سَرَيَانٌ آخَرٌ.

ثُمَّ إِنَّهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — غَلَبَ فِي هَذَا الْخَبَرِ التَّائِيثُ عَلَى  
التَّذْكِيرِ، لِأَنَّهُ قَصَدَ التَّهْمَمَ بِالنِّسَاءِ فَقَالَ: «ثَلَاثُ» وَلَمْ يَقُلْ: «ثَلَاثَةٌ»،  
بِالْهَاءِ الَّذِي هُوَ لِعَدَدِ الذُّكْرَانِ، إِذْ — وَفِيهَا ذَكَرَ الطَّيِّبَ وَهُوَ

مُذَكَّرٌ — وَعَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تُغْلِبَ التَّذْكِيرُ عَلَى التَّائِيثِ فَتَقُولُ:

«الْفَ وَاطْمُ وَزَيْدٌ خَرَجُوا». وَلَا تَقُولُ: «خَرَجْنَ». فَغَلَبُوا التَّذْكِيرَ — وَإِنْ

كَانَ وَاحِدًا — عَلَى التَّائِيثِ وَإِنْ كُنَّ جَمَاعَةً. وَهُوَ عَرَبِيٌّ، فَرَاعَى صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ بِهِ فِي التَّحَبُّبِ إِلَيْهِ مَا لَمْ

يَكُنْ يُوَثِّرُ حُبَّهُ.

فَعَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، فَغَلَبَ

التَّائِيثُ عَلَى التَّذْكِيرِ بِقَوْلِهِ: «ثَلَاثُ» بِغَيْرِ «هَاءٍ»، فَمَا أَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّم بِالْحَقَائِقِ، وَمَا أَشَدَّ رِعَايَتَهُ لِلْحَقُوقِ!

ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ الْخَاتِمَةَ نَظِيرَةَ الْأُولَى فِي التَّائِيثِ، وَأَدْرَجَ بَيْنَهُمَا

الْمُذَكَّرَ، فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ، وَخَتَمَ بِالصَّلَاةِ وَكِلْتَاهُمَا تَأْنِي ثُ، وَالطَّيِّبُ بَي نَه مَا كَهُوَ

فِي وُجُودِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مُدْرَجٌ بَيْنَ ذَاتٍ ظَهَرَ عَنْهَا، وَبَيْنَ أُمْرَأَةٍ ظَهَرَ رَتْ عَنْهُ .

فَهُوَ بَيْنَ مُؤَنَّثَيْنِ: تَأْنِيثُ ذَاتٍ، وَتَأْنِيثُ حَقِيقِيٍّ . كَذَلِكَ النِّسَاءُ تَأْنِي ثُ حَقِيقِيٍّ

[٧٥ ظهر] وَالصَّلَاةُ تَأْنِيثُ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ . وَالطَّيِّبُ مُذَكَّرٌ بَيْنَهُمَا كَادَمَ بَيْنَ

الذَّاتِ؛ الْمَوْجُودِ عَنْهَا، وَبَيْنَ حَوَاءٍ؛ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: «الْصَّفَةُ»، فَمُؤَنَّثَةٌ أَيْضًا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: «الْقُدْرَةُ»، فَمُؤَنَّثَةٌ أَيْضًا. فَكُنْ عَلَى أَيْ مَذْهَبٍ شِئْتَ.

فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَّا التَّائِيثَ يَتَقَدَّمُ، حَتَّىٰ عِنْدَ أَصْحَابِ الْعِلَّةِ، الَّذِينَ جَعَلُوا

الْحَقَّ عِلَّةً فِي وُجُودِ الْعَالَمِ، وَالْعِلَّةُ مُؤَنَّثَةٌ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ الطَّيِّبِ، وَجَعْلُهُ بَعْدَ النِّسَاءِ، فَلِمَا فِي النِّسَاءِ مِنْ رَوَائِحِ

التَّكْوِينِ، فَإِنَّهُ: «أَطْيَبُ الطَّيِّبِ عِنَاقُ الْحَبِيبِ»، كَذَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ.

وَلَمَّا خَلَقَ عَبْدًا بِالْأَصَالَةِ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ قَطُّ إِلَى السِّيَادَةِ، بَلْ لَمْ يَزَلْ

سَاجِدًا، وَاقِفًا مَعَ كَوْنِهِ مُنْفَعِلًا، حَتَّىٰ كَوَّنَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَوَّنَ فَأَعْطَاهُ رُتْبَةً

الْفَا عِلِّيَّةً فِي عَالَمِ الْأَنْفَاسِ الَّتِي هِيَ الْأَعْدُ رَافُ الطَّيِّبِ، فَحُبَّبَ إِلَيْهِ الطَّيِّبُ،

فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ بَعْدَ النِّسَاءِ.

فَرَأَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي لِلْحَقِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾

[سورة غافر : ١٥] لَأَسْتَوِيَّهِ عَلَيْهِ بِأَسْمِهِ الرَّحْمَنُ.

فَلَا يَبْقَىٰ فِيمَنْ حَوَىٰ عِلَّ يَه الْعَرْشُ مَنْ لَا تُصِيبُهُ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَهُوَ  
قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦] وَالْعَرْشُ  
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَالْمُسْتَوِي: الرَّحْمَنُ. فَبِحَقِّي قَتِهِ يَكُونُ سَرِيَانُ الرَّحْمَةِ فِي الْعَالَمِ، كَمَا  
قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَمِنْ الْفُتُوحِ الْمَكِّيِّ.  
وَقَدْ جَعَلَ — الطَّيِّبُ — تَعَالَىٰ فِي هَذَا اللَّاتِحَامِ النَّكَاحِي فِي بَرَاءَةِ  
عَائِشَةَ فَقَالَ: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ  
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [سورة النور : ٢٦].  
فَجَعَلَ رَوَائِحَهُمْ طَيِّبَةً، لِأَنَّ الْقَوْلَ نَفْسٌ وَهُوَ عَيْنُ الرَّايِحَةِ، فَيَخْرُجُ  
بِالطَّيِّبِ. وَبِالْخَبِيثِ — عَلَى حَسَبِ — مَا يَظْهَرُ بِهِ فِي صُورَةِ النُّطْقِ.  
فَمِنْ حَيْثُ هُوَ إِلَهِيٌّ بِالْأَصَالَةِ: كُلُّهُ طَيِّبٌ، فَهُوَ طَيِّبٌ. وَمِنْ حَيْثُ  
مَا يُحْمَدُ وَيَذَمُّ: فَهُوَ طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ.

فَقَالَ فِي حُبِّهِ [٧٦ وجه] الثَّوْمُ: «هِيَ شَجَرَةٌ أَكْرَهُ رِيحَهَا»، وَلَمْ  
يَقُلْ: «أَكْرَهُهَا»، فَالْعَيْنُ لَا تُكْرَهُ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ وَلَا يُكْرَهُ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا،  
وَالْكَرَاهَةُ لِذَلِكَ، إِمَّا عُرْفًا بِمَلَأَمَةِ طَبْعِ، أَوْ غَرَضٍ، أَوْ شَرَعٍ، أَوْ نَقْصٍ،  
عَنْ كَمَالٍ مَطْلُوبٍ. وَمَا تَمَّ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَلَمَّا أَنْقَسَمَ الْأَمْرُ إِلَىٰ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ كَمَا قَرَّرْنَاهُ، حُبَّبَ إِلَيْهِ الطَّيِّبُ

دُونَ الْخَبِيثِ، وَوَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِأَنَّهَا تَتَأَذَّى بِاِرْوَاءِ حِ الْخَبِيثَةِ، لِأَنَّ فِي هَذِهِ  
النَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنَ التَّعْفِينِ، فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ ﴿مِنْ صَلَاسٍ مِنْ حَمَاٍ  
مَسْنُونٍ﴾

[سورة الحجر : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣] أَي: مُتَغَيِّرِ الرِّيحِ، فَتَكْرَهُهُ الْمَلَائِكَةُ بِالذَّاتِ.

كَ مَا أَنَّ مِزَاجَ الْجُعَلِ يَتَضَرَّرُ بِرَائِحَةِ الْوَرْدِ — وَهِيَ مِنَ الرِّوَائِحِ  
الطَّيِّبَةِ — فَلَيْسَ رِيحُ الْوَرْدِ عِنْدَ الْجُعَلِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ.

وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْمِزَاجِ مَعْنَى وَصُورَةً أَضَرَّ بِهِ الْحَقُّ، إِذَا سَمِعَهُ  
وَسُرَّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت  
: ٥٢] وَوَصَفَهُمْ بِالْخُسْرَانِ، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخُسِرُونَ﴾ [سورة العنكبوت  
: ٥٢] ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام : ١٢]، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ الطَّيِّبَ  
مِنَ الْخَبِيثِ فَلَا إِدْرَاكَ لَهُ.

فَمَا حُبَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ، وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ. وَهَلْ يُنْصَوِّرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ مِزَاجٌ لَا يَجِدُ إِلَّا  
الطَّيِّبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَعْرِفُ الْخَبِيثَ أَمْ لَا؟

قُلْنَا: هَذَا لَا يَكُونُ، فَإِنَّا مَا وَجَدْنَاهُ فِي الْأَصْلِ الَّذِي ظَهَرَ الْعَالَمُ  
مِنْهُ — وَهُوَ الْحَقُّ — فَوَجَدْنَاهُ يَكْرَهُ وَيُحِبُّ، وَلَيْسَ الْخَبِيثُ إِلَّا مَا يُكْرَهُ  
وَلَا الطَّيِّبُ إِلَّا مَا يُحِبُّ.

وَالْعَالَمُ عَلَى صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْإِنْسَانُ عَلَى الصُّورَتَيْنِ، فَلَا يَكُونُ تَمَّ  
مِزَاجٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا الْأَمْرَ الْوَاحِدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ تَمَّ مِزَاجٌ يُدْرِكُ الطَّيِّبَ

مِنَ الْخَبِيثِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ خَبِيثٌ بِالدُّوقِ، طَيِّبٌ بِغَيْرِ الدُّوقِ، فَيَشْغَلُهُ  
إِدْرَاكُ الطَّيِّبِ مِنْهُ، عَنِ الْإِحْسَاسِ بِخُبَيْثِهِ.

هَذَا قَدْ يَكُونُ، وَأَمَّا رَفْعُ الْخُبَيْثِ مِنَ الْعَالَمِ — أَي: مِنَ الْكَوْنِ — فَإِنَّهُ  
لَا يَصِحُّ.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ. وَالْخَبِيثُ عِنْدَ نَفْسِهِ طَيِّبٌ،  
وَالطَّيِّبُ عِنْدَهُ خَبِيثٌ. فَمَا تَمَّ شَيْءٌ طَيِّبٌ، إِلَّا وَهُوَ مِنْ وَجْهِ — فِي حَقِّ  
مِزَاجٍ مَا — خَبِيثٌ. وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ.

[٧٦ ظهر] وَأَمَّا الثَّالِثُ الَّذِي بِهِ كَمَلَتِ الْفَرْدِيَّةُ: فَالصَّلَاةُ.

فَقَالَ: «وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» لِأَنَّهَا مُشَاهِدَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا  
مُنَاجَاةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢].

وَهِيَ عِبَادَةٌ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ بِنِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِلَّهِ،  
وَنِصْفُهَا لِلْعَبْدِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:  
قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي،

وَلَعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ:  
«ذَكَرَنِي عَبْدِي». يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يَقُولُ اللَّهُ:  
«حَمَدَنِي عَبْدِي»، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «أَتَنَنِي  
عَلَيَّ عَبْدِي»، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «مَجَدَّنِي

عَبْدِي، فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي» — فَهَذَا النَّصْفُ كُلُّهُ لَهُ تَعَالَى خَالِصٌ — ثُمَّ يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «هَذِهِ بَيْنَ يَوْبَيَّ نَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» — فَأَوْقَعَ اللَّاشْتِرَاكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ — يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

399

فَخَلَصَ هَؤُلَاءِ لِعَبْدِهِ كَمَا خَلَصَ الْأَوَّلُ لَهُ تَعَالَى. فَعَلِمَ مِنْ هَذَا وَجُوبُ قِرَاءَةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ : ٢، لَكَ الْمَقْصُودُ قِرَاءَةُ السُّورَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فَمَنْ لَمْ يَقْرَأَهَا، فَمَا صَلَّى الصَّلَاةَ الْمَقْسُومَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ مُنَاجَاةً فَهِيَ ذِكْرٌ، وَمَنْ ذَكَرَ الْحَقَّ، فَقَدْ جَالَسَ الْحَقَّ، وَجَالَسَهُ الْحَقُّ. فَإِنَّهُ صَحَّ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»، وَمَنْ جَالَسَ مَنْ ذَكَرَهُ — وَهُوَ ذُو بَصَرٍ — رَأَى جَلِيسَهُ.

400

فَهَذِهِ مُشَاهَدَةٌ وَرُؤْيَاةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا بَصَرٍ، لَمْ يَرَهُ، فَمِنْ هُنَا يَعْلَمُ الْمُصَلِّي رُتْبَتَهُ: هَلْ يَرَى الْحَقَّ هَذِهِ الرُّؤْيَاةُ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ يَرَهُ، فَلْيَعْبُدْهُ بِالْإِيمَانِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيُخَيِّلُهُ فِي قِبْلَتِهِ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ، وَيُلْقِي السَّمْعَ لِمَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِ الْحَقُّ.

فَإِنْ كَانَ إِمَامًا لِعَالَمِهِ الْخَاصِّ بِهِ وَلِلْمَلَائِكَةِ الْمُصَلِّينَ مَعَهُ، فَإِنَّ كُلَّ

مُصَلٍّ، فَهُوَ إِمَامٌ بِلَا شَكٍّ. فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي خَلْفَ الْعَبْدِ إِذَا صَلَّى [٧٧]

وجهه] وَحَدَّثَهُ — كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ — فَقَدْ حَصَلَ لَهُ رُتْبَةُ الرَّسُولِ فِي

401

الصَّلَاةِ.

وَهِيَ النِّيَابَةُ عَنِ اللَّهِ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَيُخْبِرُ نَفْسَهُ

وَمَنْ خَلْفَهُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَهُ.

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ وَالْحَاضِرُونَ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى

لِسَانِ عَبْدِهِ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فَاَنْظُرْ عُلُوَّ رُتْبَةِ الصَّلَاةِ، وَإِلَى آيِنَ

تَنْتَهِي بِصَاحِبِهَا، فَمَنْ لَمْ يَحْصِلْ دَرَجَةُ الرُّوْيَةِ فِي الصَّلَاةِ، فَمَا بَلَغَ غَايَتَهَا،

وَلَا كَانَ لَهُ فِيهَا قُرَّةُ عَيْنٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ مَنْ يُنَاجِيهِ.

فَإِنَّ لَمْ يَسْمَعْ مَا يَرُدُّ الْحَقُّ عَلَيْهِ فِيهَا، فَمَا هُوَ مِمَّنْ ﴿الْقَى السَّمْعَ﴾

[سورة ق: ٣٧]، وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْ فِيهَا مَعَ رَبِّهِ، مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يَرَ،

فَلَيْسَ بِمُصَلٍّ أَصْلًا، وَلَا هُوَ مِمَّنْ ﴿الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

[٣٧].

وَمَا تَمَّ عِبَادَةٌ تَمُّ نَعْمٍ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي غَيْرِهَا مَا دَامَتْ سِوَى الصَّلَاةِ. وَذَكَرَ

402

اللَّهُ فِيهِ أَكْبَرُ مَا فِيهِ، لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ. وَقَدْ ذَكَرْنَا صِفَةَ

الرَّجُلِ الْكَامِلِ فِي الصَّلَاةِ فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ كَيْفَ يَكُونُ، لِأَنَّ اللَّهَ

يَقُولُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥] لَأَنَّهُ

شُرِعَ لِلْمُصَلِّي أَنْ لَا يَتَصَرَّفَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ مَا دَامَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهُ:

مُصَلٍّ.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٥] يَعْني فِي هَا ، أَي: الذِّكْرُ الَّذِي

يَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ حِينَ يُجِيبُهُ فِي سُؤَالِهِ. وَالتَّنَاءُّ عِلَّيْهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ الْعَبْدِ

رَبِّهِ فِيهَا، لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

[سورة العنكبوت : ٤٥].

403

وَقَالَ: ﴿أَوِ الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق : ٣٧]. وَإِلْقَاؤُهُ السَّمْعَ هُوَ

لَمَّا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِيهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ عَنْ حَرَكَةٍ مَعْقُولَةٍ، نَقَلَتِ الْعَالَمَ مِنْ

الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، عَمَّتِ الصَّلَاةُ جَمِيعَ الْحَرَكَاتِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: حَرَكَةُ

مُسْتَقِيمَةٍ، وَهِيَ حَالُ قِيَامِ الْمُصَلِّي. وَحَرَكَةُ أَفْقِيَّةٍ، وَهِيَ حَالُ رُكُوعِ

الْمُصَلِّي. وَحَرَكَةُ مَذْكُوسَةٍ، وَهِيَ حَالَةُ سُجُودِهِ. فَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةٌ،

وَحَرَكَةُ الْحَيَوَانَاتِ أَفْقِيَّةٌ، وَحَرَكَةُ النَّبَاتِ مَذْكُوسَةٌ. وَلَيْسَ لِلْجَمَادِ حَرَكَةٌ مِنْ

ذَاتِهِ. فَإِذَا تَحَرَّكَ جَرُّ، فَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ بِغَيْرِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» — وَلَمْ يَنْسِبْ [٧٧]

ظَهَرَ [الْجَعْلُ إِلَى نَفْسِهِ — فَإِنَّ تَجَلَّى الْحَقِّ لِلْمُصَلِّي، إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ

تَعَالَى، لَا إِلَى الْمُصَلِّي.

فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الصِّفَةَ عَنْ نَفْسِهِ، لِأَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ تَجَلٍّ

مِنْهُ لَهُ.



فَلَمَّا كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْمُتَمَتَّنِ، كَانَتْ الْمُشَاهَدَةُ بِطَرِيقِ الْأَمْتِنِ أَنْ،  
فَقَالَ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

وَلَيْسَ إِلَّا مُشَاهَدَةُ الْمَحْبُوبِ الَّتِي تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ الْمُحِبِّ مِنْ  
الْأُسْتِ قَرَارًا: فَتَسْتَقِرُّ الْعَيْنُ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ فَلَا يَنْظُرُ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ فِي  
شَيْءٍ، وَفِي غَيْرِ شَيْءٍ.

وَلِذَلِكَ نَهَى عَنِ الْمُلْتَفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، وَإِنَّ الْمُلْتَفَاتِ شَيْءٌ يَخْتَلِسُهُ  
الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ، فَيَحْرِمُهُ مُشَاهَدَةَ مُحَبُّوبِهِ، بَلْ لَوْ كَانَ مُحَبُّوبُ  
هَذَا الْمُلْتَفِتِ، مَا الْمُلْتَفِتِ فِي صَلَاتِهِ إِلَى غَيْرِ قِبَلَتِهِ بِوَجْهِهِ.

وَالْإِنْسَانُ يَعْلَمُ حَالَهُ فِي نَفْسِهِ، هَلْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ  
الْخَاصَّةِ أَمْ لَا، فَإِنَّ ﴿الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [سورة  
القيامة : ١٤-١٥]، فَهُوَ يَعْرِفُ كَذِبَهُ مِنْ صِدْقِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ  
لَا يَجْهَلُ حَالَهُ، فَإِنَّ حَالَهُ لَهُ ذَوْقِيٌّ.

ثُمَّ إِنَّ مَسْمَى الصَّلَاةِ لَهُ قِسْمَةٌ أُخْرَى، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّيَ لَهُ،  
وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ يُصَلِّيَ عَلَيْنَا [اقتباس من سورة الأحزاب : ٤٣]، فَالصَّلَاةُ مِنَّا،  
وَمِنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هُوَ الْمُصَلِّي، فَإِنَّمَا يُصَلِّي بِأَسْمِهِ: «الْآخِرِ»، فَيَتَأَخَّرُ عَنْ  
وُجُودِ الْعَبْدِ، وَهُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يَخْلُقُ الْعَبْدَ فِي قَلْبِهِ بِنَظَرِهِ الْكَرِيمِ أَوْ  
بِتَقْلِيدِهِ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْمُعْتَقَدُ.

وَيَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِذَلِكَ الْمَحَلِّ مِنَ الْأُسْتِعْدَادِ، كَمَا قَالَ الْجُنَيْدُ

حِينَ سُئِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالْعَارِفِ، فَقَالَ: «لَوْ أَلَمْ أَلَوْ إِنِّي»، وَهُوَ  
جَوَابُ سَادٍّ. أَخْبَرَ عَنِ الْأَمْرِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْنَا.

وَإِذَا صَلَّيْنَا نَحْنُ كَانَ لَنَا الْأَسْمُ «الْآخِرُ»، فَكُنَّا فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي

حَالٍ مَنْ لَهُ هَذَا الْأَسْمُ، فَكَوْنُ عِنْدَهُ بِحَسَبِ حَالِنَا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْنَا إِلَّا

بِصُورَةٍ مَا جِئْنَاهُ بِهَا، فَإِنَّ الْمُصَلِّيَ هُوَ الْمُتَأَخِّرُ عَنِ السَّابِقِ فِي الْحَلْبَةِ.

407

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَّاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [سورة النور : ٤١] أَيُّ: رُتِبَتْهُ فِي

التَّأَخُّرِ فِي عِبَادَتِهِ رَبَّهُ، وَتَسْبِيحَهُ الَّذِي يُعْطِيهِ مِنَ التَّخْزِيهِ أَسْتَعْدَادَهُ.

فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدٍ [٧٨ وجه] رَبِّهِ الْحَلِيمُ الْغَفُورُ، وَلِذَلِكَ لَا

يَفْقَهُ تَسْبِيحَ الْعَالَمِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَاحِدًا وَاحِدًا.

وَتَمَّ مَرْتَبَةُ يَعْ وَدُ الضَّ مِيرُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُسَبِّحِ فِيهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] أَيُّ: بِحَمْدِ ذَلِكَ الشَّيْءِ،

فَالْضَّمِيرُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] يَعُودُ عَلَى الشَّيْءِ

أَيُّ: بِالثَّنَاءِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ.

كَمَا قُلْنَا فِي الْمُعْتَقَدِ، أَنَّهُ إِنَّمَا يُثْنِي عَلَى الْإِلَهِ الَّذِي فِي مُعْتَقَدِهِ، وَرَبَطَ

بِهِ نَفْسَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ عَمَلِهِ، فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، فَمَا أَثْنَى إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ

مِنْ مَدَحِ الصَّنْعَةِ، فَإِنَّمَا مَدَحَ الصَّانِعَ بِلَا شَكٍّ، فَإِنَّ حُسْنَهَا وَعَدَمَ حُسْنَهَا،

408

رَاجِعٌ إِلَى صَانِعِهِ. وَالْإِلَهُ الْمُعْتَقَدُ مَصْنُوعٌ لِلنَّظَرِ فِيهِ، فَهُوَ صَنَعَ تَهُ، فَتَ  
نَاوَهُ عَلَى

مَا أَعْتَقَدَهُ، تَنَاوُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

ولهذا يَذُمُّ مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ.

إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَعْبُودِ الْخَاصِّ جَاهِلٌ بِلَا شَكٍّ، فِي ذَلِكَ،

لَأَعْتَرَا ضِيقَهُ عَلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَعْتَقَدَهُ فِي اللَّهِ.

إِذْ لَوْ عَرَفَ مَا قَالَ الْجُنَيْدُ: «لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ»، لَسَلَّمَ لِكُلِّ ذِي

أَعْتِقَادٍ مَا أَعْتَقَدَهُ، وَعَرَفَ اللَّهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ، وَكُلِّ مُعْتَقَدٍ.

فَهُوَ ظَانٌّ لَيْسَ بِعَالِمٍ، فَلِذَلِكَ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» أَيُّ:

لَا أَظْهَرُ لَهُ إِلَّا فِي صُورَةِ مُعْتَقَدِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَطْلَقَ، وَإِنْ شَاءَ قَيَّدَ.

409

فَالِلَهُ الْمُعْتَقَدَاتِ تَأْخُذُ هَ الْحُدُودُ، وَهُوَ الْإِلَهِ الَّذِي وَسِعَهُ قَلْبُ عَبْدِهِ، فَإِنَّ

الْإِلَهِ الْمُطْلَقَ لَا يَسَعُهُ شَيْءٌ لِأَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْدِّ يَاءٍ وَعَيْنُ نَفْسِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يُقَالُ

فِيهِ: «يَسَعُ نَفْسَهُ، وَلَا لَا يَسَعُهَا»، فَافْهَمْ.

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب : ٤].

تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، عَلَّقَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ

إِسْحَاقَ بِخَطِّهِ. سَمِعَ جَمِيعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُنْشِئِهِ سَدِّدْنَا

وإِمَامِنَا الْإِمَامَ الْعَالِمَ الرَّاسِخَ الْفَرِيدَ الْمُحَقِّقَ مُحْيِي

الْمِلَّةِ وَالِدَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْعَرَبِيِّ

الطَّائِبِ الْحَاتِمِ الْإِنْدُلُسِيِّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — لِصَحْبِهِ

الْجَمَاعَةُ [...] الْجَلَّةُ زَيْنُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

الشَّافِعِيُّ، وَعِمَّادُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرْفِ الدِّينِ عَبْدِ الْقَادِرِ

بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ خَلِيلِ الْأَنْصَارِيِّ، وَوَلَدُ الْمُسَمِّعِ عِمَّادُ

الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ، وَمُؤَفِّقُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ

أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَهْمٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَائِسِيُّ، وَسَيِّدُ الدِّينِ

عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَمِيرِيِّ، وَتَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ

410

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ اللُّوْهِيُّ [؟] صَاحِبُ

الشَّيْخِ؛ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَأَرْضَاهُ. وَذَلِكَ بِقِرَاءَةِ تَاجِ الدِّينِ عَبَّاسِ

بْنِ عُمَرَ السَّدِّ رَاجِ الْأَنْصَارِيِّ — وَسَمِعَ بِالْقِرَاءَةِ الْمَذْكُورَةِ

وَبِقِرَاءَتِهِ أَيْضًا غَيْرَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ آخِرَ — وَمُحَمَّدُ بْنُ

إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ خَالِصٍ مِنَ اللَّشَّيْخِ.

وَكَانَ السَّمَاعُ بِمَجَالِسِ سَيِّدِنَا الْمُسَمِّعِ بِدِمَشْقَ. وَكَمُلَ

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ

ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةَ [٦٣٠ هـ] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

(قال المحقق):

وفي الهامش إلى جانب السطر السادس عشر إلى التاسع عشر، بلاغ ذات

أربعة أسطر، نصّها:

[١] بَلَغَ سَمَاعًا وَتَصَحِّحًا عَلَى الشَّيْخِ

[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ

[٣] جُمَادَى الْأُولَى سَنَةً ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةً [٦٣٠هـ]

[٤] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ [أَصْطَفَى ؟]

(قال المحقق):

411

وفي الهامش أيضًا، إلى جانب السطر العشرين إلى الرابع والعشرين، بلاغ

آخر ما ثلّة من الأعلى إلى الأسفل ذات أربعة أسطر نصّها:

[١] بَلَّغَ عَرَضًا وَقَرَاءَةً [عبارة غير مقروّوة لأنّ شريطًا من الورقة مقطوع]

[٢] من [؟] بسى [؟] سيدنا المصنّف

[٣] لِهَذَا الْكِتَابِ رَضِيَ اللَّهُ [عبارة غير مقروّوة لأنّ شريطًا من الورقة مقطوع]

[٤] وَكَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ تَحْرِيرًا [الكلمة الأخيرة شبه ممسوحة]

الملحقات

412

ملحق ١: تعليقات داخل المخطوط

ملحق ٢: تحقيق في مسألة الذبيح

ملحق ٣: تحقيق في خالد بن سنان

ملحق ٤: تخريج حديث التحوّل

ملحق ١: تعليقات داخل

413

المخطوط

تعليقات على الصفحة التي تسبق [١ وجه] ولونها أبيض مغاير لبقية

صفحات المخطوط:

[١]سما [؟]أسماء الأحوال ومسمائها العين وهي للحق بعينه ...

[٢]السميع البصير وأنت السميع البصير محال السمع والبصر[ر] ...

[٣][ا]الحسنى [؟]؛ فإنه هو. ونحن نحن، فلنا آلاتٌ، ونحن له آلات ...

[٤]ما ر[؟]، أعيانها كتقلب الواحد في مراتب الأعداد، لإظهار أعيانها[ ...

[٥][ع] عدد وفصل العدد الواحد في المراتب العددية، يلوح ذلك.

[٦][...] مما في نفسي أن أسأل عنه سيدي أيده الله تعالى إذا قَدَّرَ [؟]الأحد

...

[٧]ما معنى تحقق الإنسان بحيوانيته المسح [؟]الأحوال البرزخية كأحوال

المو[تى] ...

[٨]وهل هذا الاطلا عالخ اصمن خص اص هذ الحال بم عنى أنه لا يح صل  
دونه

أو ...

[٩]وكذلك التحقق بالروحانية وما الك شف الخ اص أيضا المتوقف حصوله على

الـ...

[١٠] روحا نيته كما عُبِّرَ عَمَّا تق دَم ذكره، وهل ذانك مما يُكتسب وإذا حص  
ليكون

[؟]عن [؟]مو...

[١١] شرح كليات من الاصطلاح المذكور في كتاب مواقع النجوم

[١٢] موقع الن جم هو ظهور أول الخا طر التوفيقي في الباطن فعندما يس تقرر  
ويكسوه

العبد حُلّة عملية يصيرها ...

[١٣] فَإِنْ كَانَ دَاخِلًا إِلَى رَبِّهِ كَانَ هَالًا ارْتَقَى اب مَحَاقٍ، وَإِنْ كَانَ خَارِجًا إِلَى الْخَلْقِ

كَانَ هَالًا ارْتَقَابٍ وَسَدٍ ...

[١٤] سَيِّدِي أَيْضًا لَمْ قَدَّمَ هَالًا مَحَاقٍ عَلَى هَالًا الْارْتَقَابِ فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَرُقُّونَ [؟]

[١٥] [كَلِمَةٌ غَيْرُ مَقْرُوءَةٍ] أَخْرَجَهُ الدَّخْلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَكَانَ هَالًا الْمَحَاقِ وَهُوَ

الْأَصْلُ لِلْأُولَى لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى.

[١٦] وَمِنْ ذَلِكَ

[١٧] النِّجْمُ لِعَالَمِ الشَّهَادَةِ وَالْهَالِينِ أَحَدُهُمَا لِعَالَمِ الْبَرَزِخِ وَهُوَ لِلْوَسْطِ عَالَمُ

الْجَبَرُوتِ وَهُوَ الْمَقَامُ لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى [؟] ...

[١٨] وَالْهَالُ الْآخِرُ لِعَالَمِ الرَّحْمَتِ، وَهُوَ عَالَمُ الْعَانِي. وَعَلَى مَا لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْتَقِبَ

فَهُوَ فِي مَرْتَبَةِ إِسْلَامِهِ نَجْمٌ [م]

[١٩] يَبْقَى [؟] فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ وَهُوَ فِي مَرْتَبَةِ إِيْمَانِهِ هَالٌ، وَفِي مَرْتَبَةِ إِحْسَانِهِ قَطَبٌ

[هَكَذَا] يُحْيِي وَيُمِيتُ

[٢٠] فَالْإِسْلَامُ لَانْقِيَادِ الظَّاهِرِ، وَالْإِيْمَانُ لَانْقِيَادِ الْبَاطِنِ، وَالْإِحْسَانُ الْعِبَادَةُ عَلَى

المشاهدة، وأعلـ[م] ...

[٢١] أن مَعْقِلَ هي الحضرة الت ييسَت مدُّ منها الق من كونه قطباً أو  
الأنس طبُّ أي

مرتبة كانت للمستمد منها [كلمة غير مقروؤة]

[٢٢] مَعْقِلُ أنس لذلك المستمد من تلك الحضرة، أي حضرة كاتب إحصانية أو

إيمانية أو إسلامية و[كلمة غير مقروؤة]

[٢٣] ومن فوائد الشيخ أحمد [؟] سعد الدين الحموي رضى الله عنه ونفع به

والعلم به أمدّه [كلمة غير مقروؤة] ...

[٢٤] وقد سألته عن أنفع وصية يوصى بها الإنسان مما ينفعه لاستحضاره  
كل مة

غير مقروؤة]

[٢٥] يقول، رضى الله عنه: يوصى بالحرية والعفة في الحرية. فسألته: ما  
الحرية

وما العفة؟ فقال: لكماله يكون...

[٢٦] عد ما لعت بر بشيء سوى الحق مطلقاً من حي فهو سوى. والعفة في  
الحرية أن

لا يصدر [؟]

[٢٧] المعتبر الموفى حقّه ولاحق غيره، فعل لأجل نفعه، أو لأجل غيره، بل لله

تعالى عزّ نفعه بمعرفة تامّة [كلمة غير مقروؤة] ...

تعليقات على الصفحة الرئيسية [١وجه]



[٢] من نفائس فوائد سيدي رضى الله عنه وعن والديه على بعض ما تتضمنه فاتحة الكتاب العزيز من كليات الفوائد والأسرار.

[٣] قا لرضي الله عنه: «سُمِّيَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ أَيَّ أَنَّهَا تَفْتَحُ عَلَيْكَ مَعَانِيَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فَتَحَ يَفْتَحُ.

[٤] والكتابُ ضَمُّ الحِ رُوفِ بعضها إلى بعض، وفي انضمامِهَا ضَمُّ المعاني التي تدلُّ عليها هذه الحروف.

[٥] والفتحُ الَّذِي تُعْطِيهِ الْفَاتِحَةُ، هُوَ فَصْلُ هَذِهِ الْمَعَانِي الْمُتَضَمِّنَةِ بِعَظْمَا مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى يَصِرَ كُلُّ مَعْنَى قَائِمًا بِنَفْسِهِ،

[٦] فَمَعْنَى فَاتِحَةِ الْكِتَابِ أَيَّ: مَنْ عَرَفَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَفَقْدَ عِلْمٍ جَمِيعٍ مَا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ الْمَعَانِي. وَذَلِكَ أَنَّ الْوُجُودَ

[٧] مَنْقُ سَمٍ إِلَى رَبٍّ وَمَرْبُوبٍ، وَالرَّبُّ هُوَ الْوَاجِبُ لِنَفْسِهِ، وَالْمَرْبُوبُ هُوَ الْمَكْنُ وَهُوَ

مَا سِوَى الْحَقِّ. وَالْفَاتِحَةُ

[٨] مُشْتَمِلَةٌ عَلَى رَبٍّ وَمَرْبُوبٍ. فَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى وَاجِبٍ وَمُمْكِنٍ. ثُمَّ الْمَحْمُولُ

عَلَى هَٰذَيْنِ قَسْمَيْنِ عَلَى [كَذَا] يَلِيهِ أَقْسَامٌ: قَسْمٌ مِنْهَا

[٩] يَخْتَصُّ بِالْوَاجِبِ لِنَفْسِهِ. وَقَسْمٌ يَخْتَصُّ بِالْمُمْكِنِ. وَمِنْ هَٰذَا قَسْمٌ يَقَعُ فِيهِ الْإِشْتِرَاكُ

بَيْنَ الرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ. وَهَذِهِ

[١٠] الأقسام موجودة في فاتحة الكت اب، الش ارع عن السر في ذلك،  
كما نصّ  
فق ال:

«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي...» فعرف القسم الأولى، ثمّ قال لى قوله:

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، أنّها له. ومن قوله: ﴿أَهْدِنَا . . .﴾ إلى آخر السورة، أنّها لعبده.

[١١] وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أنّها بين هوبين عبده. فهذه الثلاثة  
أقسام

التي ذكرناها قد تضمّنتها الفاتحة تُسمّى

[١٢] مب هما تالأسما ءالتي نع تها الح ق في كتابه، ونعت ببعضه ا، ثلاثة لي  
سائلا.

وما نجد في القرآن لها [نظير؟]أيضا — رضي الله تعالى عنه

[١٣] ﴿أَلرَّحْمَنِ﴾ — . وهذه مذكورة في الفاتحة فتفتح بها ما تحتها . ثمّ إنّ  
العالم

منقسم إلى قسمين شقي وسعيد. ونعرف ذكره آخرة الفاتحة،

[١٤] لِيَصِفَ الْوَاحِدُ صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ. والقسم الثاني: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ﴾. ثمّ تقسيم آخر، وهو أنّ الكون ينقسم إلى: آخرة ودنيا [كلمات مطموسة]

[١٥] ﴿صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾، لأنّه ادار التكل يف، والآخرة قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾. ولما

كان الأمر منقسم إلى خير وشرّ، جاء بيوم الدين وهو المجازاة قبل [؟]

[١٦] مُجَازَاةُ الشَّرِّ شَرًّا وَعَفْوًا. ومُجَازَاةُ الْخَيْرِ خَيْرًا. فَتَضَمَّنَتْ الْفَاتِحَةُ  
أيضا مفا تيح

الخيرات والشرور. ولمّا كان الثناء على الله على قسمين: ثناء عليه بما هو أهله،

وثَنَاءٌ عَل يَهَبمَا هُو مِن ه، وَهُوَ الشُّكْر . وَكَانَ الْحَم دِيْعُمُ الثَّ نَاءَ بِمَا هُو عَلَيْهِ،  
وَالثَّ نَاءُ بِم ا

هو منه [كلمات غير مقروؤة]

[١٧] [كلمة غير مقروؤة] الشكر لدخول الشكر [كلمة غير مقروؤة] ولما كانت

418

الرَّحْمَة تنقسم إلى مرتبتين: مرتبة يعم فيها المعنى [كلمة غير مقروؤة]. ومرتبة

يخص [كلمات غير مقروؤة]

[١٨] هو في الدار الآخرة، أتى بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ في المرتبتين. ﴿الرَّحِيمُ﴾

بالمؤمنين. فإن «فعلا ن» أعظم من الآخر، فه و[؟] «فعلي ل» [؟]. . . [كلما تغير

مقروؤة وشبه مطموسة].

[١٩] بما يعطيه من العافية والرزق، والمُلك والسلطان، عاجلاً فعالمُ جم يعهدًا

[هكذا] الفعول...

[٢٠] [السطر شبه مطموس بالكامل].

[٢١] [السطر شبه مطموس بالكامل والورقة مقطوعة من أسفلها].

تابع للمحق ١

هوامش على الصفحة الرئيسية [١ وجه]:

[١] [الكلمة الأولى غير واضحة] والأول من فصوص الحكم

[٢] سر عزيز

[٣] الفرق بين هذه الهوية [كلمة غير مقروؤة]

[٤] للأعيان الثابتة [كلمة غير مقروؤة]

[٥] الحق يتغلب في الآخرة

[٦] وهي تتغلب عليه

[٧] الأحوال

419

[٨] وهذا [كلمة غير مقروءة]

[٩] على [كلمة غير مقروءة]

[١٠] [كلمة غير مقروءة]

[١١] [كلمة غير مقروءة]

(تع ليق للم حق ق): قد يكون ناله امش المائل المتج هالأعلى مت مم للس طر رقم  
من «تنبيه».

[١] ... الرب الذي يدل على هذه المعاني، فإنه المربي والمصلح، والخالق

والملك، والسيد والثابت

(تعليق آخر للمحقق): والسطر التالي مقلوب:

[٢] ولما كان الأمر بالنسبية الزمانية ينقسم إلى ما يختص بالليل والنهار، خص

الذكر في الفاتحة باليوم، الذي يعم النهار

(تعليق المحقق): والسطر التالي مقلوب:

[٣] والليل. لما كان الأمر ينقسم إلى ظاهر ومضمّر، أتى بكاف الخطاب، وأتى

بظاهر الأسماء فتفتح أيضاً اجتمع لطوله...

(تعليق المحقق): ومن هنا اختفى باقي السطر لأنه ملصوق عليه شريط

ورقي.

تعليقات على الصفحة [٧٨ ظهر]

420

[١] الله الموفق

[٢] ذكر الروياني [؟] صاحب الكتاب المسمى 'با لبحر في مذهب الشافعي رضى

الله عنه في

[٣] كتاب آخر له أيضاً سماه حلية المؤمن في حكم الماء إذا وقعت فيه نجاسة،

[٤] قال جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء إلى أن الماء لا يُنجَسُ

[٥] بوقوع النجاسة فيه، قليلاً كان الماء أو كثيراً، إلا أن يتغير، وبه قال

[٦] علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وحذيفة، وأبو هريرة، والحسن

البصري،

[٧] وسعيد بن المسيب، والثوري، وجعفر بن محمد الصادق، وإبراهيم

[٨] النخعي، وعكرمة، وجابر بن يزيد، والقاسم بن محمد، وعبد الرحمن بن أبي

ليلى،

[٩] وما لك، والأوزاعي، وسفيان الثوري، رضى الله عنهم أجمعين، لقوله

[١٠] صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَ الْمَاءُ طَهُورًا لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ

رِيحَهُ».

[١١] وروى جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه بإسناده عن أمير المؤمنين

[١٢] علي المرتضى عليه السلام أن النب صلى الله عليه وسلم قال: «الماء يطهّر  
رُ

وَلَا يُطَهَّرُ».

[١٣] تمت المسألة. والحمد لله.

[١٤] رُوِيَ عن أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ تَأْخُذُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ غَمْرَةٌ رَبِّمَا كَانَ

421

[١٥] يَقَعُ دَمْعُنَا، وَرَبِّمَا كَانَ يَقُومُ وَيَدْعُنَا، فَسَاءَ لْتُ هَعْنُ تِلْكَ الْغَمْرَةِ قَبْلَ وَفَاتِهِ  
بِأَرْبَعِينَ

يَوْمًا، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ،

[١٦] أَكْتُمُهُ فِي حَيَاتِي وَأَبْدِهِ لِلنَّقَاتِ بَعْدَ وَفَاتِي. يَا أَبَا ذَرٍّ، مَنْ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ

الْحَقِيقَةُ أَخَذَتْ بِنِيَاطِ قَلْبِهِ وَمَنْ

[١٧] أَخَذَتْ بِنِيَاطِ قَلْبِهِ وَشَغَلَتْهُ عَنْ مُجَاسَّةِ إِخْوَانِهِ» وَأُظِنَ هَقَالَ: «عَنْ مُحَمَّدٍ  
أَدَّثَنِي هِمٌّ».

«يَا أَبَا ذَرٍّ، شُعْبُ الْحَقِيقَةِ أَرْبَعَةٌ:

[١٨] سِرٌّ مُخْبَرٌ، وَسِرٌّ مُؤَنَسٌ، وَسِرٌّ مُوَحِّشٌ، وَسِرٌّ مُنَجِّهٌ. وَأَغْصَنُهَا ثَلَاثُ  
غُصْنٍ

فِي الدُّنْيَا، وَغُصْنُ الْآخِرَةِ،

[١٩] وَغُصْنُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَكَفَيْتَهَا إِثْنَتَانِ: وَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ

لَهُ، وَحَقِيقَتُهُمَا وَاحِدَةٌ.

[٢٠] وَهِيَ الْجَلْسَةُ فِي كَنْفِهِ».

[خاتم]

أوقاف إسلامية موزة سي [بخط الثلث]

١٧٣٠

الصفحة [٧٩ وجه] : الصفحة فارغة.

تعليقات على الصفحة [٨٠ ظهر]

422

[بخط شكسته نستعليق نفيس]:

[١] باسمه سبحانه تعالى.

[٢] استن سحت من هذه النسخة الشريفة نسخ تين: نسخة للأخ في الله سل يما ندده

أفندي الشيخ في زاوية بشكداش [sikṭBe aṣ هذا اسم حي في إسطنبول]

[٣] ونس خة للشي خقاسم المثنويخو ان في التربة الجالية. وأنا الفقير محمد

الخلوتي الخطيب والواعظ في جامع أبي الفضل،

[٤] في تاريخ سنة إحدى وسبعين وألف [١٠٧١هـ]

[٥] من هجرة من له العز

[٦] والشرف.

[بخط مغاير للخط السابق]:

[٧] وكتبت من هذا الكتاب الشريف بخطي، وأنا السيد الحسيني

[٨] سليمان البخاري البلخي القندوزي في شهر صفر

[٩] سنة خمسة وسبعين وما تتين وألف [١٢٧٥هـ] من الهجرة المباركة

423

[١٠] المقدسة على صاحبها وآله آلاف آلاف آلف تصليّة وتسليمة

[١١] في كل وقت وحين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

[١٢] والحمد لله رب العالمين.

تعليقات على الصفحة [٨٠ وجه]

[١] لما يس رلي الربّ تعالى زيارة قبر حضرة الشّي خصدر الدين القونو  
يورأيتُ كتبه

الموقوفة

[٢] عنده تبركتُ بهذا الك تابواخذته مع يأياماً لما رأيتُ همتف رقة [هكذا  
الأوراق،

فجمعتها وجددتُ جلده الذي

424

[٣] عل يهلي ستمد بقاء أثر حضرة الش يخين المؤلف والكاتب بخطه الشريف،  
رجاء

الدعاء ممن نظّر وطالع فيه

[٤] والله اله ادي نهج فهم كلماً ته الحك مية. وقد وقع ذلك في شهر ربي عالأول  
لسنة

اثنتين وخمسين وألف [١٠٥٢ هـ]

[٥] وكتبه العبد الفقير محمد شرحي السفر الحصري مولداً، الأسكداري موطناً،

المبتلى بقضاء قيصرية،

[٦] المأمور بتحرير قربان عفا الله عنه لما صدر من السهو والنقصان والخطأ

والنقصان، أمين.



ومن المسائل التي انفرد بها الشيخ الأكبر في فصوصه، مسألة الذبيح  
فإنَّ فحوى الكلام في الفصل الإسحاقى يدلُّ على أنَّ إسحاق — وهو ابن هـ  
الأصغر — ذبيح الله. بيد أنَّ آيات القرآن دالة على أنَّ إسماعيل ل — الابن  
الأكبر لإبراهيم — هو الذبيح. فلقد جاء في الق رآن الك ريم أنَّ إبراهيم معلن  
فيه

السلام، بُشِّرَ بغلامٍ حلِيم، وأنَّه بعد أن كَبُرَ، أمره الله سبحانه تعالى في  
المنام أن يذبحه. وامتنثل إبراهيم عليه السلام لأمر مولاه، ففداه بذبح  
عظيم. ثم وُصف إبراهيم عليه السلام بأنَّه من عباد الله المؤمنين والأنبياء  
الصالحين. وبعد كل هذا، بُشِّرَ بإسحاق، وأنَّه نبي من الصالحين [سورة  
الصافات : ١٠٠ إلى ١١١]:

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾  
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ  
فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ  
مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّاهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنَّ  
يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ  
﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ

وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

هذا، ولم ترد آية عبارة صريحة في أي فص من الفصوص تدل على

كون إسحاق ذبيحاً، بل استخدم الشيخ الأكبر عند حديثه عن الذبيح في

الفص الإسحاقى: «قال لابنه»، و«ابن إبراهيم» — مرتان — و«ولده»،

و«إنه ابنك»، و«ابنه»، و«ولده». ولم يصرح باسم «إسحاق» إلا في

عنوان الفص: ﴿فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية﴾.

وأما شروح فصوص الحكم، فأهمها الفكوك لصدر الدين القونوي

(ت. ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م)، التلميذ المبشر لل مؤلف، وشرحمؤيد الدين الجندي

(ت. ٦٩١هـ / ١٢٩٢)، تلميذ القونوي، وشرح عبد الرزاق الكاشاني (ت.

٧٣٠هـ / ١٣٣٠م)، تلميذ الجندي، وشرح داود القيصري (٧٥١هـ / ١٣٥٠م)،

تلميذ الكاشاني. وعرضنا آراء أولئك الأفاضل ملخصاً في ما يلي:

١- وصرح القونوي كون إسحاق ذبيحاً. قال في الفكوك، تحقيق

محمد خواجوي، طهران: انتشارات مولی، ١٤١٣هـ، ص ١٧٢:

«وَأَمَّا هُـ	الاسحاقى: فم حته عا لم الخيال الصّحي حالمطابق الم
الفصّ	ناسب

للمعنى الذي يتجسد به وفيه؛ والسر في استناد مبدئي قحالى إسحاق علي  
هالسلّام

إلى عالم المثال المقيّد هو: لما كان أخصّ أحكام الصّفات السّلبية سلب

الكثرة عن وحدة الحقّ، كانت الموجودات الصّادرة عن الحقّ من حيث

الصّفات السّلبية البديهيّة أقربها نسبةً إلى الواحد قوابع دها من مرتبة الظّهور،

وهي الأرواح. بخلاف الصّفات الثبوتية، فإنّه يجب أن يكون الموجودات

الصّادرة عن الحقّ من حيثيّتها أقرب نسبةً إلى الظّهور وأتمّ تحقّقاً به.

وقد بيّنّا أنّ أوّل حامل وظاهر بأحكام الصّفات الثبوتية الخليل عليه السّلام،

فلزم أن يظهر في حال ولده الذي هو النيجة حكم عالم الخيال وصفته، لأنّ

عالم المثال المطلق مرتبته بين عالم الأرواح وعالم الأجسام».

٢-وأما الجندي، فلم نجد في شرحه عبارة صريحة تفيد بكون إسحاق

ذبيحاً.

٣-وأما الكاشاني، فإنّه صرح بكون إسحاق ذبيحاً. قال في شرح

فصوص الحكم، تحقيق مجيد هادي زاده ص ٢٠٨:

«اعلم — أيّدنا الله وإياك — أن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قال

لابنه: ﴿إِنِّي أَرَى فِي أَلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]؛

و﴿أَلْمَنَامُ﴾ حضرة الخيال فلم يعبرها، وكان كبشٌ ظهر في صورة ابن

إبراهيم في المنام، فصدق إبراهيم الرؤيا. أي: لم يعبرها، لما تعوّد به من

الأخذ عن عالم المثال، فلمّا رقّا هالقه تعالى عن عالم المثال — ليحسّ

قلبه محلّ الاستواء الرحماني — أخذ خياله المعنى من قلبه المجرد،

وتصرّفت القوّة المتصرّفة في تصوّيره، فصوّرت معنى الكبش بصورة

إسحاق — لم اذكر من كونه الأصل — فل ميعبرها وصدّقه افي أنّ ذلك

إسحاق، وكان عند الله الذبح العظيم...».

٤- وقال الكاشاني أيضاً، في ص ٢١٠:

«... فلو صدق في رؤيا ما رآه، لما كان — عند الله — إلا إسحاق،

ولذبحه...».

٥- وقال القيصري في شر حفصو صالحك م، تحقيق السيّد جلال الدّين

أشّتياني، ط ٣، طهران: شركت انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٨٦ هجري

شمسي، ص ٦٠٦-٦٠٧:

«واعلم أنّ ظاهر القرآن يدلّ على أنّ الفداء عن إسماعيل؛ وهو الذي رآه

إبراهيم أنّه يذبحه. وإليه ذهب أكث المفسرين. وذهب بعضهم إلى أنّه

إسحاق. والشيخ (رض) معذور فيما ذهب إليه، لأنّه مأمور كما قال في

أول الكتاب».

وهنا نقل السيّد جلال الدّين أشّتياني (ت. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) تعل يق ين:

أوله ا

لأستاذ السّيّد روح الله الخميني (ت. ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م)، والثاني لآقا مي رزّا

أبي الحسن بن محمد الطباطبائي المشتهر بـ «جلوّه» (ت. ١٢٧٥ هـ /

١٨٩٦ م). ونقلناهما بالنصّ فيما يلي:

٦- تعليق السيّد روح الله الخميني:

«قال شيخنا العارف الكامل [يقصد شيخه محمد علي الشاهبآري

(١٢٩٢هـ - ١٣٦٩هـ)]، دام ظلّه العالي:

إنّ الشَّيْخَ بحسب كشفه في عالم المكاشفة، رأى في العين الثَّابِتة

الإِسْحاقِيَّة اقتضاء هذا المعنى الذي ظهر في إسماعيل، عليه

السَّلام، في عالم المُل كمن العبودية التَّامّة والفناء التَّامّ؛ فأخبر عمّا

ظهر عليه من العين الثَّابِتة. وهذه المكا شَف قصح يحّة؛ إلّا أنّ عدم

الظُّهور في عالم المُلْك، لقوّة العين الثَّابِتة الإِسْماعيليّة أو لمانع آخر.

هذا، وقد استشكلت عليه بأنّ الظَّاهر من كلام الشَّيْخ وقوعه بالنسبة إلى

إِسْحاق في عالم المُلْك. فصدّق ذلك. وقال، دام ظلّه:

يُمْك نأن يكون كشفه صحّ يحّا؛ إلّا أنّ خي اله لما كا نمشوبّا، تمتّ لله

المعنى المجرّد عن اللّباس في عالم خياله بصورة إسحاق، عليه

السَّلام. فإنّ المكاشفات تقع مجرّدة عن الصّورة؛ ول كنّ الخيال

429

يُمثِّلها بزّي صورة شاء بمجرّد مناسبة. والغالب دخا لة المأنوسات

والمعتقدات في ذلك التّمثّل. هذا ما أفاد، دام ظلّه. [انتهى تعليق

السَّيِّد روح الله الخميني].

٧-تعليق آقا ميرزا أبي الحسن جلّوه:

واعلم أنّ الكشف الصّريح الم حمدّي يدلّ على أنّ الفداء عن إسماعيل. وقد

أطب قائمتنا وساداتنا، الوارثين [هكذا] للعل وموالأحوال والم قا ما تالمحم ديّة،

على أَنَّ الفداء عن ذبيح الله إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام. وعليه جُلّ  
أرباب التفسير والحديث من العامة [يقصد أهل السنة]. وأمّا ما قيل: «إنّ  
الشيخ مأمور، والمأمور معذور»، كلامٌ خالٍ عن التحصيل، ولا يُعْبَأُ به. وما  
قيل: «إنّ الشيخ رأى في حضرة الارتسام أنّ الفداء عن إسماعيل؛ ولمّا تن  
زّل

ما شهد هفي الخيال، ذهب وهّمهُ إلى إسحاق، من جهة كما لا من اسبة بين  
عين

الإسماعيل والإسحاق». وأنت تعلم أنّ في كتاب الفصوص مواضع نقضٍ  
وإشكال، لا يُمكن توجيهها وتصحيحها. والقول بأنّ الشيخ مأمور معذور،

ليس إلاّ استناد الخبط والاشتباه إلى الله أو إلى الرسول! لأنّ المؤلف قد  
صرّح في أوائل كتابه أنّ المُلقّي على خياله، أو قلبه، هو الرسول أو الله. وأمّا  
وجه تسمية الفصّ الإسحاقى بالحكمة الحقيقة، أنّه لما كان أخصّ أحكام  
الصفات السلبية، سلب الكثرة عن وحدة الحقّ، كانت الموجودات الصادرة  
عن الحق من حيثية الصفات السلبية التنزيهية، أقربها نسبةً إلى الوحدة،

وأبعدها من مرتبة الظهور. وهي للأرواح، بخلاف الصفات الثبوتية. وقد سبق  
أنّ أوّل حاملٍ وظاهرٍ بأحكام الصفات الثبوتية، الخ ليل عليه السلام؛ فلزم أنّ  
يظهر في ولده — الذّيهونتي جته — حُكْمُ عالم المثل، الذي اعتُبر مطابقت  
ه

للواقع يُسمّى حقّاً. [انتهى تعليق آقا ميرزا أبي الحسن جلّوه].

عَنْوَ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ الْفَصِّ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ فَصُوصِهِ بِ﴿فَصِّ كَلِمَةِ  
صَمْدِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ خَالِدِيَّةٍ﴾. وَفَصِّهِ أَصْغَرَ الْفُصُوصِ، فَإِنَّهُ أَخَذَ ١٩ سَطْرًا فَقَطَّ  
فِي مَخْطُوطٍ قُونِيَّةٍ.

وهو خالد بن سنان بن غَيْثِ الْعَبْسِيِّ. وَيُقَالُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ الْفَتْرَةِ،  
أَيُّ الْحَقْبَةِ الزَّمْنِيَّةِ بَيْنَ عِي سَيِّ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ مَا السَّ لَا مِ وَمَحْ مَدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ. وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي نُبُوتِهِ. رَاجِعِ الْمَصَادِرَ الْآتِيَّةَ:

(Elt), "an̄ Sin .b alidKh", Pella Charles ) :

(Elt), "an̄ Safw .b zalāHan", Pella Charles ) :

Gerald .T Elmore, "The 'Millenial' Motif in Ibn al-ʿArabī's

"Gryphon Fabulous the of Book", The Religion of Journal

— . (July): at —

Gerald .T Elmore, Islamic Sainthood in the Fullness of

, Time . Ibn al-ʿArabī's of Book Fabulous Gryphon

. , Leiden: J. E. Brill

وَلَمْ يَقْتَرِبْ مَعْظَمُ الشَّارِحِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ لِفُصُوصِ الْحُكْمِ مِمَّا وَرَدَ فِي  
خَالِدِ بْنِ سَنَانَ فِي كُتُبِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، فَنَقَلْنَا فِي مَا يَلِي مَا وَجَدْنَا فِي  
أَشْهُرِ الْمَجَامِعِ الْحَدِيثِيَّةِ السُّنِّيَّةِ وَالشَّيْعِيَّةِ.

١-الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، القسم ٢، ص

٣٦٩ إلى ٣٧٤، رقم الترجمة ٢٣٥٧:

خالد بن سنان العبسي

ذكره أبو موسى عن عبدان، وقال: ليست له صحبة، ولا أدرك النبي صلى الله عليه

وآله. فقال: نبي ضيعة قومه.

ووفدت ابنته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: وقد سمعته يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كان أبي يقول هذا.

قال ابن الأثير: لا أدري لم ذكره مع اعترافه بأن لا صحبة له؟

قلت: ولو كان كل من يذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون صحابياً لاستدركنا عليه خلقاً كثيراً.

وقد نسب ابن الكلبي خالداً هذا فقال: خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم بن ما لك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي.

وذكر المسعودي في مروج الذهب من طريق سعيد بن كثير بن عفير المصري، عن أبيه، عن جده، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: إن الله خلق طائراً في الزمن الأول، يقال له: «العنقاء». فكثر نسله في بلاد

الحجاز، فكانت تخطف الصبيان، فشكوا ذلك لخالد بن سنان، وهو نبي ظهر بعد

عيسى من بني عبس، فدعا عليها أن يقطع نسلها، فبقيت صورتها في البسط. وبه قال ابن عباس.



وكان خالد بن سنان بُعثَ مبشراً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما حضرته الوفاة، قال: إذا أنا متُّ، فادفنوني في حَقْفٍ من هذه الأحقاف، فذكر نحو ما تقدّم.

وبه إلى ابن عباس، قال: ووردت ابنةٌ له عجز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتلقّاها بخير وأكرمها، وقال لها: مرحباً بابنة نبي ضيعه قومه، فأسلمت. وفي ذلك

يقول شاعر من بني عبس، فذكر شعراً.

وأصحُّ ما وقفتُ عليه في ذلك مع إرساله ما قرأتُ على أبي المعالي الأزهري، عن زينب بنت أحمد المقدسية، عن إبراهيم بن محمود، قال: قرأ على خديجة بنت النهرواني ونحن نسمع عن الحسين بن أحمد بن طلحة سماعاً،

أنبأنا أبو الحسين بن بشران في الجزء الثاني من الرابع من أمالي عبد الرازق، عن

إسماعيل الصفار سماعاً. أنبأنا عبد الرازق إملاءً، حدثنا سفيان، عن سالم الأفطس، عن

سعيد بن جبير، قال: جاءت ابنة خالد بن سنان العبسي إلى النبي صلى الله عليه وآله

432

وسلم. فقال: مرحباً بابنة نبي ضيعه قومه. ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

وقال الكلبي في تفسيره، عن أبي صالح، عن ابن عباس: دَخَلَتْ ابنة خالد بن سنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: مرحباً بابنة نبي ضيعه قومه. قال الفضل بن موسى الشيباني: دخلتُ على أبي جمرة السكري. فحدثته بهذا عن

الكلبي، فقال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. أخرجَه الحاكم في تاريخ نيسابور.

ورواه أبو محمد بن زَبْر، عن الخضر بن أَبَان، عن عمرو بن محمد، عن سفيان الثوري. عن سالم نحوه.

وذكر أبو عبيده مَعْمَر بن الْمُثَنَّى في كتاب الأرجاء والجماجم؛ خالد بن سنان أحد بني مخزوم بن ما لك العَبْسِي لم يكن في بني إِسْمَاعِيل نبي غيره قبل محمد صلى الله

عليه وآله وسلم. وهو الذي أَطْفَأَ نارَ الحَرَّة.

وكانت حَرَّةً ببلاد بني عَبْس يُسْتَضَاءُ بنارها مِنْ مسيرة ثلاثة أيام، وربما سطعت منها عُنُقٌ فاشتعلت في البلاد، فلا تمرُّ على شيء إلا أَهْلَكَته، فإذا كان النهار فَإِنَّمَا هي

دخان يفور.

فبعث الله خالدَ بن سنان العبسي فاحتقر لها سِرْبًا ثم أدخلها فيه، والناس ينظرون،

ثُمَّ اقْتَحَمَ فيها حتى غَيَّبَهَا، فسمع بعض القوم وهو يقول: هلك الرجل. فقال خالد بن

سنان: كذب ابن راعية المعزى. وخرج يرشح جبينه عرقاً، وهو يقول: عُوْدِي بُدَّأ، كُلُّ

شَيْءٍ يُؤَدِّي، لَأَخْرُجَنَّ منها وجسدي يَنْدَى. فلَمَّا حضرته الوفاة، قال لقومه: إذا أنا مت

فاحفروا قبري بعد ثلاث، فَإِنكُمْ تَرَوْنَ عَيْرًا يطوف بقبري، وإذا رأيتم ذلك فَإِنِّي أَخْبِرْكُمْ

بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

فاجتمعوا، فلمّا رأوا العَيْرَ أرادوا نَبْشَهُ. فقال ابنه عبد الله بن خالد بن سنان: لا تنبشوه، ولا ادْعَى ابن المنبوش أبداً. فافترقوا فرقتين، فتركوه.

وقَدِمَتْ ابنته على النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال: ابنة نبي ضيعه قومه.

وقال القاضي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ فِي سِيَاقٍ مِنْ اخْتَلَفَ فِي نَبَوْتِهِ: وَخَالِدُ بْنُ سِنَانٍ

المذكور، يقال أنه نبي أهل الرِّسِّ.

وقد روى الحاكم، وأبو يعلى، والطبراتي، من طريق مُعْلَى بن مهدي، عن أبي عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً من بني عَبْسٍ يقال له خالد

بن سنان قال لقومه: إني أُطْفِئُ عنكم نار الحدثان، فقال له عمارة بن زياد، رجل من

433

قومه: والله ما قلتَ لنا يا خالدُ قَطُّ إِلَّا حَقًّا، فما شَأْنُكَ وشَأْنُ نار الحدثان، تزعم أنك

تطفئها؟

قال: انطلق. فانطلقَ معه عمارة في ثلاثين من قومه حتّى أتوها، وهي تخرج من شِقِّ جبل من حرّة، يقال لها حرة أشجع. فخطّ لهم خالد خطّةً، فأجلسهم فيها. وقال:

أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي، قال: فخرجت كأنّها جبل سَعْرٍ، يتبع بعضها بعضاً،

واستقبلها خالد، فضربها بعصاه، حتّى دخل معها الشّق، وهو يقول: بَدَأَ بَدَأَ  
بَدَأَ، كل

هَدْيِي يُؤَدِّي، زعم ابن راعية المعزى أنّي لا أخرج منها، وثيابي تندي. حتّى دخل  
معه

الشق.

قال: فأبطأ عليهم، فقال عمارة بت زيد: والله لو كان صاحبكم حيّاً لقد خرج منها.

فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. قال: فدعوه باسمه، فخرج إليهم، وقد أخذ  
برأسه،

فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتُموني، فإذا ميتٌ فادفنوني، فإذا  
مرّت

بكم عانة حُمر فانبشوتي، فإنكم ستجدونني حيّاً فأخبركم بما يكون.

فدفنوه، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتّر، فقالوا انبشوه، فإنه قد أمرنا أن  
ننبشه.

فقال لهم عمارة بن زياد: تَحَدَّتْ مُضَرُّ أن ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبداً،  
وقد كان

خالد أخبرهم أن في عُنِ امراته لوحين، فإذا أُشْكِلَ عليكم أمر فانظروا فيهما؛  
فإنكم

سترون ما تسألون عنه. وقال: لا تمسهما حائض.

فلما رجعوا إلى امراته سألوها عنهما فاخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان  
فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي صلّى الله عليه وسلم، فقال:

ذاك نبي ضيعه قومه. وأن ابنته أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال مرحبا بابنة أخي.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح. فإن أبا يونس هو حاتم بن أبي صغيرة.

قلت: لكن معلى بن مهدي ضعفه أبو حاتم الرازي. قال الحاكم: قد سمعت أبا الإصبع عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون أن بينهم وبين القيروان بحراً في وسط جبل

لا يصعده أحد، وإن طريقها في البحر على الجبل، وأنهم رأوا في أعلى الجبل في غار

هت=ناك رجلاً عليه صوف أبيض وهو مُحْتَبٍ في صوف أبيض ورأسه على يديه كأنه

نائم لم يتغير منه شيء، وأن جماعة أهل تلك الناحية يشهون أنه خالد بن سنان.

قلت: وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة، فأين بلاد بني عبس من جبال

المغرب؟

434

وأخرجه البزاز والطبراني من طريق قيس بن الربيع، عن سالم موصولاً بذكر بن عباس، قال: ذكر خالد بن سنان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: ذاك نبي

ضيعه قومه.

وزاد الطبراني: وجاءت بنت خالد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فسألها قومه.. الحديث.

وقيس ضعيف من قبل حفظه. وسيأتي له ذكر في ترجمة سباع بن زيد العبسي.

وذكر المسعودي في مروج الذهب من طريق محمد بن عمر: حدثني علي بن مسلم الليثي، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إنه قدم علينا قرأنا وأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا

هجرة له. ولنا أموال ومواش هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له، بعناها

وهاجرنا. فقال: اتقوا الله حيث كنتم فلن يَلْتَكُم من أعمالكم شيئاً ولو كنتم بصدور جازان.

وسألهم عن خالد بن سنان، فقالوا لا عقب له. فقال: نبي ضيعه قومه. ثم أنشأ يحدث

أصحابه حديث خالد بن سنان.

وأخرج ابن شاهين في الصحابة من طريق الحسين بن محمد. حدثنا عائد بن

حبيب، عن أبيه. حدثني مشيخة من بني عبس، عن سباع بن زيد أنهم وفدوا على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له قصة خالد بن سنان فقال: ذاك نبي ضيعه قومه.

٢-ميزان الاعتدال للذهبي، القسم ٣، ص ٣٩٦، ترجمة رقم ٦٩١١: قيس

بن الربيع الأسدي الكوفي

محمد بن الصلت، عن قيس، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن الجبير، عن

ابن عباس قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فبسط لها ثوبه، وقال: «مَرْحَبًا بِابْنَةِ نَبِيِّ ضَيْعَةِ قَوْمِهِ».

٣-بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي، قصص الأنبياء، باب ٣٠ قصّة

خالد بن سنان العبسي عليه السّلام، ج ١٤، ص ٤٤٨ إلى ٤٥١:

١-كا: [الكافي] علي بن إبراهيم، عن أبيه وأحمد بن محمد الكوفي، عن

عل بن عمرو بن أعين جمعي عاً، عن محسن بن أحمد بن معاذ، عن أبان بن

عثمان، عن بشير النبال، عن أبي عبد الله علي هالسلام قال: بينا رسول الله

صلّى اللّ هعليه وآله جا لس إذ جاءت امرأة فرحّب به أوأخذ بيدها وأقع دها، ثم

قال: ابنة نبي ضي عه قومه، خالد بن سنان، دعاهم فأبو أنّ يؤمنوا وكا نت نار

يق اللها نار الحد ثان، تأتّيهم كل سن ةفتأكل بعضهم، وكا نت تخر جفي وقت

معلوم، فقال لهم: إنّ رددتها عنكم تؤمنون؟ قالوا: نعم، قال: فجاءت

فاستقبلها بثوبه فر دها ثم تبعها حتّى دخلت كة فها ودخل معه ا، وجلسوا على

باب الكهف وهم يرون أنّ لا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: هذا هذا، وكل

هذا من ذا، زعمت بنو عبس أنّي لا أخرج وجبيني يندى، ثم قال: تؤمنون

بي؟ قالوا: لا. قال: فإنني ميت يوم كذا وكذا، فإذا أنا مت فادفنوني فإنه

سيجيء عانة من حمر يقدمها غير أبتّر حتّى يقف على قبري فانبشوني

وسلّ وني عما شئتّم، فلما ما تدفن وه، وكا نذلك الي وم إذ جاءت العانة اجت  
مع وا

وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا: ما آمنتم به في حياته، فكيف تؤمنون به بعد

وفاته؟! ولئن نبشتموه ليكوننّ سبة عليكم، فاتركوه فتركوه.

٢-ص: [قصص الأنبياء عليهم السلام] الصدوق، عن ابن الوليد، عن

الصَّ فَار، عن البرقي، عن أبيه، عن علي بن شجرة، عن عمه، عن بشير الن بال،

عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جالس

امراً أقبل لتتمشحتي انتهت إليه فقَالَ لها : مرحباً بابنة نبي ضيع هقومه أخي

خالد ابن سن ان الع بس ي، ثم قال: إن خالداً دعا قومَه فأبوا أن يجيبوه، وكانت

نار تخر جفي كل يومفت أكل ما تليها من مواشي هم وما أدركت لهم، فقا للقومه :

أرأيت ما إن رددتها عنكم أتؤمن ونبي وتص دقونن ي؟ قالوا: نعم، فاستق بلها فردّها

بقوة حتّى أدخلها غاراً وهم ينظرون، فدخل معها فمكت حتّى طال ذلك

عليهم، فقالوا: إنّنا لنراها قد أكلته فخر جمن ها، فقَالَ: أتجيبونني وتؤمنون بي؟

قالوا: نار خرجت ودخلت لوقت، فأبوا أن يجيبوه فقا لله م: إنني مي تبعدكذا

فاذا أنا مت فادفن وني، ثم دعوني أياماً فانبش وني، ثم سلّوني أخبركم بم اكان

وما يكون إلى يوم القيامة، فلما كان الوقت جاء ما قال فقال بعضهم: لم

نصدقه حياً نصدقه ميتاً؟ فتركوه، وإنه كان بين النبي صلى الله عليه وآله

وعيسى عليه السلام ولم يكن بينهما فترة.



٣-ك: [كمال الدين وتمام النعم مة] ابن الوليد، عن محمد بن الوليد الخزاز

والسندي بن محمد معاً، عن ابن أبي عمير، عن أبا نين عثمان الأحمر، عن

بشير النبال، عن أبي جع فر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهم السلام قال:

جاءت ابنة خالد بن سنان العباسي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت  
لها:

مرحباً يا بنت أخي، وصافحها وأدناها وبس طلبها رداءه، ثم أجلسها علي ها إلى

جن به، ثم قال: هذه ابن قنبي ضيعه قوم خالد بن سنان العباسي، وكانت  
اسمها

مُحَيَّاة ابنة خالد بن سنان.

٤- ج: [الاحتجاج] قال الصادق عليه السلام في أسئلة الزنديق الذي سأله

عن مسائل، فكان فيم أسأله: أخبرني عن الحج وس، هل بُعث إليه مخالد بن

سنان؟ قال: لعل يها السلام: إن خالدًا كان عربياً بدوياً وما كان نبياً، وإنما اذلك  
ي

يقوله الناس.

٤- وأما ابنته فهي مُحَيَّاة بنت خالد بن سنان العباسي كما وردت في

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، الق سم ٨، ص ١١٦،

رقم الترجمة ١١٧٤٣: مُحَيَّاة بنت خالد بن سنان العباسي.

ذكرها أبو موسى في الذيل، وساق من طريق محمد بن عمر الرازي الحافظ،

عن عمرو بن إسحاق بن العلاء، عن إبراهيم بن العلاء، حدثنا أبو محمد القرشي

الهاشمي، عن هشام بن عروة، عن ابن عمارة، عن أبيه عمارة بن حزن بن شيطان،

بقصة خالد بن سنان؛ قال: فلما بعث الله محمداً، أتته مَحَيَّاة بنت خالد، فانتسبت

له. فبسط لها رداؤه، وأجلسها عليه. وقال: ابنة أخي، نبيُّ ضَيْعَةٍ قَوْمَةٍ.

ووردت تسميتها أيضاً فيما ذكره ابن الكلبي؛ قال: قال أبي: وأخبرني ابن أبي

عمارة، قال: أتانا خالد بن سنان، فقال: يامعشر بني عبس، إن الله أمرني بإطفاء هذه

النار. قال أبي: فكان أبي هو الذي ذهب معه، فذكر القصة مطولة.

وفي آخر الحديث، قال هشام بن محمد: فقدمت المَحَيَّاة بنت خالد بن سنان

على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذُكِرَتْ - في ترجمة خالد بن سنان - لقصته في طفي النار، طرقاً كثيرة.

ملحق ٤: تخريج حديث التحول

437

من الاصطلاحات الأكبيرة الشائعة في فصوص الحكم قول المؤلف

«إِلَهُ الْمُعْتَقَدِ»، و«إِلَهُ الْمُعْتَقَدَاتِ»، و«صُورُ الْمُعْتَقَدَاتِ»، و«صُورَةُ

مُعْتَقَدِهِ» وما شابهها من العبارات. وفي جميع تلك المواضع من كتاب

الفصوص، قصد المؤلف فحوى حديث طويلٍ معروف عن دأرباب التصوف

بـ «حديث التحول»، ورد في الصحيحين وسنن النسائي. وفيما يل يتخريج

الحديث ونصّه كما ورد في البخاري عن أبي هريرة.

تخريج الحديث

رواه البخاري، الحج امع الصبح يح، كتاب الأذان، باب فضل السج ود، ج ١، ص ١٥٣ إلى ١٥٥، رقم الحديث ٨١٤ عن أبي هريرة، وكتاب التفسير، باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة، ج ٢، ص ٩٢٠ إلى ٩٢١، رقم الحديث ٤٦٢٤ عن أبي سعيد الخدري وكت اب الرقاق، با بالصراط جسره نم، ج ٣، ص ١٣٣٠ إلى ١٣٣١، رقم الحديث ٦٦٥٣ عن أبي هريرة و٦٦٥٤ عن أبي سعيد الخدري، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، ج ٣، ص ١٥٠١ إلى ١٥٠٣ رقم الحديث ٧٥٢٧ و٧٥٢٨ كلاهما عن أبي هريرة، و٧٥٢٩ عن أبي سعيد الخدري.

ورواه مسلم، الجامع الص حي ح، كتاب الإيم ان، باب معرفة طريق الرؤية، ج ١، ص ٩٢ إلى ٩٦، رقم الحديث ٤٦٩ و ٤٧٠ كلاهما عن أبي هريرة؛ ورقم الحديث ٤٧٢ إلى ٤٧٤ جميعًا عن أبي سعيد الخدري.

ورواه النسائي، السنن، كتاب التطبيق، باب موضع السجود، ج ١، ص ١٨٤ إلى ١٨٥، رقم الحديث ١١٤٨؛ «... عن عطاء بن يزيد قال: كنتُ جالسًا إلى أبي هريرة وأبي سعيد، فحدث أحدهما...» الحديث.

438

#### نص الحديث

رواه البخاري، الحج امع الصبح يح، كتاب الأذان، باب فضل السج ود، ج ١، ص ١٥٣ إلى ١٥٥، رقم الحديث ٨١٤ عن أبي هريرة:

حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن

المسيب وعطاء بن يزيد الليثي، أَنَّ أبا هريرة أخبرهما أَنَّ الناس قالوا: «يا

رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟»

قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟»

قالوا: «لا يا رسول الله».

قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟»

قالوا: «لا».

قال: «فإنكم ترونه، كذلك. يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فيق ولمن كان يحب د

شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ عِزِّي؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ

الطَّوَاعِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ، فِيهَا مَنَافِقُوهَا.

فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فيقول: «أنا ربكم».

فيقولون: «هذا مكاننا حتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا؟ فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ».

فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فيقول: «أنا ربكم».

فيقولون: «أنت ربنا...».